



الترقيم الدولي
ISSN 2518-9018

مَجَلَّة إِشْرَاقَات تَنْمَاضِيَّة

مجلة علمية محكمة فصلية

العدد الثامن والأربعون، لشهر ايلول، لسنة ٢٠٢٦م



AISHRAQAT TANMAWIA

الترقيم الدولي
ISSN 2518-9018



Journal Ishraqat Tanmawya



Referred Scientific Journal

انشرافات تنموية

مجلة علمية محكمة فصلية
تصدر عن مؤسسة العراق للثقافة والتنمية
العدد الثامن والأربعون، لشهر ايلول، لسنة ٢٠٢٦م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد المرقم (٨٩١) لسنة ٢٠١٦
al.tanmeia2016@yahoo.com

رقم الإيداع (٨٩١) في دار الكتب والوثائق الوطنية

لسنة ٢٠١٦م

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/٢٠١٦م

مكتبة الأمير

أ.د. هادي كطفان شون	د. علاء عبد الخالق حسين المندلاوي
رئيس التحرير	مدير التحرير
دكتوراه علوم تربوية ونفسية	دكتوراه مناهج وطرائق تدريس اللغة
جامعة القادسية	العربية / جامعة بغداد

هيئة التحرير:

١. أ.د. ضياء عبدالله احمد التميمي / جامعة بغداد/ العراق / دكتوراه في طرائق تدريس اللغة العربية
٢. أ.د. ممدوح بن سعد عبدالله الدوسري/ اتحاد نقابات المدرسين العرب/المملكة العربية السعودية/دكتوراه في علم الاجتماع التربوي
٣. أ.د.موفق عبدالعزيز الحسناوي/ الجامعة التقنية الجنوبية / العراق/ دكتوراه في طرائق تدريس التاريخ
٤. أ.د. سعيد جاسم علي الأسدي/ جامعة البصرة / العراق/ دكتوراه أصول التربية
٥. أ.د. عبد العظيم أحمد عبد العظيم / جامعة دمنهور/ مصر / دكتوراه في الجغرافية الطبيعية
٦. أ.د. عمر محمد علي محمد / جامعة حلوان/ مصر / دكتوراه في اللغة الإنكليزية
٧. أ.د. سعاد هادي حسن الطائي / جامعة بغداد / العراق/ دكتوراه في التاريخ الإسلامي
٨. أ.د. سلمى مجيد حميد / جامعة ديالى / العراق / دكتوراه في طرائق تدريس التاريخ
٩. أ.د. اسراء علاء الدين نوري/ جامعة النهرين / العراق / دكتوراه في العلوم السياسية
١٠. أ.د. زينب هاشم عبود/ الجامعة المستنصرية/العراق/ دكتوراه في علم الاجتماع
١١. أ.م.د. عطية خليف العلي/ جامعة غينيا العالمية/ جمهورية غينيا/ دكتوراه في الاقتصاد الإسلامي
١٢. أ.م.د. هناء محمد خلف الشلول/ جامعة جدارا/ الأردن/ دكتوراه في اللغة العربية
١٣. أ.م.د. نسرين سمير احمد فؤاد/ جامعة الازهر/ مصر/ دكتوراه في علم الاجتماع
١٤. أ.م.د. نجاه علي الهنشييري /جامعة طرابلس/ ليبيا / دكتوراه في مناهج وطرائق التدريس العامة
١٥. أ.م.د. عذراء إسماعيل زيدان / جامعة تكريت/ العراق / دكتوراه في التربية الفنية
١٦. أ.م.د. فتحي طه مشعل الجبوري/جامعة الموصل/ العراق / دكتوراه في العلوم السياسية

خبير اللغة العربية / د. عمر زهير علي/ دكتوراه في اللغة العربية

خبير اللغة الإنكليزية / أ.م. هدى عبد علي خطاب/جامعة بغداد/ ماجستير في اللغة الإنكليزية

تدعو مجلة إشراقات تنموية جميع الباحثين والأكاديميين من داخل العراق وخارجه في مختلف الاختصاصات للكتابة ببحوث ذات قيمة علمية لإثراء المجلة بالبحوث الرصينة.

مجلة إشراقات تنموية مجلة فصيحة محكمة، تستقبل البحوث والدراسات في الاختصاصات الانسانية كافة (اللغة العربية وآدابها، واللغة الانكليزية، والتاريخ، والجغرافيا، والاجتماع، والارشاد، والعلوم التربوية والنفسية، والعلوم السياسية، والاعلام، والفلسفة، وعلوم القران، واللغة الكردية، وسواها). وتخضع البحوث المقدمة للمجلة للتقويم العلمي من هيئة التحرير وجمع كبير من الاساتذة الخبراء في الاختصاصات العلمية كافة من داخل العراق وخارجه وتلتزم المجلة بالحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين وتطبيقها أخلاقيات البحث العلمي وبنود لجنة اخلاقيات النشر.

ملاحظات عامة

- ١- يتقيد رئيس واعضاء هيئة التحرير بعدم الاعلان عن اية معلومة تخص البحوث المقدمة للمجلة عدا المخول من مؤلفيها والمحررين والاستشاريين والناشر حسب الضرورة.
- ٢- ان عملية تقويم البحث من المحكمين يساعد على اتخاذ القرار المناسب من هيئة التحرير بخصوص البحث المقدم للمجلة وهي بالضرورة تفيده في تحسين بحثه. وتلتزم هيئة التحرير إحاطة المحكمين علما بضوابط ومعايير

ومستوى رصانة البحوث التي تقبل للنشر في المجلة، كما تلتزم بعدم إعلان أسماء المحكمين إلا بموافقة خطية للمحكم نفسه.

٣- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.

٤- يتطلب من محكمي البحوث التعامل بسرية مع البحوث المرسلة لهم. ولا يجوز الافصاح عنها او مناقشتها مع الاخرين الا مع رئيس المجلة او من ينوب عنه.

٥- اعتماد المعايير الموضوعية في التحكيم وتجاوز الانتقاد الشخصي للباحث. ويجب ان يكون التحكيم معزراً بآراء واضحة مع الحجج العلمية والتوثيق، ويتوافق مع ضوابط ومعايير النشر المعتمدة في المجلة.

٦- اشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة اقصاها شهر من تاريخ تسليم البحث.

٧- لا يجوز للباحث ان يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير الا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير ويتم ذلك قبل اشعاره بقبول بحثه للنشر.

٨- يلتزم الباحث بأجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة اليه وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز (١٥) خمسة عشر يوماً.

٩- لا تعاد البحوث الى اصحابها سواء نشرت ان لم تنشر.

١٠- لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من هذه الشروط.

١١- على الباحث/ الباحثين الالتزام بتعليمات وضوابط النشر المعتمدة في

المجلة وبأسلوب كتابة البحث. وتأمين توافر معايير البحوث الرصينة من وضوح هدف البحث وعرض النتائج بنحو دقيق ومتسلسل ومناقشة هذه النتائج بما يحقق اهداف البحث مع تسويق اجراء البحث بطرائق

موضوعية. يجب ان يكون البحث معززاً بتفاصيل النشر للمراجع العلمية الحديثة. يجب ان لا يتضمن البحث على نتائج لبحوث اخر؛ لأنها تعد سلوكاً غير مقبولة. وعلى الباحث توقيع تعهد بذلك

١٢- على الباحث ان يتجنب الانتحال او اقتباس عبارات أو افكار الآخرين وأدرجها كأنها عمل الباحث الخاص، أو الاقتباس دون الإشارة إلى مصدرها الأصلي. وان كل الابحاث تخضع لكشف الانتحال قبل ارسالها الى المحكمين وقبول البحث.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها وليس
بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة

ضوابط النشر في المجلة

تسعى هيئة التحرير في مجلة إشراقات تنموية الى الارتقاء بمعامل تأثير المجلة (Impact Factor) تمهيدا لدخول قاعدة بيانات المستوعبات العلمية العالمية. وعليه تنشر مجلة إشراقات تنموية الابحاث التي تتسم بالرصانة العلمية والقيمة المعرفية وبسلامة اللغة ودقة التوثيق في الاختصاصات الإنسانية ووفق الشروط المبينة في ادناه:

١. أن لا يكون البحث منشورا سابقا في مجلة اخرى. وأن لا يكون جزءاً من بحث سابق منشور أو من رسالة جامعية وعلى الباحث ان يوقع نموذج تعهد بألا يكون البحث منشوراً أو سبق تقديمه للنشر في مجلة أخرى. وأن لا يقدمه للنشر في مجلة اخرى بعد نشره في مجلة إشراقات تنموية. وأن يوافق على نقل حقوق نشر البحث الى المجلة في حالة قبول البحث للنشر (نموذج التعهد).

٢. أن لا يزيد عدد الكلمات في البحث على (٨٠٠٠) كلمة بضمنها المصادر والملاحق.

٣- ألا يذكر اسم الباحث أو اية أشاره تدل عليه في متن البحث لضمان سرية وحيادية عملية التحكيم

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على ما يأتي (كما في المثال):
أ. عنوان البحث.

ب. اسم الباحث ودرجته العلمية وشهادته.

ت. عنوان الباحث

ت - بريد الباحث الإلكتروني.

ث- ملخصان أحدهما باللغة العربية والثاني باللغة الإنكليزية يكون في بداية البحث بحجم خط (١٢) يضم اسم الباحث ومكان عمله باللغة الانكليزية ايضا. وأن تحتوي الابحاث المكتوبة باللغة الانكليزية على ملخص باللغة العربية (خلاصة) لا تتجاوز كلماته ٢٠٠ كلمة مسبقا بعنوان البحث واسم الباحث ومكان عمله باللغة العربية ايضا والكلمات المفتاحية في نهاية الملخص العربي والانكليزي.

٥- تكتب الابحاث مكتوبة على برنامج (Microsoft Word) بخط (Arabic Simplified) للأبحاث المكتوبة باللغة العربية وبخط (Times New Roman) للأبحاث المكتوبة باللغة الانكليزية وبحجم (١٢) للمتن وحجم (١٤) للعناوين الرئيسية والفرعية.

٦- تعتمد المجلة دليل (APA) للنشر العلمي في التوثيق، وعلى الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر وأخلاقيات البحث العلمي بما يتوافق مع هذا النظام.

٧- تكتب مصادر البحث في صفحة أو صفحات مستقلة مرتبة وفقاً للأصول المعتمدة على وفق الترتيب الآتي: كنية المؤلف، اسمه. (سنة الطبع). عنوان الكتاب. رقم الطبعة (ط٣). دار النشر. مكان النشر (المدينة). أنظر (نظام APA لتوثيق المصادر).

٨. تقديم سيرة علمية قصيرة (Short Biography) للباحث لا تتجاوز ٤ اسطر و بملف (Word) منفصل عن البحث في نفس القرص.

٩. تطبق المجلة نظام فحص الاستلال باستخدام برنامج (Turnitin) حيث يتم رفض نشر الابحاث التي تتجاوز فيها نسبة الاستلال النسبة المقبولة عالمياً.

١٠. يخضع البحث لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير في المجلة وذلك لتقرير أهلية البحث للتحكيم، ويحق لها أن تعتذر عن قبول البحث دون تقديم الاسباب.

١١. تتبع المجلة التقويم المزدوج السري لبيان صلاحية البحث للنشر، حيث يعرض البحث المقدم للنشر على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص أحدهما من داخل العراق والآخر من خارجه ويتم اختيارهما بسرية مطلقة. فضلا عن عرض البحث على خبير لغوي لتقويم سلامته اللغوية.

١٢. الابحاث التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات عليها لتكون صالحة للنشر تعاد الى اصحابها لأجراء التعديلات المطلوبة عليها ولا يُعاد البحث إلى صاحبه إذا لم يُقبل للنشر.

١٣. يشترط لنشر الابحاث المستلة من رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه موافقة خطية من الأستاذ المشرف على البحث، وفق النموذج المعتمد في المجلة. (موافقة المشرف)

١٤. تُعبّر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، لا عن رأي المجلة.

١٥. تنشر المجلة أعداد خاصة بالمؤتمرات العلمية المتوافقة مع تخصص المجلة.

١٦. لا تستوفي المجلة اي اجور لنشر الابحاث المقدمة من باحثين من خارج العراق. وتكون اجور نشر البحث للباحثين من داخل العراق (١٠٠) ألف دينار.

١٧. يمكن تسليم الابحاث المقدمة للنشر في المجلة على وفق ما يأتي:

أ. يدويا في مقر المجلة في شارع فلسطين / تقطع الموال / مقابل الجامعة المستنصرية.

ب. عبر تحميل البحث على الموقع الالكتروني للمجلة وفق الرابط:

[/https://ishraqaat.com](https://ishraqaat.com)

ت. مراسلة المجلة على عنوان البريد الالكتروني للمجلة:

al.tanmeia2016@yahoo.com

رئيس التحرير

دليل المؤلف Author Guidelines

أدناه الشروط والمتطلبات الواجب مراعاتها من قبل الباحث للنشر في

المجلة:

١. يجب أن يكون عنوان البحث موجزاً قدر الإمكان ومعبر عن البحث.
٢. أسماء الباحثين: تكتب أسماء الباحثين وعناوين عملهم بصورة واضحة مع البريد الإلكتروني للباحث الأول.
٣. يجب أن يتضمن المستخلص موجزاً واضحاً عن البحث مكون من ٢٥٠-٣٠٠ كلمة ويتبع المستخلص أسماء وعناوين الباحثين ويكتب بقطعة واحدة مستمرة بدون فقرات.
٤. المقدمة: وتتضمن مراجعة المعلومات وثيقة الصلة بموضوع البحث الموجودة، وتنتهي المقدمة بأهداف الدراسة وأساسها المنطقي.
٥. المواد وطرائق العمل: تذكر طرائق العمل بشكل مفصل إن كانت جديدة أما إذا كانت منشورة فتذكر بشكل مختصر مع الإشارة للمصدر وتستعمل وحدات النظام العالمي (S.I.UNITS) System International of Units
٦. النتائج والمناقشة: تعرض بشكل موجز وهادف وبنظام متوالي وتعرض النتائج بأفضل صورة معبرة وتوضع الجداول والأشكال في أماكنها المخصصة بعد الإشارة إليها في النتائج.

٧. يستعمل نظام الأرقام العربية وهكذا في البحوث المرسلة للنشر وتمثل

مناقشة النتائج تعبيراً موجزاً عن النتائج وتفسيراتها.

٨. المستخلص الإنكليزي يجب أن يكون وافياً ومعبراً عن البحث بصورة دقيقة

وليس بالضرورة أن يكون ترجمة حرفية للمستخلص العربي.

دليل المقيم Reviewer Guidelines

أدناه الشروط والمتطلبات الواجب مراعاتها من قبل المقيم للبحوث المرسلة للنشر في المجلة:

١. ملء استمارة التقويم المرسلة رفقة البحث المطلوب تقييمه بشكل دقيق وعدم ترك أي فقرة بدون إجابة.

٢. على المقيم التأكد من تطابق وتوافق عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية وفي حالة عدم تطابقهما اقتراح العنوان البديل.

٣. أن يبيّن المقيم هل أن الجداول والأشكال التخطيطية الموجودة في البحث وافية ومعبرة.

٤. أن يبيّن المقيم هل أن الباحث أتبع الأسلوب الإحصائي الصحيح.

٥. أن يوضح المقيم هل أن مناقشة النتائج كانت وافية ومنطقية.

٦. على المقيم تحديد مدى استخدام الباحث للمراجع العلمية الرصينة وحدانتها.

٧. أن يؤشر المقيم بشكل واضح على واحد من ثلاث اختيارات وهي:

- البحث صالح للنشر.

- البحث صالح للنشر بعد إجراء التعديلات.

- البحث غير صالح للنشر.

٨. يجب أن يوضح المقيم بورقة منفصلة ما هي التعديلات الأساسية التي يقترحها لغرض قبول البحث.

٩. للمقيّم حق طلب إعادة البحث إليه بعد إجراء التعديلات المطلوبة للتأكد

من التزام الباحث بها.

١٠. على المقيّم تسجيل اسمه ودرجته العلمية وعنوانه وتاريخ إجراء التقييم

مع التوقيع على استمارة التقييم المرسلة رفقة البحث المرسل له للتقييم.

المصادر

١. يستخدم النظام القياسي الدولي للوحدات (SI) وبعض استعمال مختصرات المصطلحات العلمية المعتمدة عالمياً على أن تكتب بشكل كاملة أول في النص.

٢. ترقيم الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في البحث وتزود بعناوين دالة على مضمون الجدول أو الشكل ويشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه في متن البحث.

٣. تكتب الاسماء العلمية (اللاتينية) للنباتات والحيوانات وغيرها بحروف مائلة لتمييزها عن باقي النص وتسمى أسماء المواد الكيميائية (المبيدات، الأدوية... الخ) بأسمائها العلمية وليست التجارية.

٤. يشار إلى المصادر في نهاية البحث كما يلي:
اللقب أو الاسم الثالث للمؤلف والسنة إذا كان البحث باسم باحث واحد، وإذا كان مؤلفين فيذكران والسنة وإذا كانوا ثلاثة فأكثر فيذكر اسم الأول وآخرون والسنة.

٥. ترتب المصادر حسب الصيغة العلمية (APA) وكما بالأمثلة المذكورة:
أ. بحث في مجلة.

اسم الباحث أو الباحثون، (السنة)، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد، العدد وصفحتي البدء والانتهاى للبحث.

ب- كتب.

اسم المؤلف أو المؤلفون، (السنة)، عنوان الكتاب، دار النشر وعدد الصفحات.

ج- الرسائل والاطاريح الجامعية.

اسم الباحث، (السنة)، عنوان الرسالة أو الأطروحة، العنوان (الكلية والجامعة)، وعدد الصفحات.

د- بحث في وقائع مؤتمر أو ندوة علمية.

اسم الباحث أو الباحثون، (السنة)، عنوان البحث، اسم المؤتمر أو الندوة العلمية، مكان الانعقاد، صفحتي البدء والانتهاى للبحث.

ترسل البحوث إلى مجلة إشراقات تنموية / مؤسسة العراق للثقافة والتنمية

العراق بغداد على البريد الالكتروني

al.tanmeia2016@yahoo.com



(تعهد الملكية الفكرية)

أني الباحث (.....) صاحب البحث
الموسوم (.....)
اتعهد بأن البحث قد انجز من قبلي ولم ينشر في مجلة اخرى داخل وخارج
العراق وارغب بنشره في (مجلة اشراقات تنموية) في مؤسسة العراق للثقافة
والتنمية.

التوقيع:

التاريخ:



(تعهد نقل حقوق الطبع والتوزيع)

أني الباحث (.....) صاحب البحث
الموسوم (.....)
اتعهد بنقل حقوق الطبع والتوزيع والنشر إلى (مجلة اشراقات تنموية) في
مؤسسة العراق للثقافة والتنمية.

التوقيع:

التاريخ:

كلمة العدد

يسعدنا أن نضع بين أيديكم العدد (٤٨) من مجلة "إشرافات تنموية" لشهر أيلول ٢٠٢٦، الصادرة عن مؤسسة العراقية للثقافة والتنمية. يأتي هذا الإصدار تنويجاً لجهود معرفي دؤوب استقطب نتاج نخبة من الباحثين والمفكرين المؤمنين بأن الكلمة المسؤولة هي حجر الزاوية في بناء النهضة الفكرية والمجتمعية.

لقد واصلت المجلة تطورها لتغدو منصة علمية جامعة تستقطب الكفاءات البحثية من داخل العراق وخارجه، مدعمةً جسور التواصل مع الجامعات والمراكز البحثية العربية والدولية، ومفعلةً حواراً أكاديمياً يتجاوز الحدود الجغرافية. إن ثقة قرائنا وباحثينا هي المحرك الرئيس لاستمرارنا في تقديم دراسات تتجاوز إثراء المكتبة العربية لتكون مرجعاً مساهماً في إيجاد معالجات حقيقية للتحديات المعاصرة في العلوم الإنسانية.

يزخر هذا العدد بحصيلة بحثية متميزة تمسّ واقعنا وتجبب بوعي عن تساؤلات مجتمعاتنا في مجالات التربية، والعلوم الاجتماعية، والإنسانية. وتحقيقاً لأعلى معايير الرصانة الأكاديمية، خضعت جميع البحوث لتقويم علمي دقيق وموضوعي من قبل نخبة من الخبراء والأكاديميين.

ولا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص الشكر والامتنان لهيئة التحرير والفريقين الإداري والفني على جهودهم المخلصة في إخراج هذا العدد ببهائه الحالي.

آملين أن يشكل هذا الإصدار إضافة نوعية للمشهد العلمي، وأن يظل
عطاؤنا نفعاً متجدداً لرفعة مجتمعاتنا.

رئيس التحرير

محتويات العدد

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
١.	توافد شعراء الغدوتين بين المغرب والأندلس (٤٨٤هـ و ٨٧٠هـ)	أ.م.د صفاء عبد الله برهان جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية	٤٦-١
٢.	التناسب التركيبي بين الألفاظ البينية وسياقاتها في القرآن الكريم	أ.د. محمد راضي خضير – باحث في الدراسات الإسلامية – بريطانيا	٧٥-٤٧
٣.	الظواهر الصوتية في النصّ القرآني وقراءاته: دراسة فونولوجية دلالية	د. علاء عبد الخالق حسين أ.د. خالد عبود حمّودي جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية	١١٠-٧٦
٤.	الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال	م.م. رسل ناجي أبراهيم الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية	١٤٣-١١١
٥.	أثر استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية وتنمية مهارات التفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي	م.د. ضياء عبد الخالق حسين الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية	١٨٠-١٤٤
٦.	الحصانة لدى طالبات قسم رياض الأطفال	أ.د. ايناس محمد مهدي الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم رياض الاطفال	٢٠٤-١٨١
٧.	أثر استراتيجية التجسير الثلاثية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاجتماعيات	أ.م. علي راضي سعد الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية	٢٣٥-٢٠٥
٨.	علل الإغلال والإبدال وأثرها في الدلالة المعجمية (لسان العرب أنموذجاً)	د. علاء عبد الخالق حسين أ.د. خالد عبود حمّودي	٢٧٤-٢٣٦

٢٩٣-٢٧٥	أ.م.د. حسين عبد الواحد بدر كلية التربية الأساسية – الجامعة المستنصرية	موقف التيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية في النجف الأشرف من الحركة الدستورية الفارسية (1905-1911)	٩.
---------	--	---	----

توافد شعراء العُدوتين بين المغرب والأندلس

(٨٤٤ هـ و ٨٧٠ هـ)

أ.م.د. صفاء عبد الله برهان

كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد

ملخص البحث:

تحاول مفردات البحث النظر في الحركة الاجتماعية، التي نتجت عن توافد شعراء المغرب والأندلس، على عدوتيهما بعضهما بعضا، في مرحلة مهمة وطويلة من تاريخهما، عندما توحدتا سياسيا تحت راية الدولة المغربية، وانضمتا في جغرافية جديدة، كانت تمثل تحكم الأمة الأمازيغية المسلمة، بمقاليد السلطة عصر ذاك، وهو ما تمثل بتعاقب اثنتين من الأسر ذات الأصول الأمازيغية، على حكم تينيك العدوتين، عندما شرعت الدولة المرابطية التي ترتقي بنسبها إلى قبيلة صنهاجة الأمازيغية المعروفة، الحكم في بلاد الأندلس سنة ٤٨٤ هـ، ثم أعقبتها الدولة الموحدية التي ترتقي بنسبها لقبيلة زناتة الأمازيغية سنة ٥٤٠ هـ، ثم أعقب ذلك ظلال الدولة المرينية سنة ٦٦٨ هـ، وهذت ترتقي إلى قبيلة زناتة كذلك، وكان لها أن تكون خير عون للأندلسيين، ولم تكن لها رغبة كسابقتيها، في حكم الأندلس بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ لذا كان شعراء ذلك العصر، يرمقون قوة تلك الدولة المغربية، سواء في الحكم المباشر أو العون المباشر، مما أدى إلى توافدهم عليها في شكل هجرات فردية، وهو الحال الذي شاكله وإن كان بنحو أقل، في الهجرة العكسية للمغاربة نحو الأندلس، بما شكّل تعاقبا واضحا في صورة الرحلة نحو العدوتين. وعلى وفق ذلك فقد كان لتلك الرحلات، أثر الواضح في حديث الشعر بتلك البلاد، وهو ما انتجته القرائح الشعرية، معبرة عن الظروف الشخصية، كما الظروف العامة التي حاصرت مجتمعا، وما أمسى له من أثر بين في طريقة التفكير والإنشاد، بما شكل معه ظاهرة اجتماعية، وأثمر عنه شعر الارتحال نحوهما، فكان ذلك يمنح المتلقي، فرصة للاطلاع على الحركة المتعاقبة بين العدوتين، كما يجلي معه صورة الشاعر الأندلسي وخدينه المغربي، وهو يعاني الأزمات المحلية، ويسعى إلى تفرغ شحنته في موطن غير موطنه، ولاسيما بعد تفاقم الظروف

الاجتماعية، وتدهور الحياة السياسية هناك، بما شهدته الأندلس من نزوح جماعي. كان ذلك بعد معارك حروب الاسترداد التي شنتها ممالك الإيبان، بعيد انكسار الموحيدين في موقعة حصن العقاب. وما أعقبته من تداعيات على الأندلس الكبرى، حيث سقط قواعدها الكبرى، حتى انحسر ملك المسلمين في مملكة صغيرة معزولة جنوباً، يحيطها الأعداء من كل مكان، وتتناهشتها الصراعات الداخلية، فأجمل الشعراء كل ذلك في أشعارهم الراحلة معهم، بمشاعرهم المكرومة على ضياع مجدهم. وبذلك كانت هذه المفردات البحثية، ترافق تلك المرحلة التاريخية، بحسب النبضات الشعرية لأدباء العدوتين، فتحكي تلك المحنة الشخصية، والصورة المحلية لهما، في البيئة المستقبلية لهم. **الكلمات المفتاحية:** (العدوتان، الهجرة الأدبية، المرابطون، الموحدون، المرينيون، التداخل الثقافي).

La afluencia de poetas entre las dos orillas: Marruecos y H)870(484H_ Al-Ándalus

Dr. Safaa Abdullah Burhan

ultad de Ciencias Islámicas, Universidad de Bagdad

Resumen:

Este estudio examina el movimiento social generado por el intercambio y la migración de los poetas entre las dos orillas, el Magreb y al-Ándalus, durante un largo e importante período de su historia. Ambas regiones quedaron unificadas políticamente bajo el dominio de los Estados magrebíes e integradas en un nuevo espacio geográfico gobernado por el elemento amazigh musulmán. Esta realidad se manifestó en la sucesión de dinastías de origen amazigh que gobernaron ambos territorios. La dinastía almorávide, descendiente de la tribu amazigh de Sanhaja, extendió su autoridad a al-Ándalus en el año 484 H (1091 d. C.). Posteriormente, la sucedió la dinastía almohade en el año 540 H (1145 d. C.), perteneciente a la tribu amazigh de Zanata. Más tarde apareció la dinastía meriní en el año 668 H (1269 d. C.), también de origen zanata, la cual desempeñó un papel fundamental en el apoyo a los andalusíes, aunque, a

diferencia de las dinastías precedentes, no mostró interés en gobernar al-Ándalus de forma directa ni indirecta. Por ello, los poetas de aquella época dirigieron su atención hacia el poder y el prestigio de estos Estados magrebíes, tanto por su autoridad política como por el apoyo que brindaban a al-Ándalus. Esto dio lugar a migraciones individuales de poetas andalusíes hacia el Magreb, así como, aunque en menor medida, a un movimiento inverso de poetas magrebíes hacia al-Ándalus, configurando un continuo intercambio literario entre ambas orillas. Estas migraciones ejercieron una influencia evidente en la producción poética de la época. Los poemas reflejaron tanto las circunstancias personales de sus autores como las difíciles condiciones sociales y políticas que rodeaban a sus comunidades. Este contexto dio origen a una poesía del viaje y del exilio, que ofrece al lector una imagen clara de la interacción cultural entre ambas orillas y revela la experiencia del poeta andalusí junto a la de su homólogo magrebí, quienes afrontaban las crisis de su tiempo buscando en otra tierra un espacio donde expresar sus inquietudes y sentimientos. Este fenómeno se intensificó tras el deterioro de la situación política y social de al-Ándalus, especialmente después de las campañas de la Reconquista emprendidas por los reinos cristianos y de la derrota almohade en la batalla de Las Navas de Tolosa. Como consecuencia, fueron cayendo los principales centros de al-Ándalus hasta quedar el poder musulmán reducido a un pequeño reino aislado en el sur de la península ibérica, rodeado por enemigos y debilitado por conflictos internos. Los poetas plasmaron esta tragedia en sus composiciones, expresando el profundo dolor provocado por la pérdida de la grandeza de al-Ándalus. En consecuencia, este estudio acompaña dicha etapa histórica a través de la sensibilidad poética de los escritores de ambas orillas, mostrando tanto sus vivencias personales como la realidad social e histórica que experimentaron y la forma en que expresaron sus sentimientos más profundos dentro del nuevo entorno que los acogió.

Palabras clave: dos orillas, migración literaria, almorávides, almohades, meriníes, intercambio cultural.

قدّر على الأندلس أن تدخل مرحلة جديدة، أحكمت صفحة مهمة من تاريخها، حين أخضعت إلى حكم سياسي، قدم عليها عابرا من الضفة الجنوبية، فكان أن توحدت العدوتان المغربية والأندلسية، تحت ظلال الحكم الأمازيغي المتمثل بقبائل لمتونة، ملثمو الصحراء، ذلك سنة ٤٨٤هـ، فكان ذلك يؤشر معه منهجية جديدة في الحكم؛ إذ أحكم المغاربة قبضتهم على العدوتين معا، للمرة الأولى في تاريخ البلدين المتشاطئين، بما قدم صورة جديدة لتلك البلاد، بعدما كانت تحكم من أبنائها الأصليين.

كان لتلك الحال أن تلقي ظلالها هناك، فقد أحكمت صورة الحياة المحلية لبلاد الأندلس، بما عرف عن المرابطين ملوك لمتونة، من حزم وورع وحسن سياسة، وتلك الحال تؤشر الذهنية الأمازيغية الحاكمة، حيث الأساليب المحكمة التي ضبطوا بها البلاد، وراعوا بها العباد، فقمت تلك المرحلة على تمييز معرفي، وتقييم عملي؛ لتكمل منهجيتها الرصينة في الحكم، الذي اتبعته في قيادة الأمور بالمغرب مركزا، وبلاد الصحراء شرقا، وبلاد السودان جنوبا.

وهكذا أفصحت منهجية الدولة المرابطية الأمازيغية المغربية، عن نفسها بصوت عالٍ، وكانت بذلك صورة غير معهودة في أدبيات السياسة الأندلسية، بما دفع شرائح من المجتمع الأندلسي إلى الالتفاف حول مشروعها، والسير خلف هديها، بل والوفود على أمرائها في الأندلس، ومنهم من يممّ نحو مراكش حاضرة الإمارة المرابطية، بما عمّق الصلة بينه وبين الحاكم وعمالهم، وكان ذلك نتيجة ظروف خاصة وعامة، ومنهم شريحة الشعراء ممن كانوا يتحلقون حول البلاط المرابطي، فيسيرون في ما يسعفهم من سبيل؛ لتجاوز الظروف الطارئة بأوطانهم، فسجلت مواقف أولئك الشعراء، وهم يرتحلون إلى العدو المغربية، بينت أحوالهم فيها.

وتشاء الأقدار أن تخلف تلك الدولة، دولة أخرى من جلدتها، فحدث أن نجم الموحدون، وهم فرع من قبيلة زناة الأمازيغية، وأعقبوا سلفهم في حكم البلاد، ومن ثم كان لهم أن يحكموا قبضتهم على الأندلس، لتبقى الوحدة السياسية الأمازيغية، هي الصورة السائدة في مشهد العدوتين، وقد تابع الموحدون سيرة سلفهم في الجهاد، وفي

فرض أدبياتهم المعرفية في العدوتين، وأظهروا دعوتهم التي قادوا بها رعيّتهم هناك، بما أظهروه من أفكار وأساليب في الحياة العامة.

كانت أرض المغرب أرضاً مستقبلية للأندلسيين، ممن شاء أن يلتحق بتلك العدوّة الجنوبية؛ بحسب الدوافع التي دفعته إليها، كذلك كانت أرض الأندلس، مأوى لعدد من المغاربة، بما مثّل معه صورة للتوافد المتبادل بين العدوتين، ولاسيما ما وقع من نزوح الكثير من الأندلسيين، بعد معارك الاسترداد الحامية الوطيس، التي أجلت عن سقوط حواضر الأندلس وقواعدها الكبرى، ولم يكن حال دينيك القطرين المسلمين، ليختلف عنه في أيام بني مرين في المغرب، وبني نصر في غرناطة، حيث انحسرت فيها الأندلس وقتذاك.

لقد تمثلت تلك الأرض المسلمة في مملكة وحيدة معزولة، حافظت على رمق الوجود الإسلامي الأخير في تلك البلاد، ولم تكن في حال سياسي يسر المؤمنين؛ لأنها كانت عرضة للصراعات التي أضعفتها، والمؤامرات التي مزقت هيبتها، وأذهبت ريحها؛ نتيجة تنازع أهلها.

نتيجة ذلك أن لجأ الكثير من أعيان غرناطة إلى المغرب، ووجدوا في تلك الديار ما يؤنس وحشتهم عن موطنهم الأصلي، بما شكل ظاهر واضحة، كشفت عناوين أندلسية كبيرة، آثرت مغادرة موطن الآباء والأجداد؛ لتستقر بنحو مؤقت أو دائم بفاس أو سبتة، على حين كان للظروف الخاصة، أن تدفع بعدد من شعراء المغرب إلى مغادرتها، والذهاب شمالاً حيث غرناطة، بما عوّضهم ما افتقدوه في بلادهم.

تلك الإشارات الواضحة والكثيرة البينة، كانت دافعا مهما أخذ بيد الباحث، وهو يقلب صفحات الحضور المغربي بالأندلس، ويتأمل في تلك الهجرات المتبادلة، بما أشر لديه صورة للمشهد الثقافي عصر ذاك، في مدة زمنية نيفت على أربعة قرون، مثلت صورة لاتحاد العدوتين سياسيا واجتماعيا إلى حد كبير.

فكان أن نظر في أحوال الشعراء المرتحلين، والنظر في الظروف التي دفعتهم إلى ذلك، مع الاستشهاد بما أنشدوه في رحلتهم، بما شكل ظاهرة اجتماعية، احتجنت

أزمات شخصية لهم، فعمل على متابعتها، ومن ثم البحث في مخرجاتها، وهو ما يعطي فرصة لإعادة قراءة الشخصية الشعرية، وهي تغادر موطنها الأصلي، رغبة كان ذلك أم رهبة، بهدف الوصول إلى وصف تلك الظاهرة، وبيان القضايا الرئيسية المتصلة بها، وطبيعة الحاضنة المستقبلية، وتداعيات ذلك في شعرهم، كما بيان محاسن الغربة والاغتراب إن وجد، فضلا عما يقدمه الشاعر المغترب من نقد اجتماعي لموطنه، أو للحاضنة التي استقبلته.

وعليه اتخذت هذه المفردات، عنوانا يساير تلك الظاهرة، وهو (توافد شعراء المغرب والأندلس بين العدوتين" ٤٨٤هـ _ ٨٧٠هـ")، في محاولة للنظر إلى ذلك نظرة مكثفة، بما تسمح به صفحات البحث، فكان أن قسم على أقسام ثلاثة، بحسب المرحلة السياسية لكل عصر، وقد حمل عناوين متنوعة بحسب تلك المراحل، فكان القسم الأول (رحلة الشعراء الأندلسيين نحو المغرب في أيام المرابطين)، على حين حمل القسم الثاني، عنوان (توافد شعراء العدوتين بينهما أيام الموحدين)، وأخير حمل القسم الثالث عنوان (تعاقب شعراء العدوتين فيهما أيام المرينيين والنصريين)، وقد اتبع منهاجا تبعاً لطبيعة مادته؛ لأنها هي التي تقود إليه، فكان أن نظر إلى المنهج الوصفي؛ لما يمثله من وصف هذه الظاهرة الاجتماعية، ومتابعتها في مضامينها الذاتية والعامة، بما يمنحه هذا المنهج من قدرة على الاستنباط، ومتابعة المشهد الشعري؛ ليدفع بالبحث وكاتبه إلى الوصول إلى الحقائق، ومدى إثارة المفردات المغتربة لشعراء، ويجاور ظروفه الشخصية، بما يهدف إلى صورة الأحكام والمعايير، التي تتعلق في ضبط رحلة الشعراء بين العدوتين، بلحاظ أن ما دُون من مفردات بحثية، لا يمثل تلك الصورة الكاملة لحال القوم، بحسب مساحة البحث والمصادر التي بين أيدي الباحث.

والله تعالى ولي التوفيق والسداد

القسم الأول

رحلة الشعراء الأندلسيين نحو المغرب في أيام المرابطين

مرّت العدوتان أيام المرابطين، ولاسيما الأندلس، بمجموعة من التحوّلات الكبيرة، شملت شرائحها الاجتماعية كافة، ومنهم الشعراء، وهو ما دعاهم إلى التفكير بحالهم،

والنظر في مآلهم بموطنهم، ما دعاهم إلى تنشيط السفر نحو مواطن أخرى، بما يمثل بديلا اضطراريا عن موطنهم الأصلي، فبانّت تلك الظاهرة الاجتماعية في النصوص الشعرية، حين أنشدها الشعراء المتنقلون، وقد عرضوا في زوايا منها الهزات النفسية التي حلت بهم، كما الظروف الاجتماعية التي حاصرتهم بالضنك والقلق.

وعليه نشطت الحركة الأدبية في دولة المرابطين، ولاسيما أيام الأمير علي بن يوسف، فقد اعتنى بالأدباء وأكرم وفادة الشعراء، فكان لذلك أثر كبير في حضور عدد من الأدباء في حضرة مراكش، ومن ثم كان ذلك يسير في أمراء الدولة المرابطية، ممن تأثروا بالثقافة الأندلسية الكبيرة، فتتقوا بها إلى حد كبير، كما قرر ذلك المستعرب إميليو غارثيا غومث بقوله: (إن خلفاء يوسف بن تاشفين، لم يلبثوا أن استسلموا لسلطان الثقافة الأندلسية القاهر، وأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفارقة). (غومث، ١٩٥٢، ٢٨)

المرابطين، بُعيد حكمهم بلاد الأندلس، وعلى رأسهم الأمير علي؛ فقد تغيرت خشونة البداوة لديهم، وألّفوا ترف المدنية ونعومتها؛ بسبب تحضر الأندلس، ما جعلهم يخضعون لنمط الحياة السائد فيها، فتبنوا أدبيات المجتمع الأندلسي، وبذلك ضعفت جبلتهم القبلية، وأصبحوا أقرب إلى طبيعة رعاياهم، وكان ذلك سمة عامة، ومنها المخاطبات الديوانية، فقد (كانت المراسيم المرابطية، تصدر في أحيان كثيرة باللغتين البربرية والعربية، لتقف عليها الكثرة الغالبة من الرعايا، وهي المتكلمة بالعربية، ومما زاد في أهمية منصب الكتابة في الدولة المرابطية، وشغله بأعلام الكتاب البلغاء، فتح الأندلس، وخضوعها للحكم المرابطي، ووجوب مخاطبتها بنفس الأساليب العربية العالية التي كانت سائدة فيها). (عنان، ١٩٧٩، ٤٥/٣)

وهكذا تفردت تلك الدولة الأمازيغية، بأسلوب مرن جمع بين الأصالة اللغوية والمجاعة الثقافية، فكانت مراسيمهم الديوانية، تحكي لغتهم الأصلية واللغة المحلية؛ لضمان وصول التعليمات إلى الكثرة الغالبة، ما عزز التواصل الفعّال والشرعية السياسية لها، وقد عمق حكمهم الأندلس، أهمية تلك الكتابة الديوانية، الذي أحرزها

كتاب متمرسون، وهو ما دفعهم إلى مكاتبة الأندلسيين، تبعاً للأساليب البليغة التي عرفوا عصر ذاك؛ للحفاظ على هبة الدولة السياسية والإدارية، وإثبات كفاءتها البلاغية أمام مجتمع، عرف بجودة الأساليب وبلاغتها.

بلحاظ أن تلازم الشعر والدين، كان أساساً أحكم حركة شعراء العدوتين، فكان ذلك يمنحهم التعايش مع المجتمع المغربي المحافظ؛ ليمثل مرحلة إيجابية عاشها الشعراء هناك، فأرسوا ذلك في ضمن قصائدهم، وأغلبها مما توجهوا به إلى أولئك الولاة المغاربة، فأصبح بذلك صحيفة الانتقال إلى حضرة دولتهم، وأمسى مرحلة مهمة من المراحل الاجتماعية والأدبية.

ومما ينبغي ذكره أن الحضور المرابطي بالأندلس، كان يمد أولئك الشعراء بملازمة أمراء لمتونة هناك، وكان منهم من قصد حضرة مراكش، فاحتضنهم زمناً معلوماً، على حين قضى ما بقي من عمره بها؛ لأنه وجد فيها كل ما يعنيه ويعتني به، فيمنحه المنزلة الاجتماعية التي يبحث عنها، أو تلك التي فقدتها في موطنه الأندلس، وبذلك ضمنت مراكش ذلك التقاف مع الوافد، وهذه الحال كانت حاضرة عند أبي جعفر الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥ هـ)، فقد كان ممن قصد الأمير علي؛ لما قدمه من مآثر شاعت عنه، فقال: [الوافر] (التطيلي، ٢٠١٤، ٢٢٠)

جنا بك للعلا حصن وذكرك للمنى دنيا ودين

حصين

وأدنى غايتيك لها وكلتا راحتيك بها

أمان

أهاب بك الزمان إمام فلبته بك الحرب

عدل

حساماً ما انتضاه الدهر إلا ليعلم من يفى ممن

يخون

صقيل المتن رونقه وماضي الحد جوهره المنون

الأماني

لقد تحولت تلك السجايا المرصوفة في الأمير علي، إلى ضرورة حتمية واضحة تلازم وجود الأندلس؛ لأنه مثل ما تحتاجه البلاد من الحفاظ على وجودها، ونظرت كذلك إلى أهمية قيام مجتمعها على أساس ديني، وهو ما يثمر من مخرجات متنوعة، تعود على أهلها بالنفع؛ لذا استمر في تصوير تلك المآثر، بما تعتمد عليها من مفردات شعرية، تظل أسسا علمية لمرجعيات مختلفة، هيمنت على الذات المسلمة بالعدوتين، فنشطت صفات أمير المرابطين، مؤشرا أهميتها في حماية الوجود الأندلسي؛ بوصفه رأس الدولة القادرة على ذلك، وبترسيم مجتمعها المحلي دينيا، تحقق المصلحة الأندلسية الكبرى، ومن هذا المنظور الواسع، استمر في خطابه الشعري، بما جسّد هذه المآثر الجليلة، مرددا معها شعريته الخصبة، وأسسها العلمية ذات الأبعاد المتنوعة، فنجحت في صياغة الوجدان الجمعي، وإحكام الهيمنة على الذات المسلمة في العدوتين؛ لترسيخ شرعية القيادة المرابطية كحامية للدين والدنيا، فقال في ذلك الشأن: [الوافر] (التطيلي، ٢٠١٤، ٢٢٠)

إلى ملك تعود بسط	بخالقها تعين وتستعين
كف	
شديد البأس في صون	تكاد تذيله مما
المعالي	يلين
أبي حين يغشاها	قوي حين يرهاها
جسور	أمين
سطا أسدا وأشرق بدر	ودارت بالحتوف رحي
تمّ	طحون
وأحدقت الرماح به	علي أهالة حي أم
فأعيا	عرين

وهنا تلازمت الرؤية الأندلسية، مع ظروف البلاد وأحوال الأمير علي، فأسهمت في بيان تلك المآثر، فكان ذلك صورة ثقافية لذلك العصر، مع ما أبدت من تأثر بالسياسية، بما عملت من مشاريع خاصة بها، تظهر أثر تلك المرجعيات وما أثمرته

من مخرجات، ولاسيما الشجاعة التي أحكمت السيادة المرابطية وقتذاك، فكانت تلك الجهود الفردية، تؤشر كفاءة الأمير علي، وبراعته في الحكم، وما سينجلي من سد رغبات الشاعر، فتبقي بذلك على الآمال التي يربوها، ومن ثم فإنها ستتبعث تلك الجهود المحموده، في حلقات الأمراء المرابطين، وتتفتح على ما يؤمل من مآثرها، فكانت تجسد التصور الأندلسي عصر ذاك، حين تناغمت ظروف المجتمع، وأحوال الأمارة المرابطية، في صورة فكرية تعبر عن أمجاده، بلحاظ تأثرها بالرؤى السياسية، والنظم الإدارية، عندما أظهرت أهمية أركانها، وهي تسعى إلى بلوغ غايات عامة، ومنها الشجاعة التي دعت السيادة المرابطية، كما برهنت على كفاءة الأمير علي، وعمق تدبيره في تلبية احتياجات الشاعر، وإنجاز وعوده له، فأحرزت هذه الممارسات الكريمة، مكانتها في الذات الأندلسية الشاعرة، ومهدت الطريق لظهور المزيد من الإنجازات.

وهو ما يمكن أن نرصده، في ذكر الشاعر التطيلي، ولي العهد الأمير تاشفين بن علي، حين أبدى تلك الرغبات المحبوبة، بقوله: [الوافر] (التطيلي، ٢٠١٤، ٢٢٤)

ولي العهد لي بهـواك عهد كأن مدائحـي منه

يمين

سددت مفاقري وأشدت فذل الصعب وانقاد الحرون

باسمي

وخيل لي الغنى فنطقـت لعلمي أنه مما

يكون

عنه

فلخصت هذه الأبيات صورة المديح الأندلسي، واجلت معها الرعاية المرابطية؛ لتجسد بهذه المفردات الشعرية، طبيعة العلاقة القائمة على تبادل المنفعة، بما أظهر ولاء الشاعر لولي العهد، حين أمسى الولاء العاطفي والسياسي، مشهد ميثاق غليظ قدمته مدائحـه، ما يظهر رغبته في نيل الثقة المطلقة، وقد انتقل بعدها لكشف أثر ذلك؛ إذ تحول ولي العهد إلى راعٍ اجتماعي له، أنقذه من الفقر المحاصر له، ورفع منزلته

بين الناس، فمنحه ذلك نفوذا معنويا، تذلت أمامه الصعاب، وانقادت له الأمور المستعصية، لذلك ختم مآثره ببيان الدعم الوجداني، فالشاعر لم يكتفِ بنيل الغنى الفعلي، بل إن مجرد وعد الأمير وتخيله للثروة، جعله ينطق بلسان الأغنياء الواثقين، لليقين الحتمي بأن عطاء ولي العهد حقيقة واقعة لا شك فيها.

ومن الشعراء الذين ارتحلوا إلى العدو المغربية، الشاعر أبو بكر بن بقي القرطبي (ت ٥٤٠ هـ)، وكان عازما على مغادرة الأندلس، بحسب الظروف الاجتماعية التي أحاطت به وقتذاك، وقد ذكر ذلك في قصيدة مدح بها الأمير أبا القاسم بن عشرة، بقوله: [البسيط] (ابن بقي، ١٤٢، ١٩٧٨)

قالوا تغربت عن أقطار	ومن يقيم على هون و اقلال ؟
أندلس	
مالي وايطانها دارا وقد	من المقام بها خيلي
سئمت	وأجمالي
نفضت فيها من العيش الهني	وهل يعيش كريم بين بخال
يدي	؟
وكم لنيم تجافي بي فصلت	اذ غره اللين من مسي
به	وتسهالي
لم ينجه أحد مني وقد	له القصائد عن أنياب
كشرت	أغوال

كشف الشاعر حدوث تغييرات كبيرة، دعتة إلى التغرب عن دياره، ولم يعد من حقّه فعل ما يريد، وقد تملكته رؤية واضحة لسبل المغادرة، فكان يبحث عما يقربه من أقدانه الكرام؛ ليؤدي دوره في ساحتهم؛ لذا شرع بنقد مجتمعه، وحملت مفرداته صورة الإنسان الأندلسي، الذي مثل أحوال العصر، ولم يعد من المناسب له الإنشاد، إلا بما يهجو به اللئام؛ ليصور تلك الشريحة، وحالها من السيادة التي تلازمها، فكشف محنة الأديب الأندلسي حين تداهمه حادثه، تجعله يغادر موطنه مجبرا، ويغترب في مجتمع غريب عنه، يسلبه حريته وقدرته على الفاعلية، فسعى أمام هذا الواقع المأزوم، وبفضل

من وعيه الحاد، إلى مغادرة هذا المجتمع الخانع، والبحث عن حاضنة، تنتظم فيها النخبة التي ينتمي إليها، وبذلك يؤشر نقدا لاذعا للبيئة المغربية وقتذاك، محولا قصيدته إلى شاهد على العصر، يجسد الأزمة الإنسان الأندلسي فيها عهد ذاك.

كانت تلك الهجرة تحكي فطنة الشاعر الأندلسي، وقد مثلت ظاهرة هجرة شريحته مع نضيرته العلمية، بيد أنه وقع له بعد ذلك، ما دعاه إلى أن ينكص على موطنه الأصلي، وقد عبر عن تلك المحنة الأخرى، تعبيرا مؤلما، أظهر اضطرابا يحاصره، فأقام في مدينة وادي آش، وأنشد في تلك المدينة عللت عودته، بقوله: [البسيط]

(المرجع نفسه، ١٩٧٨، ١٤٨)

أقمت فيكم على الاقتار و	لو كنت حرا أبي النفس لم
العدم	أقم
وظلت أبكي لكم عذرا	تستيقظون وقد نمتم عن
لعلكم	الكرم
فلا حديقكم يُجنى لها	ولا سماؤكم تهلّ
ثمر	بالدّيم
لا رزق لي عندكم لكن	في الارض ان كانت الأرزاق
سأطلبه	بالقسم

جسدت هذه المفردات الشعرية، صرخة احتجاج أدبية واجتماعية حادة، بما كشف أزمة الأديب في ضمن مجتمع راكد؛ نتيجة تبدل القيم الحاكمة للعلاقات الإنسانية والاقتصادية عصراك، وبهذا يقف المتلقي على تلك المفارقة الاجتماعية، حين ربط بها الشاعر بين الإقتار والعدم، وبين سلب الحرية والكرامة الإنسانية، ومن ثم فإن مكوثه هناك، يمثل خدشا لذاته، ما حداه إلى تنشيط وعيه النقدي، عبر معاتبة النخبة أو المجتمع، فعبر عن ذلك بنومهم عن الكرم، وغفلتهم عن رعاية المبدعين، ومع ذلك لم يلق سوى التجاهل والجحود، وبهذا ينتقل من تصوير الأزمة الذاتية، إلى تقديم موقف نقدي للبيئة المحيطة، تسلب المجتمع خصوصته وأريحيته، وعليه ختم أبياته بالركون إلى

الاغتراب؛ بوصفه وسيلة للمقاومة والتحرر، فغادر موطنه بحثا عن حاضنة جديدة،
تقدر موهبته، وتؤمن له العيش الكريم، وهو ما يفسر تاريخيا حركة انتقال الأدباء
الأندلسيين، نحو بلاط المرابطين في المغرب الأقصى.

والواقع أن ثمة اختلاف في الأحوال، دعتة يعيش اغترابا بالمغرب، فوصف الألم
الذي اكتوت به نفسه، عن طريق العوز والبخل والحرمان، وصور ذلك بمشاهد شعرية،
استمدت مفرداتها من مجتمعه المهجور، وتشارك في تحديد الأزمة التي احتوته، وبذلك
يكشف صعوبة تجربة الغربة التي عاشها أواخر إقامته، فما لبث أن اعتد بشخصيته
الأندلسية المتحضرة، بقوله: [البسيط] (المرجع نفسه، ١٩٧٨، ١٤٩)

أنا امرؤ إن نبت بي أرض	جئت العراق فقامت لي على
أندلس	قدم
أين الرجا والعلی من حزم يقط	يغزو أعاديه في الأشهر
	الحرم
ان كان سهما فلا تنمي	أو كان سيفاً فمسلول على
رميته	الهم
ما العيش بالعلم الاحيلة	وحرفة وكلت بالقعد
ضعفت	البرم
لا يكسر الله متن الرمح أن	نيل العلا واتاح الكسر
به	للقلم
ولا أراق دما من باسل	ومات كل أديب عبطة
بطل	بدم
أوغلت في المغرب الأقصى	نيل الرغائب حتى أبت
وأعجزني	بالندم

أشار هنا إلى طبيعة الشخصية الأندلسية، إزاء طبيعة نظيرتها المغربية، فدفع
بأبياته إلى بعد معرفي، مثل ضرورة ملحة في النسق الاجتماعي المغربي، فهو لا يجد
مندوحة في العيش إلا من حيلة، فنقرت تلك الأرض من الشخصية الأندلسية؛ بسبب ما

طراً عليها من تغيير مفاجئ، وإن وجدت فسحة فإنها لم تقرض الحلول، ولم تكن تسمح بجعل الأندلسي الغريب، إنساناً منسجماً مع مجتمعهما، بعد نأيه عن ذلك الأمير؛ لذا كانت مفرداته الشعرية، تعبر عن مجابهة عسيرة وقعت له بالمغرب، بما أبدته من رفض للشخصية الأندلسية؛ لعدم تكيفها مع تضاريس المغرب، وحال ساكنوها التي تأصلت فيها البداوة، فدلّ على انغلاق المجتمع المغربي، بعد فسحة اجتماعية وثقافية أيام الأمير الذي رافقه، وفرضت عليه البحث عن الحيلة؛ لأجل للعيش في بيئة اجتماعية محلية، غلبت عليها البداوة والانغلاق، ومع الوعي المعرفي الذي حمله، إلا أن طبيعة البلاد وساكنيها، نفّرتهم ومنعتهم من الانفتاح والتكيف، بما كشف عمق الفجوة الحضارية، حيث ثنائية اجتماعية واضحة، تمثلت بـ(مدنية الأندلس وخشونة المغرب). وكان أبو بكر بن سهل اليكبي (ت ٥٦٠هـ)، من الشعراء الأندلسيين الذين اشتكى إلى الأمير علي، معرضاً بما يفعله القاضي ابن أسود بمرسية وقتذاك، قال: [الطويل]

(ابن سعيد الأندلسي، ١٩٥٥، ١٥٧/٢)

تسمّع أمير المسلمين	تصمّ لها الأذان في كل
لنبأة	مشهد
بمرسية قاض تجاوز	وأخطأ وجه الرشيد في كل مقصد
حده	
يطالبه الأيتام في جل	و يطلبه في حقه كل
مالهم	مسجد
فما بيضت كفاك بالعدل لم	تسوده بالجور كف ابن
تزل	أسود

وهذه المفردات تصور خطاب المظالم، ورقابة أربابها شعراء عصر المرابطين، إزاء حال الولاة والقضاة، ونلاحظ توجه الشاعر بجرأة عالية، في ضمن خطاب مباشر إلى رأس السلطة، بصيغة الأمر التي تنشط ليقظة؛ بحسب استعمال مفردة (تسمّع)، وهنا وضعها أمام مسؤولياتها، محذراً من حادث جلل، يهز استقرار الرعية وتصمّ لها

الآذان، وقد اتخذ من مدينة مرسية، أنموذجا للفساد السائد يومذاك، موجهها أصابع الاتهام، نحو القاضي ابن أسود، الذي جار على فئة مستضعفة، وهي الأيتام، بل نال حيفه المسجد، ومن ثم نلحظ المفارقة في البيت الأخير، عبر إحداث مفارقة ثنائية للكف، احتجنت سلوك السلطتين المركزية والمحلية؛ فالشاعر يقيم موازنة بين كف الأمير التي بيضت البلاد عدلا، وكف القاضي التي سودتها جورا، وهو ما يظهر ثقة النخبة الأندلسية في عدالة الأولى، بوصفها تملك القدرة التي ترفع المظالم، وكبح جماح تعسف الأخرى؛ لإعادة التوازن الاجتماعي بين العدوتين، فأمسى الشعر حاضرا في الشجن الأندلسي، وقد انتقل بتلك الرسالة الشعرية إلى حضرة المرابطين، متجاوزا ولاتهم بالأندلس، وهو ما يعني أن ثمة حلول، لا يقدر عليها سوى أمير المسلمين، بعدما آيس من ممثليه بالأندلس، فقدم ذلك الإشكال الرفض لما جلبه ابن الأسود بمرسية، وهو ما يؤكد صورة لملاحم ذلك الحكم، الذي استبد به ولادة المرابطين دون أميرهم.

ذلك الشأن دفعه إلى مغادرة مرسية، وقصد المغرب في أيام الأمير علي؛ ليسكن حضرة فاس، ويظهر أنه لم يطب له المقام فيها، فهجا تلك المدينة وأهلها، وتلك الحال لازمت أبا بكر اليكي، وكانت تمثل ظاهرة شائعة عند الشعراء الأندلسيين، فهم لم يتأقلموا كثيرا مع البيئة المغربية، وكانت سلوكياتها تخالف ما تعاودوه في بلادهم، ومما قاله أبو بكر اليكي يهجو فاس وأهلها، هذه الأبيات: [الوافر] (الحموي، ١٩٩٥،

٢٣١/٤)

فراق الهم عند خروج فاس	لكل ملمة تخشى و
فأما أرضها فأجل أرض	باس
بلاد لم تكن وطننا لحـر	وأما أهلها فأخس
	ناس
	ولا اشتملت على رجل
	مواسي

هنا شرع الشاعر بصورة جديدة، تصور مشاعر مغادرة المكان الوافد عليه، عندما نظر في مغادرة فاس، فرجا لأسره فيها، والخلاص من همومه فيها، وقد رفق أبو بكر اليكّي طبيعة أهل فاس السلبية، وكانت تعطي صورة نمطية لذلك مجتمع المغلق؛ إذ يمنع الغريب من التكيف معه، لامتناع وسائل التواصل الطبيعية فيه، بحسب مشاعر العزلة الروحية فيها، فمدح أرضها لما تحتويه من مشهد المولى إدريس الأزهر وأولاده الكرام، فضلا عن المآثر الحضارية لتلك المدينة التي لم تشفع لطبيعة الفاسيين، وترصد ذلك الهمّ الذي حاصره فيها، ومن ثم كانت تلك المدينة تمثل قيّدا مكانيا واجتماعيا له ولأمثاله، على الرغم من أنها حاضرة المغرب الأولى، وبذلك أزرى بخلوهم من المآثر نحو الذات الشاعرة الوافدة، بما يصور صدمة اغتراب النخبة الأندلسية المترفة، عند نزولها الحواضر المغربية، ولاسيما مدينة فاس عهد ذاك، وبذلك جسدت أبياته مفارقة حادة، فصلت بين جغرافية المكان وساكنوه، وقد نفى الشاعر عن فاس صفة الوطن بمعناه الحضاري والإنساني؛ لأن الوطن في وعيه، فضاء مكاني مريح، يتسع للحرية، والتكافل، وحين أجذبت العلاقات الإنسانية من الرجل المواسي، تحولت فاس في نظره إلى بيئة طاردة، لا تليق بإنسان حر أو مبدع صاحب أنف.؛ لجفاء أهلها الذي دفعه إلى الهجاء؛ لتفريغ شحنته النفسية ضد مجتمعها، معلنا عدم تمكنه من التكيف فيها، فغادرها غير آسف عليها.

وهو ما ينجلي سلبيا على فعالية تلك الحضرة؛ لأن تمدّنها لم يرفع من طبيعة أهلها، فتجعل من الوافد عليها في مهمشا اجتماعيا، وستكون عبئا جديدا عليه، بما يخالف الحضارة الإنسانية بالغرب الإسلامي، فردد ذلك الهجاء، وبذلك يقدم صورة قاتمة لرحلة الشاعر الأندلسي نحو العدو المغربية، ويؤكد معها أن ليس بلاد ممكن أن تتكيف مع الطبيعة الأندلسية، بما يشكب تميزا لها عما سواها، وهو ما ذكره بقوله:

[البسيط] (ابن شريفة، ١٩٩٩، ٢٣٣)

فأصبحت فيكم الآراء

متفقـة

يا أهل فاس لقد ساءت

ضمايركم

كل امرئ منكم قد حاز	بها أحاط كدور العين
منقصة	بالحدقة
وربما اجتمعت في بعض	نَقَائِصُ أَصْبَحَتْ فِي النَّاسِ
ساداتكم	مُفْتَرِقُهُ
كَالْقَرْنِ وَالْقَوْدِ الْمَشْهُورِ وَالْكَذِبِ	مَعْرُوفِ وَالْخَلَّةِ الشَّنْعَاءِ
ال	وَالسَّرِقَةِ
فلاتها بن فاسيا مررت	وإن تقل فيه خيرا حوّل
به	الدرقة
فلا سقى الله فاسا صوب	نعم ولا اخضرّ في أرجائها
غادية	ورقة

صورت هذه المفردات منهجية المجتمع الفاسي المتوارثة، متناولا الضمير والفكر والسلوك والأفعال، فتوزعت على طبقات المجتمع الفاسي كافة، فكان له أن يربط الأدب بالمجتمع عن طريق تلك الحال، فأسهلوا جميعا من الطفل إلى الشيخ، في تلك الصورة المعهودة لمدينتهم، فهم مشتركون في جعلها بيئة طاردة، بل منقرة للأندلسيين الذين لم يتعاهدوا ذلك، فكانت رحلته إلى المغرب، تمثل حال ملازمة لذلك الضنك، وما تعنيه من النظر في أحواله وذاته، ومدى انسجامها مع طبائعه الأندلسية، بما يمثل إبداعه الشخصي، حين تجمع ظواهره العامة، فوصف العلاقة القائمة بينهما، وقدم قناعاته على أساس التجربة التي عاشها، وهو ما يؤكد أن الأديب يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ بحسب المؤثرات النفسية والاقتصادية والفكرية، ومن ثم فإنه ما يواجه من أتراح وأفراح، مخضتها تجاربه وأحاسيسه الخاصة، فكشفت صورة التنازع بين المثقف الوافد والمجتمع المحلي، بما يعني أن ثمة محددات أخلاقية واجتماعية وثقافية، كانت تحكم الذائقة الأندلسية عامة، والأدبية خاصة، فكان لها أن تظهر عدم تواصلها مع أدبيات المجتمع الفاسي، لما وجد فيه من سلبيات كثيرة، لم يتعاهدها في نشأته الاجتماعية، وقد صرح بتها في شعره، حين رصد الشاعر الفساد الجمعي للفاسيين، مركزا على قادة المجتمع، الذين جمعوا كل النقائص الأخلاقية والاجتماعية، التي قد تتفرق في سائر

البشر، وهي (الكذب، والسرقة، والخيانة، واللؤم)، ما يؤشر انهيار المنظومة الأخلاقية شعبيا و رسميا، كذلك يبرز حال الجفاء المتبادل؛ فالفاسي في نظره مستعد لمجابهة الخير، في إشارة إلى رفض المجتمع أفعال البر، فدعاه إلى مقاطعتهم، والدعاء عليهم بالقحط والجذب، وهو ما يمثل صورة للنفرة الأندلسية من البيئة المغربية، وهذا مما شاع عند الكثير من الأدباء الأندلسيين، وهم يوازنون بين بيئتهم المتحضرة وبيئة المغرب البدوية، على الرغم مما لحق بها من مدنية، لكنها لم تكن كافية إلى الحد الذي تستميل الشخصية الأدبية الأندلسية وقتذاك.

القسم الثاني

توافد شعراء العدوتين بينهما أيام الموحدين

مثلت أيام الموحدين عصر الطمأنينة التي عرفتھا العدوتان، كان ذلك زمن ملوكها الكبار؛ إذ بان أثرها في الثقافة الأندلسية، فأظهرت بذلك تطورا في أدواتها التي اتخذتها من ازدهار المجتمع، وبذلك تسنى لها ربطها بالأعمال الأدبية، في ضمن واقعها الاجتماعي، وهو من أهم ما يتحصل عليه في العدوتين وقتذاك؛ لأنها ستظهر المضامين الثقافية التي تعبر عن صورة المجتمع الحضارية، وما يصدر عن أدباء العصر، من نظرات للمنجز الموحي المتقرد، فكانت أيام الموحدين، مرحلة تاريخية في تاريخ المغرب الأقصى خاصة؛ لأنها مثلت تطور الحضارة الإسلامية بتلك البلاد، تبعا لما قدّمه الموحدون من مآثر حضارية، كان لها أن تؤدي دورها في مضاهاة مغربية، شملت عددا من الحواضر الإسلامية وقتذاك.

وبلحاحظ عام فقد كان ذلك سببا في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بمراكش، وقد شهدت الكثير من الإصلاحات المدنية والعمرانية والاجتماعية والثقافية، لم تبلغها أيام الأمراء المرابطين ببلاد المغرب الأقصى، حتى تردد ذكرها بعد مدينة فاس حضرة العلم الأولى، وسواها من المدن المغربية الأخرى، بل لقد سميت ببغداد المغرب، كما قرّر العلامة المنوني، قائلا: (صارت مراكش هي الأخرى عاصمة علم ثانية، الأمر الذي له دخل كبير في تسمية غير واحد لها ببغداد المغرب، وكذا سبّطه وطنجة وغير مدينة من

مدن المغرب، وكذا وجد في المغرب لهذا العهد عدد عديد من الأدباء والفنانين من أهله ومن الوافدين عليه). (المنوني، ١٩٨٩، ١٤)

وهنا يوثق العلامة المنوني، ظاهرة الازدهار الثقافي للحواضر المغربية عصر ذاك؛ إذ أُمست مراكش عاصمة علمية ثانية، دفع المؤرخين والأدباء إلى تلقيبها ببغداد المغرب، تشبيها لها بحاضرة الخلافة العباسية، ولم يقتصر هذا الحراك على مراكش، بل امتد لمدن أخرى مثل سبتة وطنجة، ما جعل المغرب بيئة جاذبة وحاضنة حضارية كبرى، أمها عدد غفير من الأدباء والفنانين والمفكرين، سواء من أبناء المجتمع المحلي أم من النخب الوافدة.

وتأسيسا على ذلك الحراك، شهدت تلك المرحلة وفود عدد من الشعراء على مراكش، وكانت الأسباب تتنوع في ذلك الوفود، فمنها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبذلك تعددت الأسباب التي دفعت أولئك الشعراء، إلى حث الخطى للتنقل بين العدوتين، وما شهدته من اندماج في الكثير من أبعادهما الاجتماعية، ومنها الحياة الشعرية، فقد ذكر محمد عبد الله عنان أحوالها ذلك العصر، بقوله: (ازدهر الشعر خلال العصر الموحي بالأندلس والمغرب معا، وكان الخلفاء الموحدون يتذوقون الشعر الجيد، ويقدرّون أثر الإشادة والمديح، في تأييد هيبة الدولة والخلافة، ومن ثم فقد أسبغوا رعايتهم على الشعراء، وأغدقوا عليهم الصلات). (عنان، ١٩٧٩، ٤ / ٦٨٧)

كان هناك من الشعراء الأندلسيين مقيما في مراكش، منذ أيام دولة المرابطين، وبقي في المغرب الأقصى، حتى نجوم الموحدين في العدة المغربية، ونقصد بذلك أبا بكر بن سهل اليكبي، فقد أدرك عهد أول الخلفاء الموحدين عبد المؤمن؛ إذ روى له أبو الحسن الرعيني، هذه الأبيات التي تؤكد بقاءه حيا حتى ذلك العهد، وبذلك فإنه كان يؤكد التعويض الاجتماعي الذي افتقده في أيام ولاية المرابطين للعدوتين، فقال: [الهج] (أبو الحسن الرعيني، ٢٠٠٩، ٢٤٥)

لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمَلِكِ يَدُورُ السَّعْدُ فِي
الْقَلْبِ

وَلَا تَجْزَعْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْقُصَّادِ مِنْ دَرْكِ
فَيْمَمَهُ تَجِدُ مُلْكًا عَلَيْهِ مَسْحَةُ الْمُلْكِ

قدّمت رؤية الشاعر مدحة سياسية، تظهر انتقال اللواء إلى الموحيدين، وتعلن اليقين السياسي الكامل، بما يتعلق بحال السلطان الجديد، حيث تلك الإشارة إلى أن صعوده، وما يمثله من حتمية تاريخية، يقرر معها الرخاء والقوة، فوجه خطابا مطمئنا إلى قاصديه، وهم النخبة من الشعراء والعلماء والوافدين؛ لأنهم سيجدون في فناء الخليفة الموحيدي، ما يضمن كفاية العيش، ويخلو من التبعات أو المخاطر، ويمن ثم فالأحرى أن يختم بالارتحال نحوه؛ لأن الوافد عليه، سيدد ملكا حقيقيا، تكسوه هيبة الحكم، وعظمة الخلافة الصادقة، وبذلك خلص إلى انتقال حاضنة الإبداع والمتقنين الأندلسيين والمغاربة، من ظل المرابطين إلى راية الموحيدين.

وكان أبو بكر ابن طفيل الأندلسي (ت ٥٨١هـ)، من أعيان الأندلس في الطب والفلسفة والشعر، وقد مثل أنموذجا موسوعيا عهد ذاك، ألفه موطنه الأندلسي، مرورا بترقيه الاجتماعي والسياسي، كما صنعته الأدبية والطبية، حتى لحظة الوفود على الحاضرة مراكش، حيث وافته المنية بها ونيل التكريم الكبير حين وفاته، عند حضور السلطان الموحيدي لجنازته شخصيا، ما يظهر أعلى درجات التقدير، للنخبة الوافدة على مراكش، وقد أنشد فيها محفزا العرب على الجهاد في الأندلس، قوله: [الطويل] (عنان، ١٩٧٩، ٦٠/٤)

أفرسان قيس من بني هلال بن	وما جمعت من طاعن
عامر	ومضارب
لكم قبة المجد شدوا عمادها	بطاعة أمر الله من كل
	جانب
وقوموا لنصر الدين قومة	وفيتوا إلى التحقيق فيئة
ثائر	راغب
دعوناكم نبغي خلاص	دعاء بريئا من جميع
جميعكم	الشوائب

ونؤثركم زلفى بأعلى المراتب	نريد لكم ما نبغي
	لنفوسنا
عليكم وهذا عوده جد	لكم نصر الإسلام بدءاً
واجب	فنصره
ولا تغفلوا إحياء تلك	فقوموا بما قامت به
المناقب	أوائلكم
ومهديه منكم بلا عيب	وقد جعل الله النبي
عائب	وآله

لقد رأى ابن طفيل أن تلك القبائل العربية، ستكون الركن الذي تتأسس عليه الأمجاد الإسلامية بالأندلس، لما لها من دور تؤديه في نصره الدعوة الموحدية، فكانوا يسعون إلى وجود حركة واعية، ذات إطار واضح في تحركاتهم، وهو ما يعني أن ابن طفيل، كان يرقب مزايا تلك القبائل، في ضوء ما قدمته للإسلام قديماً، وهنا ينشئ العلاقة بينه وبين تلك القبائل، حيث (دعوناكم)، بلحاظ أن ذلك عمق العلاقة بين الموحدين والعرب والأندلسيين، وكل ذلك يجتمع تحت راية الدعوة الموحدية، عندما بدأت تجوس خلال الديار المغربية والأندلسية، وتتأثر بما قدمته تلك الدعوة من منجزات عمرانية وفكرية، دعت إلى تحضر تلك القبائل في حضرة مراكش، كما انسجامها في الأندلس، ويبدو أن ابن طفيل، تأثر بتلك الدعوة كما ظهر في البيت الأخير، عندما أوصلها إلى مرجعيات دينية واضحة، فجعل منها معايير للحياة الرشيدة، وهو ما يعود إلى تلك التجارب الكبيرة التي قَدَّمها الخلفاء الموحدون، بعدما نشروا دعوتهم بربوع المغرب، ومن ثم كان للقبائل العربية إلى جنب القبائل الأمازيغية، الدور الكبير الذي أدّته في الانتقال إلى هذا المستوى الكبير من الوعي، فدفعت إلى ذلك التطوّر الكبير الذي عاشته، ودعاها إلى ما جربته، وقد جعلهم جزءاً من الدعوة الموحدية، ولهم الأثر في إحياء مناقب أسلافهم، والعيش بتجاربهم الناجحة.

وكان أبو القاسم البلوي الإشبيلي (ت ٦٥٧هـ)، من الأدباء الأندلسيين ممن ضاق بهم المقام في بلادهم، فقصده حضرة مراكش، ولكنه كان ذا حركة تعاقبية بين العدوتين، بحسب ظروفه الخاصة؛ نتيجة ولائه السياسي، ما جعل من أدبه وشعره، صورة حية لصراعات العصر وتقلبات الولاءات. وقد شارك في مناسبات البلاط، ومنها تسنم المعتضد مقاليد الحكم بعد الرشيد، قال: [البسيط] (المراكشي، ٢٠١٢، ٥٢٢/١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ بُشْرَى بَعْدَهَا
بِشْرُ بِهِ الْبَشْرُ
نَامَتْ رَعِيَّتُهُ فِي حِجْرٍ
وَفِي رِعَايَتِهَا مِنْ شَأْنِهِ السَّهْرُ
إِمْرَتِهِ

وَأَشْرَقَ الْأُنْسُ مِنْ بَعْدِ الرَّشِيدِ بِهِ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي لَيْلِ الْأَسَى قَمَرُ
نجد هنا أن سبب المدحة السياسية، هو استقرار نظام الحكم الجديد، ومن ثم الاحتفاء بشريعته، بعد ما شهدت البلاد اضطرابات واضحة، وعليه حمل خطاب الشاعر، طمأنينة عامة للرعية بقدوم هذا الخليفة، فهو صمام أمان للبلاد ولعباد، وستنعم الرعية في عهده بالسكينة والأمان والرخاء؛ لأن سيحمل عبء الحراسة، والتفكير، والتخطيط، والسهر على عاتق الحاكم وحده، بعد انتهاء اضطرابات أيام سلفه الرشيد، مؤكداً أن قدومه طرد حوالك تلك الأيام، وأشرق أيامه بالأنس والاستقرار، في صورة لتبديد ظلمات الفوضى، وأعاد صياغة الوجدان الجماعي بالعدل والأمان، وبذا أعلن أبو القاسم البلوي مرحلة انتقال إيجابية؛ إذ رصد تحولاً ترتجيه الرعية بعد موت الرشيد الموحي، فشارك بشعره في تدوين التاريخ الموحي، وبيان أحوال الرعية بين الخليفين المتعاقبين، فكان كأغلب الشعراء الأندلسيين ممن أعلنوا توجهاتهم، بما سيدركه التحضر الموحي في العدوتين.

ولم يقف عند الخلفاء فحسب، بل وثق عدداً من المناسبات الخاصة بأبنائهم من السادة الموحدين، ومن ذلك تعزيتة للسيد أبي موسى بن عبد المؤمن في وفاة ابن له، فاتخذ خطاباً مزج بوساطته التبجيل بالمواساة العميقة، فضلاً عن أسلوبه

الحاجي، بما يهدف إلى الوعظ والشحذ العاطفي، كما تبرز المرتكزات الفكرية لمكانة المخاطب، قال: [البسيط] (البلوي، ٢٠١٩، ٣٣٨)

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى الَّذِي	مِنْهُ الدِّيَانَةُ فِي أَقْصَى قُرَى
شُهِتَ	الصَّيْنِ
مَاذَا يَقُولُ الْمُعْزِي وَهُوَ	مِنْ نُورِ عِلْمِكَ يَاذَا الْفَضْلِ
مُقْتَبِسٌ	وَالدِّينِ
لَكَ الثَّوَابُ إِذَا مَا كُنْتَ مُحْتَسِبًا	فَلَا تَكُونَنَّ فِي حَالٍ
	بِمَحْزُونٍ
فَالصَّبْرُ لِلْأَجْرِ عِنْدَ الْمُشْتَرِي ثَمَنٌ	وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي الْأَرْضَ
	بِمَغْبُونٍ
وَمَنْ لَهُ السَّنَنُ الْأَعْلَى الَّذِي	يُحْيِي بِهِ كُلَّ مَفْرُوضٍ وَ
لَكُمْ	مَسْنُونٍ
مَا مَاتَ مَنْ أَنْتُمْ الْبَاقُونَ	وَسَائِرُ السَّادَاتِ الْغُرُ
بَعْدَهُمْ	الْمَيَامِينِ

إن التعزية التي قدمها أبو القاسم البلوي، كانت تتجاوز حدود الرثاء إلى الوعظ والعبرة والسؤدد الموحي، وهو ما يدعو المتلقي إلى تقوية الذات عند المصيبة، وجعلها مناسبة لبيان مزايا والد المرثي وأسرته الموحدية، فصفات الفضل والدين كانت تلازم تلك التعزية، بما كشف صورة المراثية الأندلسية الرسمية، وما يظهر منها من تفرد سياسي واجتماعي، كان نتيجة التحولات الموحدية الكبيرة التي أحدثها أولئك القوم، وهم يسعون إلى ضبط العدوتين، بما اتخذت من الدعوة الدينية أساسا لحكمهم، فكانت هذه المفردات تذكر بغرر أعمالهم هناك، فتجلت وثيقة اجتماعية رفيعة، في ضمن شعر التعزية السياسي؛ لتكشف طبيعة العلاقة الفكرية للأدباء بالأمراء، وبذلك تتلخص محاولة الشاعر، في التخفيف من لوعة الحزن بالسيد الأعلى، عبر إبراز صورته الدينية المترامية الصيت، وينتقل الشاعر بوعي حاد، إلى تأصيل فلسفة الصبر والاحتساب في الذات المتلقية، واصفا الصبر بأنه الثمن الأسمى الذي يدفعه المؤمن، نحو المشتري

وهو الله عز وجل؛ لنيل الأجر والثواب، وذيل ذلك ببعد سياسي وحضاري بالغ الأهمية؛ إذ لازم بين بقاء الحاكم وكيان الأمة، فهذا الأمير الكبير، هو حامي الدين، وهو لم يمت حقيقةً، طالما أن هذا الحاكم العادل وسائر السادة الموحدين، باقون لحفظ أمن المجتمع واستقراره، ما يضيفي على رثائه، مسحة من التثبيت السياسي والشرعي للموحدين، وتظهره كمرجعية إسلامية عالمية، امتد صيتها حتى أقاصي الأرض، وغدا نور علمه منبعاً يُقتبس منه، وبذلك تأسست مفرداته على فلسفة عقدية متكاملة تجاه الصبر، حوّلت الفقد من حسرة مأساوية إلى استثمار أخروي رابح؛ ليؤكد أنه الثمن الأسمى؛ لنيل الأجر، ويختتم الرؤية الفكرية لأبياته، في عرض الخلود المعنوي، تبعاً للامتداد الذي يخلفه من السلالة الموحدية، ممن يحيون الفرائض والسنن الدينية، وقد تجسدت هذه المعاني في جمالية ممتعة، تميزت بعاطفة صادقة وهادئة، تناسبت وعظم الموقف الحزين، وخفت من وطأته على المتلقي المقصود.

وقتناك عبر أبو المطرف ابن عميرة المخزومي (ت ٦٥٨هـ)، جبل طارق نحو المغرب، فوصف في تلك اللحظة المؤثرة ما عاناه من ألم الفراق، والبعد عن الأهل والأصحاب، ومنها إثر تقلبات أحوال بلاده، بعد سقوط حواضرها، قال: (الرملة) (ابن شريفة، ٢٠١٨، ٢٤٩)

هال بحر الزقاق حتى	بسواه فهان بحر
عبرنا	الزقاق
وحللنا سلا فسل عن فؤادي	هل سلامن نأي بمن هوباق ؟
وأجل في عيني عينيك	هامل الدمع خلقة في
تحسب	المآقي
لأناس في شرقنا علقـت نفسـ	ي منهم بأنفس الأعلاق

لقد شرع أحزان الفراق بمفارقة نفسية ومكانية عميقة؛ فقد وصف أهوال العبور، ولكنها تهون في عينه؛ لأن الحزن الحقيقي هو لوعة فراق الوطن، ومن ثم التفت إلى ذاته في حوار داخلي مؤلم، تناول في صورة حس السؤال، عدم قدرته على النسيان أو

التصبر، وهو يفارق أولئك الذين تركهم خلفه، وترك روحه عندهم، لهذا كان عليه أن يوجه الخطاب لمتلقي ضمني، يدعو لتأمل عينيه التي لم تعد الدموع فيها عارضًا يزول، بل اغرورقت بغزارة الدموع، حتى أمست معها المآقي صفة خلقية ثابتة، وكأنما جُبلت عيونه على الدمع، وما ذاك إلا على فراق ذويه بشرق الأندلس، مؤكدًا أن روحه معلقة بأولئك الناس، الذين يصفهم بأنهم أنفُس الأعلاق، تشبها لهم بالجواهر الثمينة، مما لا يمكن للمرء التفريط فيها؛ ليصور حال الأديب الأندلسي، الذي اضطر إلى مغادرة بلاده، بعدما نزلت بها تلك النوازل في القرن السابع الهجري، فيكون شاهداً على مأساة المغترب الأندلسي، وهو يقطع المسافات بجسده، نحو العدو المغربية للنجاة، على حين يبقى قلبه رهين ديار الأولى.

وكان أبو عبد الله البري التلمساني (ت ٦٨١هـ)، ممن انتقل إلى الأندلس، سلخ العصر الموحي، وشاءت ظروف الحروب أن توقع أسيرا هنا، فدفع أبو عثمان القرشي فكاك رقبته من الأسر، وكان له أن يشكر نعمة وليه، ومنها قوله: (السريع) (البري التلمساني، ١٩٨٣، ١ / ١١٥)

كَمَا زَكَا نَفْسًا وَقَدْرًا وَ	خَيْرُ مَلِكٍ مَلَكُ الْمَكْرُمَاتِ
ذَاتُ	
سَمَتْ مَعَالِيَهُ عَلَى	أَعْرَقَ فِي الْمَجْدِ لَهُ مَحْتَدٌ
النَّيِّرَاتِ	
لَهُ كَمَا لَاحَتْ ذُكَاؤُهُ بَاتِ	أَعْظَمَ بِهِ مِنْ قُرْشِيٍّ
	رَضَى
وَكَمْ بِهِ أَوْضَحَ مِنْ مُبْهَمَاتِ	رَبِّ ذُكَاؤِ كَمْ جَلًّا مُشْكِلًا
إِذْ شَأْنُهَا الْمَحْمُودُ بَدَلُ	وَذَوِي مَيْنٍ عَزَّهَا قَائِمٌ
الصَّلَاتِ	
وَالْعَمَلُ الْهَادِي إِلَى	فِي لَثْمِهَا الْعَوَزُ بَنِيْلٍ
الصَّالِحَاتِ	الْمُنَى
وَخَصَّه بِالْفَضْلِ وَالْمَأْثَرَاتِ	أَعْلَى بِهِ اللَّهُ مَثَارَ

الهُدَى

أظهرت الشاعر طبيعة حكومة أبي عثمان القرشي، وكشفت ركون ميزان القوى والجاه الاجتماعي، على قاعدتين: السلطة السياسية المطلقة، وشرف النسب القبلي الوراثي، وهو ما يجليه استهلاله الشاعر بمدحه خير مليك، متبوعا بتعزيز ذلك بحسب النسب القرشي، وهو ما يعني أن قدر الممدوح، يكون بامتداد جذوره في النخبة الحاكمة، فيمنح بذلك السلطة السياسية، غطاء اجتماعيا متوارثا، يسوغ انفرادها بالمكانة والنفوذ، بعدها ربطت المفردات بين الفطنة السياسية والإرادة الإلهية؛ لضمان السلم المجتمعي، واستقرار نظام الحكم، وهو ما يبرز في إشادته بذكاء الحاكم، وقدرته على حل المشكلات الداخلية لرعيته، وهي صفة أساسية تطلبها الرعية من راعيها لتدبير أحوالها، ثم يعزز الشاعر هذا التسويغ، حين خلعه القداسة على السلطة؛ ليتحول الحاكم هنا من مجرد حاكم سياسي، إلى مستخلف إلهي يلزم الرعية بطاعته، وبذلك يصبح الحفاظ على حكمه، مرادفا للحفاظ على الدين والهدى، فتسمي معارضته خروجا عن الإرادة الإلهية. وهكذا انفتح البري التلمساني، على فضاء أندلسي حاضن، سرد عدد من مزاياه الاجتماعية، بحسب الخصائص الذاتية التي تملكها الأمير أبا عثمان القرشي، فعبرت مفرداته الشعرية عن تطلعات الذات الشاعرة، وصورت آمالها في الاستقرار والحضور، وهو ما يمثل صورة الامتزاج الاجتماعي الذي أدرکه الشاعر، ومن ثم فإنها صور للعلاقة بين صلاح الحاكم، واستقرار المجتمعات، وقد أفرغها في أبياته، بما انسجم معه عمق العاطفة الروحية وجزالة الألفاظ الشعرية.

وكان له أن يردد صوت الامتتان، إزاء ذلك الأمير الأندلسي، تبعا لصورته الإنسانية المتكاملة، وما احتوته من عمل جاد، يسعى إلى تحقيق الأمن برعيته، مقرونا بالسرور، ومزدانا بالتواضع، ومتوجا بالشكر، في صورة شعرية تنبض بالخير، وهو

قوله: (الطوبل) (المرجع نفسه، ١٩٨٣، ١٨/١)

أَيَا رَبِّ حُطْ مَغْنَاهُ بِالْحِفْظِ وَالسَّعْدِ وَسَوَّغُهُ مِنْ نُعْمَاكَ أَفْضَلَ مَا تُسْدِي
فَمَا زَالَ دَابًّا فِي رِضَاكَ بِجِدَّةٍ يَقُومُ مَقَامَ الصَّالِحِينَ أُولِي الرُّشْدِ

وَنَلْنَاهُ بِهِ أَمْنًا وَيُؤْمِنًا وَأَنْعَمًا بِهَا نَحْنُ يَا ذَا الْعَرْشِ فِي عَيْشَةٍ رَغْدٍ
وَذَاكَ بِتَوْفِيقٍ لَهُ مِنْكَ قَادَهُ إِلَى مَا بِهِ تَرْضَى مِنَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ

رصف الشاعر روح الدعاء بالنداء، وهو ملمح إنساني عام، تجاوز به المصلحة الخاصة، حين ربطها بالمعنى، حيث الموطن البشري، ليشعر به أبعادا إنسانية راسخة، بحسب العلاقة الوثيقة بين الإنسان والمكان، ومن ثم كانت تؤثر وجود الحاضنة المستقرة، وهكذا فهو يسعى إلى أساس مهم، وهو أهمية التقات الراعي إلى مسؤوليات رعيته، وهو ما يفسر دعائه العريض، بوصفه نتيجة لما ألفه من ذلك الأمير العامل، فانسجمت على وفق ذلك، الرؤية الشعرية مع الطبيعة الإنسانية؛ لتؤكد أن قيمة المرء الحقيقية، ترتبط بالتزامه الذي ينشط بعده الدينية إلى دور ريادي، فيبرز في مقام المصلحين لمجتمعاتهم، ويرسخ معه صورة حتمية، تبين استقامته ومنجزاته، وهو ما يسمي معه الصلاح الفردي، إلى مكتسبات جماعية عامة، أوضحها في مفردات العيش الرغيد، والأمن النفسي، بوصفهما الركيزتين الأساسيتين لازدهار المجتمعات، ولم يكتف عند حدود هذا المنجز الرسمي، بل أرففه بحضوره الشخصي، حيث التواضع والاعتراف بالفضل، وقد رد ذلك إلى التوفيق الإلهي؛ لكي ينزع عن الذات الإنسانية غريزة الغرور، ويوجهها نحو مشاعر بشرية نبيلة، وهي الشكر والحمد.

وكان أبو عبد الله الحضرمي الطنجي، من الشعراء المغاربة الذين قصدوا أبا عثمان القرشي، وقد مدح ذلك الأمير الأديب، بما يبرز سلطته السياسية، فيغدو ملاذا للوعية، ما يجعله صمام الأمان الوحيد؛ لحفظ كيان المجتمع، وقد عدّه صورة متجددة لحكم أسلافه، وهو قوله: (البري التلمساني، ٢٠١٥، ١٦٩)

و وافي سعيد خالفا سالفاً ومن غاب عنه الروض فليتق

لهم القرفا

قياماً بسبب جاهلين يعاف ركوب الثوب من وكف

بحاتم الطرفا

وذوبله من قال: كالوعل وذو عمه من قال كالذنب

الأنفا	الدبا
همى رفته لا وعد فيه ولا	إذا المحل من خلف الغمام
خلفا	يشتكي
يو في مرارا وهو لم ير أن	وإن غدر الموفون بالعهد
وفي	مرة
فبا ابن أبي العاصي وبالحكم	ومهما شكى صرف الدهر الزمان
استشفى	زمانه

لقد تحرك الشاعر الطنجي، بحسب شرعنة حكومة أبي عثمان القرشي، فهو يستهل مدحته رابطاً أميره الممدوح، بأسلافه من الملوك، بما يعني وراثته الملكية، مع وجود كفاءته المتفردة، وكان لمفرداته الشعرية، أن تعبر عن الملاذ السياسي، فأكد طبيعة عطاء الأمير لمواليه، وهو ما يتجلى بوضوح، حين يهون من رموز الكرم المعروفة كحاتم الطائي، أمام كرم ممدوحه الأمير الأندلسي، مرسخاً فكرة تجاوز الأعراف المعهودة، أوداج تلك السجية الكريمة، فصاغ مفهوم الملاذ الاجتماعي البديل، في الأوقات العصيبة عند النوازل، وقد ضرب من الجفاف مشهداً، تلجأ إليها الرعية عند زوله بها؛ ليكون عطاؤه حلاً جذرياً، وكان له أن يدعم ذلك بخصلة الوفاء لديه، وهي ليس فضيلة ذاتية، بقدر ما هو ترسيخ اجتماعي وسياسي بين الراعي والرعية؛ لضمان الاستقرار الآمن، وبذلك كان الشاعر يمثل صوت الوعي الجمعي، الذي يروج لفكرة المستبد العادل والمخلص؛ لذا قدم تصويراً بديعاً لأبي عثمان القرشي؛ بوصفه الحل الناجع لأزمات المجتمع، الناتجة عن صرف الدهر المتقلب، وبذلك تحولت تلك المفردات الشعرية، إلى صورة للتكليف الشرعي لحكم أبي عثمان القرشي، بعدما جمع بين الوراثة والكفاءة، ما جعله أمارته الأندلسية، خير ما يلجأ إليها الراغبون، وهذه المرة من العودة المغربية، ليكون الخلاص الحقيقي من نوبات ذلك العصر، ومن ثم قابلها بخصلة الوفاء، وقد جعل منها ميثاقاً اجتماعياً، عبرت عنه النخبة الأدبية، ممن قصدت حضرة منورقة وقتذاك.

القسم الثالث

تعاقب شعراء العدوتين عليهما أيام بني مرين وبني نصر

راجت حركة الهجرة المتعاقبة لشعراء العدوتين أيام المرينيين، وكان ذلك سببا لتنشيط الحركة الشعرية، فعبرت عن تيار ثقافي تنتقل بين العدوتين، وقد كان للشعراء الأندلسيين النصيب الأوفى في التنقل، حيث قصدوا المغرب الأقصى، واحتموا بظلال حكم المرينيين بفاس والعزفيين بسبتة، وهو ما يظهر تجربة تخضع لسلطانهما، فكان لتلك الهجرة الشعرية أثرها في طرق التعبير، تبعا لجغرافية التحول المكاني، فقد ذكر الدكتور شوقي ضيف: (من الحق أن بنى مرين أدوا دورا عظيما في الدفاع عن غرناطة؛ فقد ظلوا حتى أيامها الأخيرة، يخوضون معها أو منفردين معارك طاحنة، بذلوا فيها كل ما يستطيعون، غير طامعين في غنم أو أي كسب مادي).

(ضيف، ١٩٦٠، ١٠/٢٨٨)

وعلى وفق ذلك أشر امتداد جغرافية العدوتين، مناخات سياسية متصلة، تأثر بظروف الجانب الآخر، عبر توزع النفوذ الحاضنة للأدباء بين الحاضرتين الرئيسيتين، حيث (المرينيين في فاس) و(العزفيين في سبتة)، بما يجلي سلطان الحاضنة السياسية، وأن التجربة الإبداعية للشاعر المغترب، أصبحت خاضعة للأسرتين الحاكميتين، فبرز الدور التاريخي الذي أداه المغرب، كملجأ تاريخي للأديب الأندلسي، بعد أن كانت الأندلس مركزا حضاريا جاذبا.

كذلك كانت الحال في العدو الشمالية، حيث غرناطة؛ إذ كانت في أوج حضورها الفكري، على الرغم من تراجعها السياسي، فكانت تعلن حضورا واضحا عصر ذاك، وهو ما أشره محمد عبد الله عنان، بقوله: (شهدت الحركة الفكرية الأندلسية في مملكة

غرناطة، مرحلة النضج في أواسط القرن الثامن الهجري وأواخره، وشهدت في النصف الأخير من هذا القرن، ذروة قوتها وازدهارها). (عنان، ١٩٧٩، ٥/٤٧٢)
وهو ما يحمل مشهدا حضاريا عميقا، رصد جذب غرناطة العلماء والمفكرين؛ بوصفها ملاذا آمنا للثقافة العربية الإسلامية، المستهدفة من ممالك الشمال المسيحية. فكانت نتاج قرون طويلة من التلاقح الثقافي، والإنجاز المعرفي للترجمة للحواضر الأندلسية، وقد تجسّد هذا الازدهار في بروز عناوين فكرية موسوعية، بما أجلي رغبة أندلسية في إثبات الذات، وتخليد الهوية الفكرية لمواطنهم؛ ولم تكن مجرد ترف علمي، بل كانت بمثابة حصن معنوي، وقوة ناعمة، واجهت بها الأندلس غروبها السياسي، لتترك للعالم إرثا فكريا حيّا، تجاوز بخلوده حدود الزمان والمكان.

كان أبو الحسن ابن رشيق المرسي (ت ٦٩٦هـ)، ممن قصد المغرب الأقصى وقتذاك، ما جعله يؤثر المغادرة والبحث عن حاضنة بديلة، فنزح إلى سبتة وعاش في كنف أمرائها العزفيين، ومجدّ الرئيس الفقيه أبا القاسم العزفي وأولاده، ومما أنشده عند قدومه حضرة سبتة، قوله: [البسيط] (ابن شريفة، ٢٠٠٨، ٢٠٩)

وحقك يا من تقدمت	وأنعمت في رسوخها قدمه
نعمه	
ومن همت بالجزيل لي	وأيدت بالعلال له هممه
يده	
أجل من أن يظن	أن ستفي بامتداحها خدمه
خادمها	
لكنها عادة	تمزج انفاسه بها كلمه
تعودها	
وسيرة من ثناك	فخالص الحب لحمه ودمه
أشربها	

مثّلت هذه المفردات الشعرية، أنموذجا متقدما للاعتراف بالجميل، وتوثيق الولاء العاطفي والسياسي، وكشف عمق الروابط الروحية والنفعية، حين صهرت ذات الشاعر

مع شخصية الممدوح، وقد استهل أبياته بالقسم المغلّظ بأياديهِ البيض، وهو ما يعلي شأن عطاء السلطة؛ لتجعله بمثابة العهد الغليظ، الذي يستوجب الطاعة التامة، بعد ذلك رسخ شرعية الحاكم، عبر قرن عطائه بسمو همته، وبعلو مكانته، ما يبرز تحول الكرم إلى أداة أساسية؛ لتثبيت أركان السلطة عصر ذاك، فيصيغ الشاعر اعترافاً بليغا أمام مآثر الممدوح؛ فهو يرى أن مقامه، أجلّ وأعظم من ظنونه، وأن مدائحه تترجم الوفاء بحق تلك الرعاية الطويلة، وينتقل الشاعر بذكاء؛ لتسويغ استمراره في المدح، محولا فعل المديح من وسيلة للتكسب المادي، إلى حالة وجودية وعادة راسخة، تمازجت مع أنفاسه الطالعة، وخالطت كلماته وحروفه، وتوج هذه الحال حين تحدث عن إشراق التناء؛ إذ تحول حب الممدوح والشغف بمدحه، من مجرد ممارسة مهنية في ديوان السلطان، إلى جزء لا يتجزأ من تكوينه الحيوي والوجداني، وهو أقصى ما يمكن أن يقدمه؛ لإثبات إخلاصه، وبيان وفائه.

لقد توالى حياة ابن رشيقي في حضرة سبتة، فشهد عددا من الفعاليات السياسية والاجتماعية لتلك الإمارة، فوصف ما وقعت عليه عيناه، ومن ذلك قوله في ظروف الحصار الذي ضربته المرينيين على سبتة سنة ٦٧٢هـ، مادحا الرئيس أبي القاسم العزفي، بقوله: [البسيط] (المرجع نفسه، ٢٠٠٨، ٢٢٨)

ملك رفيق رضى الحلم	لكن شديد مضاء الهم
مدركه	عازبه
للو كف والتأييد من يده	حزب من اليم أعيان يحاربه
ذو صارم يم يؤجج قط نار	إلا وقد حطم الأعداء
وغى	حاطبه
إن أعضل الداء يوما أوبغى	فبالحسام ولا حيف يحاسبه
شططا	
تاوي رعيته منه إلى حرم	من المهابة لا ترعى شوائبه

صاغت المفردات صورة الحاكم المسلم، عبر موازنته بين ثنائية اللين والقوة، بوصفهما ركيزتين أساسيتين؛ لضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي؛ لذا كان استهلاك مدحته، عبر تقديم ملمح الحلم والرفق؛ بوصفها صفة أصيلة في شخصية الملك، لكنه سرعان ما يقرن هذا الحلم بمضاء وعزيمة؛ ليوضح أن رفق الحاكم ليس عجزاً، بل هو حلم واقتدار، ويتجسد هذا التوازن في تصوير القوة العسكرية والمالية للملك؛ فكفه تجود بالعطاء، ويده تصول بالسطوة، فيشبه البحر المتلاطم الذي لا يصمد أحد أمامه، مما يمنح الدولة هبة مطلقة، تفرض الطاعة وتحمي الثغور، وفي هذا دلالة حضارية على أن استخدام القوة في دولته، مشروط بإقامة العدل وقطع دابر الجور، وليس بدافع الطغيان. وعليه صوّر ملامح ذلك الملك، وأظهر قوته التي تقوى به دولته، وتكون سبباً للجوء المحتفين إليه، ومن ثم فإنه ملجأاً للرعية والطارئين؛ لقوة دولته وكرم يده، وهو ما كان يجذب الطمأنينة وقتذاك، بعدما ذاق ابن رشيق وأخذانه الخوف والحرمان ببلاده، وهي تسلم مدنها إلى العدو، فازدهرت سبتة بتلك الحال المستقرة أيام أبي القاسم، وكان للشعر الأندلسي أن يصور ذلك، وبدأت معه تجارب جديدة في الحياة الرغيدة، تحت هبة الدولة بعدما ابتعدت عن جغرافية الخطر.

وكان مالك بن المرحل (ت ٦٩٩هـ)، ممن نزل سبتة عصر ذاك، بعدما استحال بقاءه في الأندلس، وقد وصف الشاعر العلاقة بين السلطة والرعية برابطة متينة، تجعل المجتمع يأوي إلى الحاكم، وهنا يتحول الحاكم إلى صمام أمان شامل، ما يدفع المثقف الوافد إلى الاستقرار، والاندماج الكامل في هذا الكيان الحضاري الراسخ، ومن ذلك قوله مخاطباً ملك غرناطة، ممّا كتب به للسلطان أبي يوسف المريني: [الكامل]

(جبران، ١٤٢٦هـ، ٣٣١)

شهدَ الإلهُ وأنت يا أرضُ شهدي	أنا أجبنا صرخةَ المستنجدِ
لما دعاَ الداعي وردَّ صوته	قمنا لنصرته ولم نتردّدِ
نسري له بأسنةٍ قد	من عضبها والصبحُ لم يتجرّدِ
جُرّدت	

والشهبُ فوق التُّرب أسرع
منها وفوق السُّحب نحو المقصدِ
نقلة

لولا الأسنةُ والسناكبُ ما
أحدُ بسيل خيولنا في الفرقدِ
درى

حتى إذا باحت بنا شمسُ
للعينِ غبنا في العيانِ
الضُّحى

والخيلُ تشكونا ولا ذنب
أنا نروحُ بها وأنا
سوى

لو أنّها علمتُ بنا في قصدنا
كانتُ تطير بنا ولم تترددِ
اللهُ يعلمُ أننا لم نعتقدُ إلا

وهنا كشف الشاعر اتحاد العدوتين، بما يجمعهما من أواصر الدين والأواصر الاجتماعية، فيمثل تلك العناوين الحضارية المتصاحبة بينهما، وقد اتخذ فخره بالمرينيين بحماية الأندلس، وجسّره في مفردات شعرية رصينة، ابتكرت صورا محلية، مجدت الدولة المرينية، وأثرها الكبير بالعدوتين المتقابلتين، من بعد نوازل شهدتها تلك الأرض، فرصف ذاته الأندلسية التي تتشوق لتلك المشاهد، فكان المغاربة تلك الصفوة، التي ألبست بلاده وقصيدته تلك المآثر، وصارت بهم في أبهى حال، وعبر عن تلك المشاهد المتحركة في صور تفاعلية متراكمة، تتبض بنبضات التجربة الحية التي عاشها، وهو يرى من احتضنوه يحفظون بلاده، فعبر عن الاستجابة الفورية والصادمة، حين نصره المستنجد واستغاثة الملهوف، مستلهمةً عقيدة الواجب الديني والدفاع عن الملة، وبذلك عرض فكرته عن الشجاعة الخارقة، والجاهزية التامة لجيش المسلمين، عندما يتحرك بلمح البصر، من دون أي تردد فور سماع صيحات الاستجداء، وصوّر حركتهم الخاطفة وسرايا خيولهم، حين تسابق الزمن والشهب، في عتمة الليل وقبل بزوغ الفجر، مؤكداً بنبرة إيمانية وثيقة وخالصة، أن هذا النفير والزحف المقدس، لا تحركه أطماع دنيوية أو مكاسب مادية، وإنما ينطلق من عقيدة راسخة غايتها الأسمى، هي الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لذا كان لزاماً على الشاعر أن يستحضر ذلك، وهو يرنو إلى ذلك

المجد المغربي، فأنشد قومه بلسان حالهم، بقوله: [الكامل] (المرجع نفسه، ١٤٢٦، ٣٣١)

لولا رجالٌ من مريّنٍ	منكم لكنّتم بالحضيض
رفّعوا	الأوهْد
لولا رجالٌ من مريّنٍ قاتلوا	عنكم لكنتم كالنساء الخرد
عهدي بجندكم الذين إذا	علجا تولّوا كالنعام الشرد
رأوا	
يتشبهون بكلّ أغلف	في زيّهم وكلامهم في المشهد
كامن	
وطعامهم وخلالهم	ومناكرٍ يأتونها وسط الندي
وشراهم	
وتنقّص العلماء والفضلاء	أعيان من أهل التقى
والأ	والسوّد

أخضع هذا المقطع من القصيدة إلى تجربة عاشها بالعدوتين، وكان يذكر ببأس المرينيين بغرناطة، ولولا هم لكانت حالها كحال بقية المدن التي سقطت عصر ذاك، وهنا كشف أهمية الوجود المغربي، بما ضمن عدم زوال تلك المملكة الإسلامية، ولا سيما تلك الصورة التي رسمها للمعسكر الأندلسي، وهو يبصر علجا، وقد نطق بما صمت عنه أبناء جلدته؛ لأنه آيس من ملوك غرناطة وجيشهم في الدفاع عن المسلمين، ولجأ إلى كنف تلك الدولة المغربية القوية، ثم كان ذلك داعيا إلى أن يذكر مساوئ مملكة غرناطة، عندما نكصت فيها الأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية، فبهتت معها حضارة الأندلسيين المشرقة، وهو ما يرجعه إلى تقصير واضح فيهم، جرّ الولايات على موطنه، ودعاه إلى مغادرته، حيث من يحفظ الدين والذمار والعلماء والنخب، فعبرت مفرداته عن التفوق المغربي، الذي كان له الأثر الأكبر، في تماسك الوجود الإسلامي بالعدوتين، وهو ما يتعلق في ثقافة عامة للمغاربة الذين لجأوا إلى الأندلس، وما عرف عنهم من إنشادهم القصائد، التي شكلت صورة تواصلية واضحة،

احتضنت ما تترابط به أوصال العدوتين، وكانت تمثل ردّات فعل نفسية للشاعر الأندلسي، في وجه سياسة ملوك غرناطة، ولاسيما عند اشتداد الخلاف بينهم وبين ملوك بني مرين.

ومن أبرز الشعراء الوافدين على المغرب وقتذاك، أبو عبد الله بن الخطيب الغرناطي (ت ٧٧٦هـ)، فقد دخل المغرب مع السلطان الغني بالله، ونزل فاس سنة ٧٦٠هـ، فاستقبلهما السلطان أبو سالم المريني، فأقام بفاس، وأنشد شعرا وثّق به محطة تاريخية وسياسية بالغة الأهمية، في مسار العلاقات الدبلوماسية، كذلك الثقافية بين العدوتين في العصر المريني، وقد دخل أرض المغرب، وافدا ومرافقا للسلطان المخلوع الغني بالله، وقد حظي بحفاوة بالغة من السلطان أبي سالم المريني، واستعاد بفاس مناخاته الفكرية، فمدح الحاضنة المرينية الجديدة، ومما قاله مهناً ذلك السلطان بفتح تلمسان: [الطويل] (ابن الخطيب الغرناطي، ١٩٩٩، ٥٨٨)

أَطَاعَ لِسَانِي فِي مَدِيحِكَ إِحْسَانِي وَقَدْ لَهَجْتُ نَفْسِي بِفَتْحِ
تِلْمَسَانَ
فَأُطْلِعُنِيهَا تَفَتَّرَ عَنْ شَنْبِ الْمَنَى وَتُسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ السَّعْدِ
حُسَّانِ
كَمَا ابْتَسَمَ النَّوَارُ عَنْ أَدْمَعِ الْحَيَا وَجَفَّ بِخَدِّ الْوَرْدِ عَارِضُ
نَيْسَانَ
كَمَا صَفَقَتْ رِيحُ الشَّمَالِ شَمُولَهَا فَبَانَ ارْتِيَاخُ السَّكْرِ فِي غُصْنِ الْبَنَانِ
تَهْنِئِكَ بِالْفَتْحِ الَّذِي مُعْجَزَاتُهُ خَوَارِقُ لَمْ تُذَخَّرْ سِوَاكَ
لِإِنْسَانَ

كانت تلك الفعالية العسكرية تخطو نحو صورة شعرية، ركن إليها ابن الخطيب الغرناطي، عندما أعمل التشبيهات المستمدة من الطبيعة الصامتة، وجعل من اللوحة الأولى، تحاكي منهج الشعراء الأندلسيين، وهم يصورون طبيعة بلادهم؛ ليفتتحو بها قصائدهم المتنوعة، وبذلك كانت تلك الذكرى حاضرة في وجدان، وهو يرقب ذلك الفتح

المبين، فيعتمل معه منهاجا اجتماعيا وسياسيا؛ بحسب شخصية ابن الخطيب نفسه، ويؤرخ تلك الفعالية المرينية، فجعل من مفرداتها صورة مشرقة للفتح؛ لأنه أدرك أن تلك الوقعة المهمة، ستكون المرجع الأساس لقصيدته، ومن ثم فعليه أن يقيم علاقة بين الإبداع الشعري الأندلسي والمجتمع المغربي، مثل ذروة أدب السياسة لوزير وشاعر أندلسي، إبان لجوئه إلى البلاط المريني؛ إذ تحولت قصيدة التهئة إلى وثيقة، تهدف إلى تمتين أواصر التحالف بين العرش الغرناطي النازح، والعرش المريني المستقبل، فشرع مفرداته بإحداث تلاحم بين البيان الشعري، وعظم الإحسان المادي والسياسي الذي طوقه به السلطان المريني، معلنا أن نفسه لهجت بصدق وشغف، وهي تحكي النصر الكبير الذي حققه المرينيون، وفي هذا التوظيف دلالة حضارية على أن المثقف الأندلسي، كان يعي أن استعادة مجد غرناطة، وحماية وجودها مدين بالأساس لقوة الجيش المغربي، ما جعل نصر تلمسان نصرا أندلسيا بالتبعية، وبذلك صاغ ابن الخطيب مفارقة مدهشة، تجلي أثر الهوية الثقافية والمخيال الأندلسي المترف؛ فهو لا يصور الفتح العسكري بلغة الدماء والصخر، وصليل السيوف المألوفة في أدب البداوة، بل يسقط جغرافية الترف والجمال الأندلسي على الحدث الحربي.

أما ما يخص الهجرة العكسية من المغرب نحو الأندلس، فقد وجدنا ثمة نماذج أدبية من سبتة عاصمة العزفيين، تغادرها نحو العدو الشمالية، بما يضع المتلقي أمام مشهد مغاير للهجرة الأندلسية، يظهر صورة المغربي، وهو يوجه وجدانه نحو حضرة غرناطة، ويبعث بذلك رسالة إلى قومه المغاربة، وقد حضرت أسماء مغربية في العدو الأندلسية، ومن أبرزهم الشريف أبو القاسم السبتي (ت ٧٦٠هـ)؛ فقد غادر بلاده وهو في ريعان الشباب، ويبدو أنه لم يطيب له المقام ببلاده، كما وجه ذلك في شعره الذي يشعرنا بمرارة كبيرة، احتوت ذلك العالم المغربي الكبير بموطنه سبتة، قال: [البسيط]

(البناهي، ١٩٨٣، ١٧٦)

يا أيها الراكب المزجي ركائبه يحثها السير بين القار

والأكم

أبلغ بسبته أقواما ودونهم عرض الفلا وذميل الأنيق
الرسم
ولج ذي ثبح طام كأن أعلام لبنان أو كثنان ذي سلم
به
ألوكة عن غريب داره قدم مرماه لا صدد منهم ولا أمم
إنني بأندلس أوي إلى للمجد رحب وظل للعلا
كنف عمم
وأن غرناطة الغرا حللت بها فصرت من ريب هذا الدهر في
حرم
ليست لأخرى فلا ربع بها وجفا رهط وأخفر ما للمجد من ذمم

لقد بين الشريف السبتي أن هناك ما دفعه لمغادرة موطن آبائه، في الوقت الذي احتضنت وافدي الأندلس، وبذلك يؤصل احتضان مجتمعه للآخر؛ بسبب موقعها كما طبيعة ألفتها للغريب، ولكنها لم ترفق به، وهو أحد أبنائها الأصلاء، فودّع سبته بحسرة الغريب، وأوضح فرق غرناطة عنها، وهو ما يفصح عن الإشكال بين العدوتين، بما دفعه إلى هذا الموقف المتحدي منه؛ ليفضّل حضرة النصريين على حضرة العزفيين، وبذلك فقد مثّلت مفرداته، صورة للمغربي الذي عاش في بيئة طاردة لأبنائها، فكان ندائه للراكب استحضارا لصورة المسافر الذي يحث السير، محملا برسائل الشوق نحو موطنه سبته، قاطعا الفيافي والأمواج المتلاطمة، التي شاكلت جبال لبنان أو كثنان ذي سلم، وقد عقد موازنة حضارية، فضل فيها حاضنته الأندلسية الجديدة، على حساب الحواضر الأخرى؛ فهي في نظره لا تشبه أي مدينة أخرى؛ إذ يغيب عنها الجفاء الاجتماعي، ولا يضام فيها غريب، ولا يُخفر فيها زمام المجد أو العهد، وبذلك قدّم صورة حضارية لغرناطة، ترمم انكسارات الأديب الوافد، وتمنحه الكرامة الإنسانية التي قد يفقدها في بيئاته المنغلقة؛ لتكتمل بهذا النص ثنائية الأخذ والعطاء، وتستمر معها مسيرة الارتحال المستمر للمتقنين بين العدوتين، بحثا عن كرامة العيش الذي يفقدونه في أوطانهم الأصلية، وبذلك كشف أبعادا حقيقية لواقع الحضرتين، وأظهر أنه سار في

تلك المنهجية الاجتماعية، بما يعزز خصوصية ما اختاره من موطن، وهو ما دفعه إلى بيان خسارة سبته بهجرته عنها، بعدما قرر تفرده النسبي عن إطاره الاجتماعي بتلك المدينة، وحنينه إلى بني جلدته من العلويين الذي بقوا فيها. لقد

كانت تلك المزية مقياساً تفرد به وقومه عن بقية السبتيين، فرصف ذلك في منظوره الاجتماعي؛ ليضعه أمام الوعي الجمعي بما يمكنه من تجارب واقعية، تستشرف

المستقبل المقبل عليه بأرض غرناطة، كما قال في القصيدة نفسها: [البسيط]

لولا مضاربُ من آل النبيِّ بها وهُنَّ ما هُنَّ من طيبٍ ومن كرم
وفتية من بني الزهراء قد لهم أواصر من ود ومن رحم
كرموا

لقلت لا جادها صوب الحيا إلا بناقع سَمَّ أو عبيط دم
أبدا

ليسفنح عليها الدمع من يوما ولا أقرعن السن من ندم
جزع

ما ضرني أن نباي أوناي وطني منها ولي شرف البطحاء
والحرم

وهنا نجده ذروة الصراع النفسي والاجتماعي للشاعر المغترب، فقد أظهر عمق

النقمة التي تملكته ذاته، تجاه المجتمع المحلي الذي عاش فيه، وعانى من جفائه

وضنكه؛ لذا شرع بالدعاء بالقحط والهلاك على سبته، وقد منعه من ذلك وجود ذوي

رحمه من الأشراف، ذرية النبي، صلى الله عليه وآله، وذكر جدتهم السيدة الزهراء عليها

السلام، في إشارة إلى اعتزازهم بجدتهم؛ إذ بوساطتها يتصلون بالجناب النبوي الشريف،

فضلا عن مآثرها الجليلة، فرمق وجودهم حاجزا عن الدعاء الغليظ على سبته، وهو

تعبير مجازي عنيف لهلاك سبته وخرابها، حين بخلت عليه بالتقدير وسلبته وجوده

العلمي، ومن ثم كان له أن يستمر في تلك النزعة القوية؛ لأنه يرغب في تعويض

الغربة والارتحال، إلى مبعث فخر وانتصار ذاتي؛ فهو يعلن بثقة أنه لا يضره إن نبا

عنه وطنه الأصلي، وضاق به العيش في حواضر المغرب أو الأندلس، طالما أنه يحمل في ذاته العالمية، ونسبه النبوي، فتجاوز بذلك بيئته الجغرافية المحدودة، وعرض صورة التناقض الذي عاشه شعراء العدوتين، حين ضاق بهم المجتمع المحلي، فتحول شعرهم إلى سلاح ضد مجتمعاتهم الأصلية.

ومما يعزز ذلك الحضور هو مشاركة الشريف السبتي، في الكثير من المناسبات التي شهدتها حضرة غرناطة، وكان ينظر إليها بوصفه فردا من أبنائها، سواء في وقت السلم أم في وقت الحرب، ومما أنشده في مدح الدولة النصرية، قوله مهنتا بموت ملك قشالته عهد ذاك، وكان بشارة خير على غرناطة، ولو لم يتوفاه الله تعالى دون قتال، لكان سيف بني نصر هو الذي سيفتك به، قال: [الوافر] (السبتي، ١٣٤٤هـ، ٩٠/١)

ولو أملى له الإمهال تسير إليه بالجيش اللهم

حتى

لجرعه سيوفك أي	مثلة من الموت
كأس	الزؤام
وكنت متى نشب وقود	على الأعداء مشعلة
حرب	الضرام
جعلت النصرين يديك	طليلة جيشك السامي
فيها	القتام
فتتخن في عداك بكل أرض	سعودك قبل إصتخان
	الحسام

كشفت أبيات الشريف السبتي، فلسفة الحرب التي حكمت أدبيات البلاط السلطاني عصر ذاك، حين تحول النصر صورته العسكرية إلى حتمية قدرية وسياسية، تلازم خطوات السلطان الحكيم، وتسبق تحركاته الميدانية، فقد وضع المتلقي أمام مشهد الردع المطلق للدولة؛ فالعدو المارق مصيره محتوم، وإن أمهل وقتا وتملكه غرور، وستسقيه سيوف السلطان، لحظة تحرك الجيش الجرار نحوه، بما يحمله من مهابة ورهبة كبيرتين، يما يشرع معه بعدا حضاريا للدولة، وهي عدم ركونها إلى قوتها

المفرطة، إلا بعد إعطاء الفرصة للمراجعة، وبذلك يضيف صبغة شرعية وأخلاقية لحروبها، وتتجلى بعد ذلك الأبعاد القيادية، وهي تصور ملامح القائد الأعلى في ساحة الوغي؛ فهو لا يظهر مدافعا لهجمات عدوه، بل متحكما بمسار المعركة، وهنا يصور مشهدا تخيليا بليغا، جعل النصر بمثابة الطليعة، التي تمهد الطريق للجيش السامي، الذي يثير غبار غبار عنان السماء لكثرة عدده؛ وفي هذا دلالة على الانهيار النفسي للأعداء، قبل وصول جنده، بفعل القوة الناعمة والسمعة الحربية المرعبة، التي بناها الحاكم لعرشه في العدوتين.

نتائج البحث:

بعد أن أكمل الباحث كتابة هذه المفردات، وظلالها التي تابعت حركة تعاقب الشعراء بين العدوتين، في مرحلة مهمة من تاريخها، تمثلت في حكم المغاربة، فقد آن له أن يضع ما توصل إليه من نتائج، في هذه الرحلة مع المرتحلين بين المغرب والأندلس، وهي:

_ شكلت هجرة الشعراء الأندلسيين إلى المغرب، انتقالا اجتماعيا حرجا للأديب الأندلسي، وهو يشق سبيله في مجتمع مغربي؛ ليستقر هناك تعويضا عما فقد في موطنه، فكشفت تجارب الشعراء الأندلسيين، كابن بقي القرطبي، فجوة حضارية عميقة؛ فعلى الرغم من الحفاوة الرسمية المؤقتة، عانى الأديب من غلظة البيئة، ما ولد عجزا عن التكيف، وتحول النتاج الشعري لبعض الوافدين، كأبي بكر اليكي في فاس، إلى صرخة احتجاجية اجتماعية، ضد مجتمع خالٍ الأريحية الاجتماعية، كما وصف انهيار المنظومة الأخلاقية، الموجود في هرم السلطة المركزية، كذلك رصد الشعراء الأندلسيون انحرافات السلطة المغربية بوطنهم، كما في مواجهة السلطة القضائية، كالقاضي ابن أسود بمرسية، عبر التوجه المباشر لرأس السلطة بمراكش، في مفردات خطابية صارمة، تطالب بإحقاق العدل، كذلك أشاروا إلى أهمية إعادة التوازن الاجتماعي بين

العدوتين، بحسب اختلاف طبيعة السلطة المركزية بمراكش، عن أحوال ولايتها في الأندلس.

_ كانت مراكش في أيام الموحدين، تشكل بيئة جاذبة للنخبة الأدبية، من أهل المغرب والوافدين، بما أثرى المشهد الثقافي فيها، وكانت المدحة السياسية للشعراء الوافدين كالبلوي وابن طفيل، أن تتحول إلى توثيق رسمي للانتقال السياسي لنظام الحكم؛ إذ صيغت القصائد لتأكيد الحتمية التاريخية للسلطان الجديد، وتأصيل شرعيته القائمة على الدعوة المهدوية، كذلك أظهرت نصوصهم، وعيا عميقا بدور القبائل العربية كبنى هلال، إلى جانب الأمازيغ في حركة الجهاد، مما أوضح ارتقاء في الوعي الفكري والسياسي، تحت راية الخلافة الموحدية، كذلك ما أبرزه البري التلمساني، وأبو عبد الله الحضرمي، من صورة الأمير الأندلسي الكبير، ممن تأخذ يده برعيته، وتنتشلهم من أحوال العسرة، حيث العيش الرغيد بمملكته منورقة، وما تحتجته من استقرار سياسي، وتوافره من أمن اجتماعي، وهو ما وقع لأبي المطرف ابن عميرة المخزومي، وهو يغادر وطنه حيث المغرب؛ ليحتمي بملوكها وأمرائها عصر ذاك.

_ جذبت فاس المرينية وسبته العزفية الشعراء الأندلسيين، فقد احتفى الأدباء كابن رشيق المرسي بكنفهما، وتأصل العلم ركيزة لشرعية الملك، فشهدتا مفردات شعرية وافدة، أسقطت جمال الأندلس على بداوة المغرب، كحال ابن الخطيب الغرناطي، حين صور فتح تلمسان بلغة الجمال الأندلسي، وبرزوا جاهزية الجيش المريني، وهو ينجذ الأندلس، كما عند ابن المرحل، على حين كشفت حركة الهجرة العكسية للمغاربة نحو غرناطة، كما في حال الشريف السبتي، رغبة الأديب في نيل تقدير علمي مفقود في بيئته المغربية الأصلية، وهو ما أحرزه هناك، فضلا عن التبرك به شريفا وافدا، فكانت ظاهرة اجتماعية زاوجت بين نبل النسب وعمق المعرفة.

جريدة المضان

_ البري التلمساني، أبو عبد الله، ١٩٨٣، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، نقحه وعلق عليه، د. محمد التونجي، منشورات دار الرفاعي، ط١، الرياض.

- _البناهي، أبو الحسن، ١٩٨٣، تاريخ القضاة في الأندلس، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٥، بيروت.
- _البلوي، أبو القاسم، ٢٠١٩، العطاء الجزيل في كشف الترسيل، تحقيق، محمد مفتاح، الرابطة المحمدية للعلماء، ط١، الرباط.
- _التطيلي، أبو جعفر، ٢٠١٤، ديوان الأعمى التطيلي، جمعه وحققه، د. محب الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط١، لبنان.
- _جيران، د. محمد مسعود، ١٤٢٦هـ، مالك بن المرحل أديب العدوتين، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي.
- _الحموي، أبو عبد الله، ١٩٩٥، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- _ابن الخطيب الغرناطي، أبو عبد الله، ١٩٩٩، ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماي، تحقيق، د. محمد مفتاح، دار الثقافة، ط١، بيروت.
- _الرعي، أبو الحسن، ٢٠١٩، جنى الأزهار النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح بالذخيرة مما ولدته الخواطر من المحاسن في هذه المدة الأخيرة، تحقيق، البشير التهالي ورشيد كنان، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت.
- _السعيد، د. محمد مجيد، ١٩٧٨، ابن بقي حياته وشعره، مجلة المورد، العدد السابع، بغداد.
- _ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي، ١٩٥٥، المغرب في حلى المغرب، تحقيق، د. شوقي ضيف، ط٣، القاهرة.
- _الشريف السبتي، أبو القاسم محمد، ١٤٣٣هـ، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، مطبعة السعادة، مصر.
- _ابن شريفة، الدكتور محمد، ٢٠٠٨، ابن رشيق المرسي حياته وآثاره، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء.
- _المؤلف نفسه، ١٩٩٩، أديب الأندلس أبو بحر التجيبي عمر قصير وعطاء غزير، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء.

- _ المؤلف نفسه، ٢٠١٨، ديوان أبي المطرف بن عميرة المخزومي (ت ٦٥٨هـ)،
الرابطة المحمدية للعلماء، ط١، الرباط.
- _ ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد، ٢٠١٢، الذيل والتكملة لكتابي
الموصل والصلة، تحقيق، إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط١،
تونس.
- _ عنان، محمد عبد الله، ١٩٧٩، دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين وإنهيار
الأندلس الكبرى)، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة.
- _ ابن عميرة، أبو المطرف المخزومي، ٢٠١٨، ديوان أبي المطرف بن عميرة
المخزومي الأندلسي، جمع وتحقيق، د. محمد ابن شريفة، الرابطة المحمدية للعلماء،
ط١، الرباط.
- _ ضيف، د. شوقي، ١٩٦٠، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط١، القاهرة.
- _ مجهول، ٢٠١٥، لباب اللباب في نظم الشعراء ونثر الكتاب، تحقيق، د. أحمد
المصباحي، منشورات زين الحقوقية، ط١، بيروت.
- _ المنوني، محمد بن عبد الهادي، ١٩٨٩، حضارة الموحدين، دار توبقال، ط١، الدار
البيضاء.
- _ غومث، إميليو غارثيا، ١٩٥٢، الشعر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

Bibliography

- Al-Berri al-Tilmisani, Abu Abd Allah (1983). *Al-Jawhara fi Nasab al-Nabi wa-Ashabihi al-Ashara* [The Jewel in the Lineage of the Prophet and His Ten Companions]. Revised and annotated by Dr. Muhammad al-Tunji. Dar al-Rifa'i, 1st ed., Riyadh.

- **Al-Bunahi, Abu al-Hasan** (1983). *Tarikh al-Qudah fi al-Andalus* [The History of Judges in Andalusia]. Dar al-Afaq al-Jadidah, 5th ed., Beirut.
- **Al-Balawi, Abu al-Qasim** (2019). *Al-Ata' al-Jazil fi Kashf al-Tarsil* [The Abundant Gift in Unveiling the Art of Epistolary Prose]. Edited by Muhammad Miftah. Muhammadiyah League of Scholars, 1st ed., Rabat.
- **Al-Tutayli, Abu Ja'far** (2014). *Diwan al-A'ma al-Tutayli* [The Collected Poems of the Blind Poet of Tudela]. Collected and edited by Dr. Muhibb al-Din Deeb. Al-Mu'assasa al-Haditha lil-Kitab, 1st ed., Lebanon.
- **Jubran, Dr. Muhammad Mas'ud** (1426 AH / 2005 CE). *Malik ibn al-Murahhal: Adib al-Adwatayn* [Malik ibn al-Murahhal: The Man of Letters of the Two Shores]. Cultural Foundation, 1st ed., Abu Dhabi.
- **Al-Hamawi, Abu Abd Allah** (1995). *Mu'jam al-Buldan* [The Dictionary of Countries]. Dar Sader, Beirut.
- **Ibn al-Khatib al-Gharnati, Abu Abd Allah** (1999). *Diwan Lisan al-Din ibn al-Khatib al-Salmani* [The Collected Poems of Lisan al-Din ibn al-Khatib al-Salmani]. Edited by Dr. Muhammad Miftah. Dar al-Thaqafa, 1st ed., Beirut.
- **Al-Ru'ayni, Abu al-Hasan** (2019). *Jana al-Azahir al-Nadira wa-Sana al-Zawahir al-Munira fi Silat al-Mutmah bil-Dhakhirah* [The Harvest of Fresh Blossoms and the Radiance of Luminous Flowers]. Edited by Al-Bashir al-Tahali and Rashid Kanani. Mu'assasat al-Risalah, 1st ed., Beirut.
- **Al-Sa'id, Dr. Muhammad Majid** (1978). "Ibn Baqi: Hayatuhu wa-Shi'ruhu" [Ibn Baqi: His Life and Poetry]. *Al-Mawrid Journal*, Vol. 7, Baghdad.

• **Ibn Sa'id al-Andalusi, Abu al-Hasan Ali** (1955). *Al-Mughrib fi Hula al-Maghrib* [The Extraordinary Book on the Adornments of the West]. Edited by Dr. Shawqi Dayf. 3rd ed., Cairo.

• **Al-Sharif al-Sabti, Abu al-Qasim Muhammad** (1433 AH / 2012 CE). *Raf' al-Hujub al-Masturah 'an Mahasin al-Maqsurah* [Lifting the Hidden Veils from the Beauties of the Maqsurah Poem]. Al-Sa'ada Press, Egypt.

• **Ibn Sharifa, Dr. Muhammad** (2008). *Ibn Rashiqa al-Mursi: Hayatuhu wa-Atharuhu* [Ibn Rashiqa al-Mursi: His Life and Works]. Al-Najah al-Jadida Press, 1st ed., Casablanca.

• ——— (1999). *Adib al-Andalus Abu Bahr al-Tujibi: Umrhun Qasirun wa-Ata'un Ghaziyr* [The Scholar of Andalusia, Abu Bahr al-Tujibi: A Short Life and Prolific Legacy]. Al-Najah al-Jadida Press, 1st ed., Casablanca.

• ——— (2018). *Diwan Abi al-Mutarraf ibn Amira al-Makhzumi (d. 658 AH)* [The Collected Poems of Abu al-Mutarraf ibn Amira al-Makhzumi]. Muhammadiyah League of Scholars, 1st ed., Rabat.

• **Ibn Abd al-Malik al-Marrakushi, Abu Abd Allah Muhammad** (2012). *Al-Dhayl wa-l-Takmilah li-Kitabay al-Mawsul wa-l-Silah* [The Supplement and Completion to the Books of al-Mawsul and al-Silah]. Edited by Ihsan Abbas et al. Dar al-Gharb al-Islami, 1st ed., Tunis.

• **bn 'Amīra, A. al-M. al-M.** (2018). *Dīwān Abī al-Muṭarraf ibn 'Amīra al-Majzūmī al-Andalusī* [Obra poética de Abū al-Muṭarraf ibn 'Amīra al-Majzūmī al-Andalusī] (M. ibn Šarīfa, recop. y ed. crít.). Rabita Mohammadia de los Ulemas. (Original publicado en 2018, 1.^a ed., Rabat)

• **Anan, Muhammad Abd Allah** (1979). *Dawlat al-Islam fi al-Andalus: Asr al-Muwahhidin wa-Inhiyar al-Andalus al-Kubra* [The Islamic State in Andalusia: The Almohad Era and the

Collapse of the Greater Andalusia]. Al-Khanji Library, 1st ed., Cairo.

• **Dayf, Dr. Shawqi** (1960). *Tarikh al-Adab al-Arabi* [The History of Arabic Literature]. Dar al-Ma'aref, 1st ed., Cairo.

• **Anonymous** (2015). *Lubab al-Lubab fi Nazm al-Shu'ara' wa-Nathr al-Kuttab* [The Core Essence in the Poetry of Poets and Zain Legal Prose of Writers]. Edited by Dr. Ahmad al-Misbahi Publications. 1st ed., Beirut.

• **Al-Manuni, Muhammad ibn Abd al-Hadi** (1989). *Hadarat al-Muwahhidin* [The Almohad Civilization]. Dar Toubkal, 1st ed., Casablanca.

• **García Gómez, Emilio** (1952). *Poesía Andaluza* [Andalusian Poetry]. Translated by Dr. Husayn Mu'nis. Committee for Authorship, Translation, and Publication Press, Cairo.

التناسب التركيبي بين الألفاظ البيئية وسياقاتها في القرآن الكريم
أ.د. محمد راضي خضير – باحث في الدراسات الإسلامية – بريطانيا

ملخص البحث:

تناول هذا البحث موضوع التناسب التركيبي بين الألفاظ البيئية وسياقاتها في القرآن الكريم، وتكمن أهميته العلمية والعملية في إبراز الإعجاز البياني للنظم القرآني، وإظهار كيفية استثمار المفردات المشتقة من البيئات الصحراوية، والبحرية، والزراعية؛ لصياغة المفاهيم العقدية والنفسية والأخروية عبر اتساق تركيبي وسياقي فريد لا يمكن التعويض عنه ببديل معجمي آخر. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي القائم على تتبع النماذج القرآنية الممثلة للبيئات المختلفة، وتفكيك بنيتها الصرفية والتركيبية في ضوء قواعد علم المعاني والنظم وأمّهات التفسير المعتمدة. وثبتت إجراءات البحث التطبيقية تقسيم المادة العلمية إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسية؛ كُرّس المبحث الأول للبيئة الصحراوية والجافة، وحُصّص المبحث الثاني للبيئة البحرية والمائية، في حين تناول المبحث الثالث البيئة الزراعية والخصيبة، ثم خاتمة جامعة.

وأسفر البحث عن نتائج جوهرية، أهمها: أن المفردة البيئية في القرآن الكريم ليست مجرد وصف مادي مذهري، بل هي عنصر بؤري وموجه دلالي يتلاحم فيه البناء الصوتي والتصريفي مع الجو العام للمشهد القرآني، كما أثبتت النتائج امتناع الترادف المطلق في المعجم البيئي القرآني، حيث يتغير اللفظ بتغير المقصد العقدي والسياق النفسي للآيات. وبناءً على ذلك، أوصى الباحث بضرورة توسيع الدراسات الأسلوبية والبلاغية للتراكيب البيئية في النص القرآني، وتوظيف مناهج تحليل الخطاب والسياق في الكشف عن أسرار النظم الشريف، وإجراء دراسات مقارنة بين المعجم البيئي القرآني والمجموعات اللفظية في النصوص الأدبية الأخرى لإبراز وجوه الإعجاز البياني.

الكلمات المفتاحية: التناسب التركيبي، الألفاظ البيئية، السياق القرآني، الإعجاز البياني، التحليل الأسلوبي.

**Syntactic Proportion between Environmental Vocabulary and Its
Contexts in the Holy Qur'an**

Prof. Dr. Mohammad Radi Khudhair

Researcher in Islamic Studies – United Kingdom

Abstract:

This research addresses the syntactic proportion between environmental vocabulary and its contexts in the Holy Qur'an. Its scientific and practical significance lies in highlighting the rhetorical inimitability (I'jaz Bayani) of the Qur'anic systems (Nazm) and demonstrating how terms derived from desert, maritime, and agricultural environments are utilized to articulate doctrinal, psychological, and eschatological concepts through a unique syntactic and contextual harmony that cannot be replaced by any other lexical alternative.

The study adopts an inductive, descriptive-analytical methodology based on tracking representative Qur'anic models across different environments and deconstructing their morphological and syntactic structures in light of the rules of the science of meanings (Ilm al-Ma'ani), system theory (Nazm), and major authoritative exegeses (Tafsir). The empirical procedures

of the research partition the material into an introduction, three main sections—focusing on desert and arid environments, maritime and aquatic environments, and agricultural and fertile environments, respectively—and a comprehensive conclusion.

The research yields several key findings, most notably: environmental vocabulary in the Qur'an is not merely a superficial physical description, but a focal element and semantic guide in which phonetic and morphological structures intertw seamlessly with the overarching atmosphere of the Qur'anic scene. Furthermore, the findings confirm the impossibility of absolute synonymy within the Qur'anic environmental lexicon, as word choice shifts dynamically with variations in the doctrinal objective and the psychological context of the verses. Accordingly, the researcher recommends expanding stylistic and rhetorical studies of environmental structures in the Qur'anic text, employing discourse and contextual analysis frameworks to unveil the secrets of the noble Nazm, and conducting comparative studies between the Qur'anic environmental lexicon and lexical sets in other literary texts to emphasize the facets of rhetorical inimitability.

Keywords: Syntactic Proportion, Environmental Vocabulary, Qur'anic Context, Rhetorical Inimitability (I'jaz Bayani), Stylistic Analysis.

المقدمة:

تعد لغة القرآن الكريم معجزة خالدة لا تنقضي عجائبها، حيث يتجلى فيها الإحكام اللفظي والتناسق المعنوي في أبهى صورته وأدق دقائقه، فكل كلمة أوردت في النص الشريف وضعت في موضعها الهندسي البلاغي بعناية إلهية فائقة تعجز عن مجاراتها القدرات البشرية. وإن الناظر المتأمل في المعجم اللفظي القرآني يدرك بوضوح كيف استثمر التنزيل الحكيم عناصر البيئة الطبيعية المعيشة للإنسان ليصوغ منها المعاني المجردة والقيم العقدية والسلوكيات، فنراه ينقل المشاهد الصحراوية والجافة، والأحوال البحرية والأهوال المائية، والمظاهر الزراعية والخصبية، لا على سبيل العبث أو الإيضاح المجرد، بل عبر نظام تركيبى بديع يتساقط فيه الصوت والصرف والسياق لينتج معنى كلياً لا يغني فيه لفظ عن لفظ آخر يرادفه ظاهرياً. إن موضوع التناسب التركيبى بين الألفاظ البيئية وسياقاتها القرآنية يمثل بؤرة دقيقة في مباحث الإعجاز البيانى، حيث لا تقف المفردة البيئية عند حدود دلالتها المعجمية السطحية، بل تتسامى في نظام الجملة القرآنية لتصبح ركناً أسلوبياً يؤدي وظيفة حيوية في رسم المشاهد النفسية والتأثير الوجداني وتجسيد القضايا المفاهيمية الكبرى كالإيمان والكفر، والحياة والموت، والبعث والنشور.

وتتبع أهمية هذا البحث العلمية والعملية من محورية السياق في توجيه الدلالة اللغوية وتفسير النص الديني، إذ إن صيانة العقل واللسان عن المفاهيم المغلوطة تتطلب فهماً عميقاً لكيفية بناء الجمل والتراكيب في القرآن الكريم، كما تظهر الأهمية في إبراز العلاقة الوثيقة بين البيئة الجغرافية والنفسية للإنسان وبين النظم اللغوي المميز الذي

خاطبه الله به، وهو ما يكشف عن الأسرار البلاغية المكنونة في الاختيارات المعجمية الشريفة التي قد تبدو لغير المتدبر سطحية أو متشابهة. وبناء على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المنهجية الحاسمة، في مقدمتها كشف دقة الاتساق التركيبي والدلالي بين الألفاظ المشتقة من البيئات الصحراوية والبحرية والزراعية وبين الأغراض البلاغية المرتبطة بالسياق الذي أدرجت فيه، بالإضافة إلى تطبيق الأدوات البلاغية واللغوية التحليلية على نماذج قرآنية مختارة بدقة لإثبات امتناع الترادف المطلق في هذا المعجم الخاص، وأخيراً جلاء الدور التصويري والنفسي الذي تؤديه المفردة البيئية في صناعة المشهد القرآني بما يميزه عن غيره من النصوص.

أما عن المنهجية الممارسة في هذا العمل، فقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النماذج القرآنية التي اشتملت على مفردات بيئية، ثم دراستها دراسة بلاغية وسياقية عميقة تستند إلى أصول علم المعاني والبيان والنظم، مع الاستعانة بمعطيات أمهات كتب التفسير واللغة والبلاغة الأصلية لتفكيك البنية التركيبية للآيات وبيان سر اختيار اللفظ في موقعه المخصوص. ومن خلال المسح المبني على أدبيات الدراسات القرآنية السابقة، تبين وجود فجوة بحثية جلية؛ تمثلت في أن أغلب الدراسات البلاغية المتناولة لبيئة القرآن إما أنها تناولتها من منظور جغرافي تاريخي صرف، أو أنها اكتفت بجمع الألفاظ وتصنيفها في معاجم موضوعية دون الغوص التحليلي الكافي في كيفية تبادل التأثير بين القالب التركيبي للجملة والدلالة البيئية للمفردة، ولذا يجيء هذا البحث ليسد هذه الفجوة عبر تقديم سبر تحليلي تطبيقي للتناسب المبني بين هندسة النظم القرآني وحمولة الكلمة البيئية.

ولتحقيق هذه الأهداف ومعالجة الفجوة المشار إليها بطريقة علمية منظمة، جاء هذا البحث مقسماً إلى مقدمة، وثلاثة مباحث أساسية، ثم خاتمة جامعة؛ حيث كرس المبحث الأول لدراسة التناسب التركيبي في الألفاظ المنتمية للبيئة الصحراوية والجافة عبر معالجة الظواهر الطبيعية وصور الأرض والجبال في سياقات القيامة والتخويف، بينما

انصرف المبحث الثاني لتحليل الألفاظ المشتقة من البيئة البحرية والمائية وملاءمتها لسياقات الهول والنجاة وتصوير ممثلات الكفر والضلال، في حين خصص المبحث الثالث لتناول الألفاظ المرتبطة بالبيئة الزراعية والخصيبة وكيفية اتساقها مع سياقات العطاء والإيمان ومظاهر النعيم والتجدد. وفي ختام هذه المقدمة، يسأل الباحث الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يساهم في جلاء بعض محاسن البيان القرآني الشريف، ورفع ستار الإعجاز عن أبنته اللفظية الفريدة.

المبحث الأول: التناسب التركيبي للألفاظ البيئية الصحراوية

تتسم مفردات البيئة الصحراوية والجافة في البناء القرآني بحمولة دلالية وتصويرية تتجاوز مجرد الوصف المادي للظواهر الطبيعية المعيشة، لتتحول إلى أدوات أسلوبية دقيقة تصوغ المفاهيم العقدية والنفسية والأخروية؛ إذ لا ينفصل النظم القرآني في اختيار اللفظة الصحراوية عن السياق التركيبي الذي تسبك فيه. إن البيئة الصحراوية بما فيها من سعة وامتداد، وظواهر سرايية، وجفاف يهدد الحياة، وتضاريس قائمة كالجبال والربى، شكّلت المعجم الأساسي الذي خاطب به النص الشريف الوجدان البشري، بيد أن الامتياز البياني يظهر في كيفية رصف هذه المفردات داخل التراكيب الآيات، بحيث يؤدي كل حرف ومفردة وظيفية دلالية متناسقة مع الجو العام للمشهد القرآني. يتجلى التناسب التركيبي هنا في التآلف التام بين البنية الصرفية والصوتية للمفردة الصحراوية وبين المتطلبات السياقية، سواء أكانت تلك المتطلبات في معرض الحجاج العقلي لإثبات البعث، أم في معرض التهويل والتخويف من أحوال القيامة، أم في تصوير الخيبة والضياع المعنوي الذي يصيب الكافرين (السامرائي، ٢٠٠٠، ص ٤٨-٤٥). ومن ثمّ، فإن دراسة هذا المعجم البيئي الصحراوي تقتضي الغوص في

النظم والسبك التركيبي لمعرفة أسرار هذا التناسق، والوقوف على امتناع إحكام بديل معجمي آخر مقام اللفظ القرآني المختار، نظراً لما يتركه هذا الاختيار من أثر بليغ في توجيه الدلالة وتجسيد المعالم المفهومية المعقدة في صور حية مشاهدة تتسق اتساقاً تاماً مع السياق التركيبي للآيات (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١١٢-١١٥).

المطلب الأول: تحليل ألفاظ الظواهر الصحراوية في سياق مشاهد القيامة والأعمال

يستثمر النص القرآني الألفاظ الدالة على الظواهر الصحراوية لاستحضار مشاهد الفناء والعدم وضياح الجهد، وفي طليعة هذه الألفاظ مفردة (السراب)، التي وردت في نظام تركيبي بديع يصور أحوال الكفار وضياح أعمالهم التي يحسبونها نافعة. يتجلى هذا التناسب التطبيقي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]؛ إذ نلاحظ أن التركيب لم يكتف بتشبيه الأعمال بالسراب المجرد، بل قيّد المفردة بجار ومجرور يحدد موضعها البيئي الدقيق وهو (بقية) والقيعة في لسان العرب هي الأرض المنبسطة المتسعة التي لا نبات فيها ولا ارتفاع، وهو الموضع الطبيعي الجغرافي الذي يتشكل فيه السراب وينعكس فيه الضوء تشكلاً يخدع النظر (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ٨، ص ١٨٠؛ الطبري، ٢٠٠١، ج ١٧، ص ٢٧٥). إن التناسب التركيبي هنا يبدو في اختيار لفظ "قيعة" دون غيره من ألفاظ الأرض كالصفصف أو الصحراء؛ لأن القيعية بانبساطها الخالي من أي حاجب بصري تجعل المشاهد يرى الامتداد السرابي متصلاً لا انقطاع فيه، مما يزيد من قوة التخييل وخداع البصر، وهذا يتسق اتساقاً كلياً مع حالة الكافر الذي يرى أعماله الدنيوية كالصلة والصدقة ممتدة ومتصلة يحسبها منفذة له (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص ٧٣٤).

ثم يستمر التناسب التركيبي في التتابع الجملي عبر قوله: (يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً)، حيث جاء الفعل "يحسب" مسنداً إلى الفاعل المقيد بالوصف البيئي "الظمان"؛ فالتركيب لم يقل "يحسبه الرائي" أو "يحسبه السائر"، بل عدل إلى "الظمان" لأن حاجة العطشان الشديدة إلى الماء تفرض عليه هلاكاً نفسياً وجسدياً يجعله يسقط رغباته الداخلية على الظاهرة الصحراوية، فيتوهم السراب ماءً زُلالاً بفعل اشتداد الحاجة وضغط اللحظة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٨، ص ٢٥٦). وهذا يطابق مطابقة تامة حال الكافر يوم القيامة، فهو ليس مجرد راغب في الثواب، بل هو في أشد حالات الفقر والعدم والاحتياج إلى حسنة واحدة تنجيه من العذاب، فاستعمال "الظمان" يمثل ذروة التناسب بين الملمح النفسي والملمح البيئي الصحراوي في السباك اللغوي للآية.

وتكتمل هذه اللوحة التحليلية في الشرطية والتعقيب في قوله: (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ)؛ إذ يبرز التقابل التركيبي بين نفي الوجود بالإطلاق في "لم يجده شيئاً" وإثبات الحضور الإلهي القاطع في "وجد الله عنده". إن استخدام حرف الغاية "حتى" مع "إذا" الظرفية يفيد التدرج والوصول إلى نقطة الصدمة الحاسمة بعد طول قطع للمسافات الصحراوية والتعب الشديد، فصاحب السراب يقطع الفيافي ليصل إلى لا شيء، وكذلك الكافر يقطع العمر بالعمل فإذا وصل إلى موعد الجزاء لم يجد عملاً مقبولاً، بل وجد الحساب الإلهي الحاسم (ابن عطية، ٢٠٠١، ج ٤، ص ١٨٢). إن التآلف بين المعجم الصحراوي (سراب، قيعه، ظمان) وبين المعجم العقدي الأخروي (لم يجده، وجد الله، فوفاه حسابه) ينشئ بنية تركيبية متماسكة يعتمد فيها كل عنصر على الآخر، بحيث لو أزيل لفظ "بقية" أو استُبدل "الظمان" بغيره لاختلت تلك الوظيفة البلاغية النفسية التي أريد للمشهد أن يؤديها في ذهن المتلقي.

ويمتد هذا التناسب للظواهر الصحراوية في سياق تشخيص الهوان والدمار، كما في قوله تعالى في وصف قوم عاد: ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وتوصيف الريح الصحراوية الجارفة بـ ﴿الرَّيْحَ الْعَقِيمَ﴾

[الذاريات: ٤١] و﴿صَرَصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩]. إن الوصف بالحيود والجفاف والشدة في "العقيم" -وهي الريح الصحراوية التي لا تلقح شجراً ولا تمطر سحاباً- يتسق اتساقاً تركيبياً مع سياق الاستئصال والقطع الذي حل بالمعاندين؛ حيث جُرِّدت الريح هنا من كل صفات الحياة والخصب المعهودة في الرياح اللواقح، وجاءت المعاقبة التركيبية بالشرط والجزاء لتؤكد تحول البيئة الصحراوية نفسها من موطن عيش إلى أداة سحق ومحو لا تبقي ولا تذر (البقاعي، ١٩٩٥، ج ١٩، ص ١١٠-١١٢). هكذا تدغم اللفظة البيئية الصحراوية في نسيج النظم القرآني لتقدم تعبيراً تحليلياً يعكس التطابق التام بين طبيعة المادة المعجمية ووظيفتها في سياق الآيات.

المطلب الثاني: التناسب اللفظي لأوصاف الأرض والجبال في سياقات التخويف والقدرة

تُمَثِّلُ الأرضُ الصحراويةُ والجبالُ الرواسي في المعجم القرآني ركنين أساسيين في تصوير مشاهد البعث، وإظهار الشدة والقدرة الإلهية، أو التجسيد الحسي لحالة الخشوع والخضوع. ومن الألفاظ البيئية الجافة ذات التناسب التركيبي الدقيق لفظة (هَامِدَةً) و(خَاشِعَةً) في وصف الأرض. وردت اللفظة الأولى في سياق الاستدلال على البعث وإحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. يعتمد التركيب هنا على التقابل المباشر بين حالتين بيئيتين متضادتين تفصلهما أداة الشرط والسببية (فَإِذَا). مفردة "هامة" من الهُمُود، وهو خاموش النار وجفاف الأرض وموتها حتى تسود وتصير يابسة لا أثر للحياة فيها (الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، ص ٨٤١). لقد جاء اختيار "هامة" في سياق مطلع سورة الحج الذي يفتتح بالحديث عن زلزلة الساعة وعظمتها؛ ليكون الجفاف الصحراوي القاسي للتربة الشديدة اليأس كالميت الذي لا حركة فيه، مساوياً في العقل لحالة الموت البشري الكامل.

إن التناسب التركيبي يظهر جلياً في الأفعال المتعاقبة المتناسقة مع نزول الماء: (اهْتَزَّتْ) ثم (وَرَبَّتْ) ثم (وَأَنْبَتَتْ)؛ فالبنية الصرفية للأفعال التزديدية تعكس الحركة والانتفاخ والحياة التي تدب فجأة في هذه الأرض الصحراوية الهامدة. لم يقل التنزيل "حييت" مباشرة، بل ذكر المراحل الفيزيائية والبيولوجية التي تمر بها التربة الصحراوية الجافة عند التروي، بدءاً من الحركة الخفيفة (اهتزت) نتيجة انتفاخ حبيبات التربة وتشققها، ثم الارتفاع والزيادة (ربت)، ثم البروز والظهور (أنبتت) (السامرائي، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ١٤٥-١٤٧). هذا التدرج التركيبي الدقيق يتناسب تناسباً كاملاً مع القضية المطروحة في السورة، وهي إثبات قدرة الله على إحياء الأجساد بعد هامديتها وتفتتها في التراب، مما يجعل المفردة البيئية الصحراوية سنداً برهانياً ومشهداً محسوساً يقرب المعقول إلى الأذهان.

وفي مقابل ذلك، نجد استخدام مفردة بيئية أخرى للأرض الصحراوية في سياق التخويف والعبودية، وهي لفظة (خَاشِعَةً) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩]. يطرح المقارن البياني بين آية الحج (هامدة) وآية فصلت (خاشعة) سؤالاً تحليلياً عن سر هذا التباين اللفظي بين الآيتين رغم اتحاد العقب (اهتزت وربت). والجواب عن ذلك يكمن في مراعاة السياق التركيبي والمحور الموضوعي لكل سورة؛ فسورة "فصلت" دارت آياتها السابقة حول الاستكبار والخضوع والسجود لله في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقوله: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [فصلت: ٣٨]. فكان السياق سياق خضوع واستكبار وسجود؛ فلما جاء وصف الأرض الصحراوية الجافة، اختير لها لفظ "خاشعة" لأن الخشوع في اللغة هو السكون والاطمئنان والانخفاض نكساً (ابن جرير الطبري، ٢٠٠١، ج ٢١، ص ٤٦٨؛ السيوطي، ١٩٩٦، ج ٣، ص ٢١٠). فالأرض الصحراوية المجذبة تبدو للناظر كأنها خاضعة متذللة من شدة المحل

والجفاف تنتظر فرج الله بالمطر، فجاءت المفردة البيئية لتستعير السمة النفسية للإنسان الخاضع وتضعها للأرض، فتلاءمت المفردة الصحراوية مع سياق السورة الداعي إلى السجود وترك الاستكبار (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٢٤٠-٢٤٢).

أمّا الجبال في المعجم الصحراوي القرآني، فقد وردت بأساليب تركيبية تعبر عن تحول المادة الصلبة إلى مادة هشة متناثرة في سياقات التهويل الأخروي. يتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥-٦]، وقوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]. إن لفظة "بست" تشير في الاستعمال البيئي الصحراوي إلى فت الدقيق وحته بالماء، أو سحق الحجارة الصحراوية الشديدة حتى تصير كالفتات الناعم (ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٨، ص ٨). وجاء المصدر المؤكد "بساً" ليحقق المبالغة التركيبية في تحويل الكتلة الجبلية الصخرية العظيمة إلى أجزاء دقيقة تتطاير في الهواء، ثم أكد التناسب بالتشبيه "كالعهن المنفوش" (الصوف الصبغ المفشوش باليد) لبيان انعدام الوزن والتماسك في تضاريس كان أصلها التجذر والرسو في الأرض.

كذلك نجد التناسب في قوله تعالى: ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]؛ حيث التقت الجبال الصحراوية الضخمة بالظاهرة البيئية الصحراوية الأخرى "السراب". إن البناء للفاعل المجهول في "سيرت" يمنح الجبال صورة القوة القاهرة التي تحرك هذه العظائم دون عناء، ثم يعقب التركيب بالنتيجة الصادمة "فكانت سراباً"؛ أي إنها تزول من أماكنها مع بقاء صورتها التخيلية في رؤية العين كأنها شيء وليست بشيء (البيضاوي، ١٩٩٨، ج ٥، ص ٢٨٠). إن الجمع التركيبي بين صلابة الجبل وبيئية السراب الخادعة ينشئ دلالة تطبيقية تحذيرية مفادها أن كل المرتكزات الصلبة التي يعتمد عليها الإنسان في الدنيا ستتحول يوم القيامة إلى أوهام خاوية كسراب الصحراء الممتدة.

المبحث الثاني: التناسب التركيبي للألفاظ البيئية البحرية والمائية

تُمثِّل المفردات المائية والبحرية في النظام البياني القرآني بُعداً دلالياً فريداً يُجسِّدُ أقصى درجات التناغم بين البنية اللفظية والسياق التركيبي للآيات؛ إذ لم يتناول القرآن الكريم البحر والمياه كظواهر جغرافية مادية مجردة، بل وُظِّفَت الألفاظ البحرية في سياقات عقدية ونفسية وتربوية تحمل دلالات الخوف والنجاة، والتذكرة بالقدرة الإلهية المطلقة، وتصوير ظلمات الضلال والشرك. يتجلى التناسب التركيبي في هذا المعجم البيئي في الانتقاء المعجمي الدقيق للفظ المائي بحسب ما يحتاجه المقام؛ فتارةً يُعَبَّر بالبحر وتارةً باليم، وتارةً بالفلك وتارةً بالجواري، وذلك في سباق تركيبي تتسق فيه المقاطع الصوتية والأبنية الصرفية مع الأغراض البيانية المستهدفة (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ١٥٠-١٥٣). إن البيئة البحرية، بما تنطوي عليه من رهبة وسعة واضطراب وسكون، أمدّت التعبير القرآني بتراكيب تصويرية بالغة التأثير والعمق؛ حيث يتألف القالب التركيبي مع حمولة اللفظ المائي لينشئ مشهداً ذهنياً شاخصاً يُحرِّك وجدان المتلقي ويستدعي تفكره في دلاء الإعجاز النظمي (السامرائي، ٢٠٠٠، ص ٨٨-٩٢). وتأسيساً على ذلك، يسعى هذا المبحث إلى تحليل البناء التركيبي للألفاظ البحرية والمائية في القرآن الكريم عبر دراسة تطبيقية تنفذ إلى أسرار الاقتران بين المفردة البيئية البحرية ومحيطها التركيبي، مع بيان امتناع إبدالها بغيرها من الألفاظ دون أن يفوت النص شيء من دقة معناه وبلاغة نظمه (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١٢، ص ٢١٠).

المطلب الأول: التراكيب اللفظية لحركة الفلك والأمواج في سياق الخوف

والنجاة

يستحضر النص القرآني مشاهد الفلك والأمواج في البيئة البحرية عبر تراكيب تتناغم فيها حركة الألفاظ مع حركة البحر الشديدة، لتبث في النفس مشاعر الرهبة والخوف

والالتجاء إلى الله وحده. ويتجلى ذلك بصورة تطبيقية جلية في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]. يُظهر التحليل التركيبي في هذه الآية دقة اختيار الفعل المشتق (تَجْرِي) مسنداً إلى الضمير العائد على السفينة؛ إذ إن الفعل يدل على الاستمرار والحركة المتتابعة المناسبة وسط تلاطم الأمواج، ولم يقل "تسير" أو "تمشي"؛ لأن الجري يحمل في طياته دلالة السرعة والقوة والمغالبة للماء المتلاطم، وهو ما يناسب هول الطوفان الذي غمر الأرض (الطبري، ٢٠٠١، ج ١٥، ص ٣١٢؛ الزمخشري، ٢٠٠٩، ص ٤٨٥). ثم يأتي المقيد البلاغي بالجار والمجرور (فِي مَوْجٍ) ليعكس انغماس السفينة وإحاطة الماء بها من كل جانب، ولم يقل "على موج"؛ لأن التعبير بـ "في" يفيد الظرفية والاحتواء، كأن السفينة تخوض في جوف الموج العالي المتراكم.

وتكتمل الصورة التشبيهية في الجملة ذاتها بقوله: (كَالْجِبَالِ)، حيث جاء التشبيه بالتشخيص الصحراوي الثابت (الجبال) لوصف الظاهرة البحرية المتحركة (الموج)؛ ليمنح الموج الصلابة والارتفاع الشاهق والامتداد الذي يحجب الأفق. إن التناسب التركيبي بين الحركة السريعة في "تجري" والظرفية المتلاطمة في "في موج" والتعظيم الحسي في "كالجبال" يُشكّل بيئة تركيبية مشحونة بالخوف والاضطراب، وهي البيئة النفسية ذاتها التي انطلق منها نداء الأمومة والشفقة في قوله: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزَلٍ)، حيث يتسق عزوف الابن وانعزاله في "معزل" مع ضخامة الموج الذي يقطع كل سبب للنجاة إلا ركوب الفلك مع المؤمنين (ابن عطية، ٢٠٠١، ج ٣، ص ١٨٠؛ البقاعي، ١٩٩٥، ج ٩، ص ٣٢٠).

وفي مقابل سياق الخوف والمغالبة، يقدم القرآن الكريم تراكيب مائية أخرى في سياق الامتنان وإظهار السخرة والقدرة الإلهية وسكون البحر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلُغْلُغْنَ وَإِذَا عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ [الشورى: ٣٢-٣٣]. يلاحظ الباحث هنا عدول التركيب عن لفظ "السفن" أو "الفلك" إلى الوصف البيئي المشتق (الْجَوَارِ)، وهو جمع جارية، صريحة في الجري والسير والسباحة في الماء. إن الاستغناء بالوصف عن الاسم في هذا الموضع التركيبي يبرز الحركة الملساء السلسة التي تتصف بها السفن حال جريانها بالريح الطيبة (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ٤، ص ١٥٥). ثم يأت التشبيه البلاغي (كألاًعَلامٍ) -والأعلام هي الجبال الكبار الظاهرة- ليعكس عظمة هذه السفن وارتفاعها المشهود فوق سطح الماء.

غير أن التناسب التركيبي ينقلب بالشرط والجزاء ليظهر الفضل الإلهي والقدرة على سلب هذه الحركة في قوله: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ)؛ إذ ان انتقل النظم من وصف الجريان إلى وصف الركود والجمود بوساطة الفعل الناقص (فَيَظْلِلْنَ) والخبر البيئي (رَوَاكِدَ). والروكود هو السكون التام مع البقاء في المكان، والتقيد بقوله (عَلَى ظَهْرِهِ) يُجَسِّد سطح البحر كأنه ظهر دابة مسخرة ثابتة لا تتحرك، مما يتناسب تناسباً كاملاً مع مقام الاستدلال على العظمة الإلهية التي تصرف الأحوال البحرية بين الحركة والسكون، والتسيير والتعطيل، لتبدو المفردات البحرية في الآيات أدوات محكمة لإثبات الوحدانية وتوجيه القلوب إلى الشكر والاعتبار (السيوطي، ١٩٩٦، ج ٤، ص ٨٨؛ الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، ص ٣٦٢).

ويتجلى التناسب التركيبي للمفردات البحرية كذلك في سياق التحول النفسي للإنسان من الشرك إلى التوحيد الخالص أثناء الشدة البحرية، كما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [يونس: ٢٢]. إن النظم في هذه الآية يبدأ بالتأطير الشامل للوجود الإنساني عبر التنعيم والتيسير (يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)، ثم يضيق النطاق البيئي بالشرط والظرفية ليشخص المشهد داخل الفلك (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ). ونلاحظ

التناغم التركيبي الصوتي والدلالي في وصف الريح الأولى بـ (طَيِّبَةٍ) مع إسناد الفعل (وَجَرَيْنَ) المؤكد للهدوء والرخاء والفرح (وَفَرَحُوا بِهَا).

ولكن بمجرد وقوع المفاجأة الفاجعة، يتبدل التركيب تبديلاً حاسماً عبر المعاقبة بالشرطية والجمال الفعلية المتلاحقة: (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) بحذف التاء للمبالغة في قوة الريح، و(وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) ليفيد الشمول والاستغراق والتضيق التام للمنفيذ. ثم يجيء التعبير العقدي البيئي (أُحِيطَ بِهِمْ)، وهو تركيب مبني للمجهول يفيد الانسداد الكامل وأنه لا ملجأ لهم من غضب الله وقوة البحر الشديدة، فتحول الموقف فوراً من الفرح والشرك إلى التوحيد والإخلاص في (دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ). إن التناسب بين حركة الريح والموج والمشهد النفسي للمستقلين للسفينة يوضح قدرة المعجم المائي على إدارة التحولات النفسية والعقدية داخل البناء القصصي والوصفي للقرآن الكريم (ابن قيم الجوزية، ١٩٩٦، ص ١٣٤-١٣٧).

المطلب الثاني: دلالة الألفاظ البحرية في تصوير الظلمات والمعتقدات

الفاصلة

لم تقتصر التراكيب البحرية على مشاهد السفن والأمواج في السياقات الواقعية أو الحجاجية، بل استخدم التنزيل الحكيم أعماق البيئة البحرية وتلاطم أمواجها في تصوير المفاهيم الذهنية المجردة كال كفر والجهل المركب والضلال المتراكم. ويشهد على هذا التناسب الفائق قوله تعالى في السباك التمثيلي الرائع: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]. إن التحليل البلاغي والنظمي لهذا النص المبدع يبرز هندسة تراكيبية فريدة تعتمد على التراكم الطبقي للمفردات البيئية؛ إذ بدأ التركيب بالاسم المنكور المجموع (ظُلُمَاتٍ) المقيد بالظرفية في قوله (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ). واللجّي هو البحر العميق الكثيف الماء العظيم القعر، المشتق من

اللُّجَّة وهي معظم الماء (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ١٢، ص ٣٣٠؛ البيضاوي، ١٩٩٨، ج ٤، ص ١٤٢).

ثم يتدرج البناء التركيبي لتصوير هذه الظلمة عبر جمل نعتية وفعلية متتابعة: (يَغْشَاهُ مَوْجٌ)، حيث الغشيان يفيد التغطية والستر الشامل، فلم يكن البحر العميق مكشوفاً للسماء، بل كان مستوراً بموج؛ ثم عُقِبَ ذلك بقوله (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) ليفيد تعدد طبقات المياه وتلاطم الأمواج السفلية والعلوية، ثم أُضيفت طبقة بيئية جوية في قوله (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) لتمنع دخول أي ضوء قادم من الكواكب أو السماء. إن التكرار التركيبي لحرف الجر (مِنْ) والاسم (فَوْقِهِ) ثلاث مرات يتطابق تطابقاً كلياً مع الفكرة المراد تجسيدها، وهي تراكم ظلمات الجهل والكفر فوق قلب الكافر، حتى صار قلبه في معزل تام عن نور الهداية تماماً كما هو حال القابع في أعماق نقطة من هذا البحر اللجي (فاضل السامرائي، ٢٠٠٣، ج ٣، ص ٨٩-٩١).

ثم تتوج الآية هذا التناسب التركيبي بالنتيجة التقريرية (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ)، لتلخص المشهد البيئي بأجمعه في جملة خبرية محكمة، ويعقبها بالشرطية الحسية المباشرة (إِذَا أَحْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأْيَاهَا). يلاحظ التناسب الدقيق في اختيار "يده"؛ فاليد هي أقرب أعضاء الإنسان إليه وأسهلها رؤية، فإن كان في حالة بيئية لا يستطيع معها رؤية يده الملتصقة به مع قربها الشديد، فكيف يتسنى له رؤية غيرها؟ وجاء نفي القرب في "لم يكد يراها" ليفيد شدة الظلمة وعمى البصر بالكامل. وفي الختام المعنوي، ترتبط هذه البنية البيئية البحرية الشديدة بالدلالة العقدية في قوله: (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)؛ ليكون البحر اللجي بأمواجه وسحابه وظلماته التجسيد المادي المشخص لحرقه الضلال وعدم التوفيق الإلهي للكافر (ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٦، ص ٦٥؛ الشاوش، ٢٠٠٢، ص ١١٢).

وترتبط المفردات البحرية أيضاً بتصوير الفصل الحاسم بين التوحيد والشرك، وطبيعة التباين في العقائد والبصائر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢]. يعتمد التناسب التركيبي هنا على أسلوب النفي العام لعدم الاستواء (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ)، ثم يتفصل هذا النفي بتوزيع الاستئناف البياني لصفات كل بيئة مائية على حدة. نلاحظ في جانب المياه العذبة إتباع الصفة المائية الأولى (عَذْبٌ) بصفات جارية مجرى التوكيد والتوضيح التراكمي (فُرَاتٌ) أي شديد العذوبة، و(سَائِغٌ شَرَابُهُ) أي يمر في الحلق بسهولة ولذة لشدة طيبه ونقائه (الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، ص ٥٨٠).

وفي مقابل ذلك، يكتفي التركيب في وصف البيئة المائية الثنائية بالوصف التقريري الشديد المقترن (مِلْحٌ أُجَاجٌ)؛ والأجاج هو الملح الشديد الملوحة والمرارة والحراقة التي تمنع الشرب (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص ٨٩٠). إن هذا التقابل التركيبي المباشر بين ثلاثية الصفات المشجعة على الشرب للماء العذب (عذب، فرات، سائغ) وبين ثنائية الصفات النافرة للماء المالح (أجاج) يتناسب تناسباً كاملاً مع ما يمثله الماء العذب من الفطرة السليمة والإيمان والهدى، وما يمثله الماء الملح الأجاج من الشرك والضلال والبدعة التي لا تقبلها النفوس السليمة. ومع هذا التباين الشديد في الطعم والدلالة النفسية، يعود التركيب ليظهر السعة والفضل الإلهي في البيئة المائية ككل عبر القصر الشامل: ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؛ مما يثبت أن الحكمة الإلهية تتجلى في خلق الضدين وسوق الخير منهما للإنسان، ليكون التباين البيئي المائي نموذجاً تطبيقياً ومثالاً ضربه الله للتفريق بين الحق والباطل والهدى والضلال (ابن جرير الطبري، ٢٠٠١، ج ٢٠، ص ٤٥٠).

وكذلك نجد التناسب التركيبي للمياه في سياق تصوير عقاب المستكبرين وغرقهم، كما جاء في قوله تعالى في شأن فرعون وجنوده: ﴿فَإِن نَّعَمْنَا مِنْهُمُ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بَأْتُهُمُ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف: ١٣٦]، وقوله في سورة طه: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. استعمل التنزيل الشريف لفظة (الْيَمِّ) دون لفظة "البحر" في مقام الإغراق والعقاب؛ لأن اليم في الاستعمال المعجمي والقرآني يدل على المجمع المائي المتلاطم الشديد العمق والهول الذي لا ينجو منه خائض، وسبكها مع الفعل المضَعَّف والمبهم في (فَعَشِيَهُمْ ... مَا غَشِيَهُمْ) يعكس المبالغة والتهويل والستر التام لأجسادهم تحت طيات الماء (ابن عطية، ٢٠٠١، ج ٢، ص ٤٥٥). هذا التبادل اللفظي والدقة التركيبية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الألفاظ البيئية البحرية والمائية في القول القرآني صُمِّمَت تصميماً بلاغياً خاصاً يخدم السياق العام للآية ويؤدي الأغراض العقديّة والتربويّة والتصويريّة بأبلغ وجه وأتم بيان (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٣١٠).

بناءً على ما تقدم في هذا المبحث، يتبين أن الألفاظ والنعوت المشتقة من البيئة البحرية والمائية (كالموج كالجبال، والجوار كالأعلام، والبحر اللجي، والماء الأجاج، واليم) قد انسجمت انسجاماً كلياً مع النظم القرآني؛ حيث أدت البنية اللغوية والتكوين الصرفي لكل لفظة دوراً جوهرياً في تمثيل مشاعر الخوف والنجاة، ورسم صور الشرك والضلال، والتعريف بالقدرة الإلهية، مما يجعل هذا المعجم المائي جزءاً لا يتجزأ من البناء المعجز للقرآن الكريم (السامرائي، ٢٠٠٠، ص ١٠٥).

المبحث الثالث: التناسب التركيبي للألفاظ البيئية الزراعية والخصبية

تستقطب البيئة الزراعية والخصبية في المعجم القرآني مساحة بيانية واسعة، تتجاوز حدود التوصيف المادي للنبات والجنات والحدائق والأرض المخضرة، لتغدو أداة أسلوبية وتصويرية مركزية في تشكيل المفاهيم الدينية والأخلاقية والإيمانية؛ إذ إن النظم القرآني يستثمر ظواهر النماء والإنبات وحسية الخصب والرطوبة والربو النباتي ليصوغ منها دلالات مضاعفة الأجر، وحقيقة الإيمان الثابت، وحسن الجزاء في

الآخرة، فضلاً عن ضرب الأمثال لحقيقة الحياة الدنيا وسرعة زوالها. يتجلى التناسب التركيبي في هذا المعجم البيئي في الملاءمة التامة بين الأبنية الصرفية والمفردات المعجمية المختارة وبين السياق المعنوي والنفسي الذي وردت فيه الآيات؛ فتارةً تقتضي البلاغة استخدام مفردة "الحبة" وتتبع أطوار نموها في سياق النفقة والعطاء، وتارةً يقتضي المقام اختيار لفظ "الربوة" أو "الحدايق الغلب" أو "الخضر" لتجسيد صورة النعيم والاستقرار وتجدد الحياة (السامرائي، ٢٠٠٠، ص ١١٠-١١٥). إن البيئة الزراعية والخصيية تمثل في الوجدان البشري موئل الحياة والأمل ومصدر الرزق، وهو ما جعل التراكيب القرآنية التي تتناول هذه البيئة تتسم برقة اللفظ وجزالة المعنى وتناسق الإيقاع الصوتي والتركيب مع صور النماء والبهجة (الرجاني، ١٩٩٢، ص ١٨٠-١٨٥). وبناءً على ذلك، يتناول هذا المبحث عبر دراسة تحليلية تطبيقية أسرار التناسب التركيبي للألفاظ البيئية الزراعية والخصيية، وكيفية تضافر المفردات النباتية مع سياقات الإنفاق، والعطاء، والجزاء الأخروي، وتصوير طبيعة التجدد والخصوبة في الخطاب القرآني المتميز (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ٣، ص ٥٥-٦٠).

المطلب الأول: تراكيب النماء والإنبات في سياق تصوير الإيمان والإنفاق

تُشكّل ظاهرة الإنبات والزرع في النسيج القرآني رمزية دلالية متكاملة للتعبير عن حركة الإيمان في النفس البشرية، ولتجسيد النمو المتضاعف للأعمال الصالحة وفي مقدمتها الإنفاق في سبيل الله. ويظهر التناسب التركيبي والتطبيقي في أعلى درجاته في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. إن التحليل الأسلوبي لهذا النص البديع يكشف عن هندسة تركيبية تعتمد على التدرج العددي والنباتي البصري؛ إذ إن التشبيه لم يقع بين الإنفاق وبين الحبة الثابتة للزرع، بل وقع بين فعل الإنفاق المتجدد وبين "حبة" واحدة في بدايتها، تمثل رأس المال

الصغير أو الصدقة اليسيرة (الزمخشري، ٢٠٠٩، ص ١٨٥؛ الطبري، ٢٠٠١، ج ٥، ص ٥١٢).

ثم يتجلى التناسب البيئي في إسناد فعل الإنبات إلى الحبة ذاتها في قوله (أَنْبَتَتْ)، على سبيل المجاز العقلي والإسناد إلى السبب، ليوحي التركيب بأن في أصل الصدقة والحبة قوة حيوية ذاتية أودعها الله فيها تجعلها تثمر وتتفجر بالنماء بمجرد وضعها في الأرض الطيبة. ونلاحظ التابع التظافري في الأعداد والأوصاف النباتية (سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ)؛ فالمسار التركيبي يتصاعد من المفرد القليل "حبة" إلى المجموع المتعدد "سبع سنابل"، ثم يمتد إلى الحساب التضاعفي "مئة حبة"، لينتهي المشهد الحسابي البيئي إلى سبعمائة ضعف من حبة واحدة. إن التآلف بين المعجم الزراعي (حبة، أنبتت، سنابل) وبين المعجم المالي الإيماني (ينفقون، يضاعف، واسع) ينشئ بنية تركيبية لا يستطيع أي بديل معجمي آخر أن يحل محلها؛ إذ إن التعبير عن تضاعف الأجر بالنماذج الرقمية المجردة لا يمنح النفس ذات الشحنة الوجدانية التي يمنحها المشهد الحسي للسنبلة المليئة بالحبات الخضراء (ابن عطية، ٢٠٠١، ج ١، ص ٣٦٠؛ البقاعي، ١٩٩٥، ج ٣، ص ٤١٠).

ويمتد هذا التناسب التركيبي للنماء والخصب ليشمل تصوير ثبات الإيمان ونفائه في مقابل النفاق والتذبذب، كما في التشبيه الزراعي المركب في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْثِيَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. يبرز التحليل التركيبي لهذه الآية اختيار المفردة البيئية الزراعية (جَنَّةٍ) المقيدة بالظرفية المكانية المخصوصة (بِرَبْوَةٍ). والرَبْوَةُ في لسان العرب هي المكان مرتفع من الأرض الخصبة التي تتلقى أشعة الشمس والنسيم العليل، فتكون ثمارها أزكى وأطيب وأسرع نضجاً من غيرها (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ١٤، ص ٣٠٢). إن

اختيار "ربوة" هنا يتناسب تناسباً كلياً مع حالة المتصدق المخلص الذي يملك نفساً عالية مرتفعة عن الشح والمراعاة (وتثبيتاً من أنفسهم).

ثم يستمر التركيب في تفصيل حالة التروي والسقيا عبر المقابلة بين المطر الشديد والضعيف: (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ)؛ فالشرطية والجزاء تعكس الخصوبة الذاتية المرتفعة لهذه الجنة الزراعية التي لا تعدم الخصب والنماء في أي حال؛ فإن نزل عليها الوابل (المطر الغزير) ضاعفت الثمر، وإن لم ينزل الوابل كفاها الطل (المطر الخفيف الندى) لتعطي ثمرها كاملاً. هذا النظم المتوازن يطابق تماماً حال المؤمن الذي لا يتوقف عطاؤه ولا يزول إيمانه؛ فإن كان في سعة مالية أنفق بكثرة (كالوابل)، وإن كان في ضيق أنفق بقلة (كالطل)، وفي كلتا الحالتين تثمر جنته الإيمانية ثماراً طيبة زكية لا تنقطع (الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، ص ٣٤٨؛ ابن كثير، ١٩٩٩، ج ١، ص ٦٩٢).

وفي سياق آخر، يتناول القرآن الكريم حركة الزرع والإنبات لتصوير الجماعة الإيمانية ونموها التاريخي كما في قوله تعالى في وصف الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]. يعتمد التناسب التركيبي هنا على الفاء العاطفة المتعاقبة التي تفيد الترتيب والتعقيب السرعة في تطور أطوار النبات: (أَخْرَجَ) ثم (فَآزَرَهُ) ثم (فَاسْتَغْلَظَ) ثم (فَاسْتَوَىٰ). والشطء هو فرخ الزرع وصغاره النابتة على جوانب الأصل (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ١، ص ١١٢). جاء الفعل "آزره" من المؤازرة والمعاونة ليفيد تقوية الفروع للأصل، ثم الفعل "استغلظ" ليدل على اكتساب القوة والسُّمك الصرفي المادي، ثم "استوى على سوقه" ليعبر عن الاستقرار والقيام التام على السيقان الصلبة. إن التتابع الصرفي لهذه الأفعال الزراعية المتدرجة يمثل مطابقة تركيبية دقيقة لمراحل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ بدأت فردية ضعيفة كالفرخ الغض، ثم آزره أصحابه وقواه حتى استغلظ أمر الدعوة واستوى نظامها على

قواعده الصلبة، فأصبح هذا الخصب والنماء الإيماني الزراعي مبعث إعجاب للحق ومصدر غيظ وحسد للباطل وأهله (فاضل السامرائي، ٢٠٠٣، ج ٤، ص ١٢٠-١٢٥).

المطلب الثاني: التناسب اللفظي للحدائق والربا في سياق النعيم وتصوير الجزاء

تُعدّ ألفاظ الحدائق، والجنات، والشجر الملتف، والأرض الخصبة الرطبة، في النص القرآني، المعجم الرئيس في رسم مشاهد النعيم الأخروي، والإفصاح عن مظاهر التكريم الإلهي لأهل الجنة. ومن المفردات البيئية الخصبية ذات التناسب التركيبي الفريد لفظة (حَدَائِقُ) التي تنوعت القيود التوصيفية المرافقة لها بحسب موقعها في السورة والغرض البياني منها. نجد هذا بصورة جلية في قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣١-٣٢]، وفي قوله: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠]، وقوله: ﴿حَدَائِقَ دَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠]. والحديقة في اللسان العربي لا تسمى حديقة إلا إذا كانت بستاناً كبيراً محاطاً بسور أو جدار حماية، يحتوي على شجر ملتف ومياه جارية (الراغب الأصفهاني، ١٩٩٢، ص ٢٢٥).

في سورة "عبس"، جاء وصف الحدائق بـ (غُلْبًا)، والحدائق الغُلْب هي العظام الكثيفة الشجر المتكاثفة الأغصان التي يلتف بعضها ببعض لشدة خصبها وريها (ابن جرير الطبري، ٢٠٠١، ج ٢٤، ص ٢٢٨). جاء التناسب التركيبي لوصف "غُلْبًا" متسقاً اتساقاً تاماً مع سياق السورة القائم على التعديد الاندماجي لخصب الأرض وامتنان الله على الإنسان بالطعام والنبات في قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٢٧-٣٠]؛ حيث تتلاحق أفعال ومفردات الامتنان لتظهر كثرة المنافع وتزاحم أصناف النبات والأشجار الضخمة التي تلف الأفق، فكان لفظ

"غُلْبًا" الدال على التكاثف الشديد هو الأليق والأكثر ملاءمة للبناء اللفظي للسورة (ابن كثير، ١٩٩٩، ج ٨، ص ٣٢٦).

أما في سورة النمل، فقد قُيدت الحقائق بتركيب إضافي آخر وهو (ذَاتَ بَهْجَةٍ) في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]. والبهجة هي حسن اللون وروعة المنظر والنضارة التي تسر الناظرين وتدخل الفرح إلى القلوب (البيضاوي، ١٩٩٨، ج ٤، ص ٢٠١). لم يقل التنزيل "حدائق جميلة" أو "حدائق كثيرة"، بل اختار هذا التركيب الإضافي "ذات بهجة"؛ لأن الآية جاءت في معرض الاستدلال الجمالي والوجداني على وجود الله وتفردته بالخلق والإنعام في مقابل الآلهة الباطلة؛ فكان تركيز النظم على الأثر النفسي والانفعالي الجمالي الذي تتركه هذه البيئة الزراعية الخصيبة في وجدان الناظر إليها، مؤكداً استحالة القدرة البشرية عن إيجاد هذا الحسن والبهاء في قوله: (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) (السيوطي، ١٩٩٦، ج ٣، ص ١٧٥؛ الشاوش، ٢٠٠٢، ص ١٤٠).

كذلك يتجلى التناسب التركيبي للألفاظ الخصيبة في استخدام كلمة (الْخَضِرِ) و(مُخَضَّرَةً) لتصوير أثر الرحمة والتجدد البيئي في الأرض والجنة. ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَّتْرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩]. نلاحظ العدول الصرفي من صيغة الفعل إلى الصيغة الصفية المشبهة (خَضِرًا)؛ والخضر هو الأخضر الرطب من النبات قبل أن يتفزع (ابن منظور، ١٩٩٣، ج ٤، ص ١٩٠). إن البدء بصفة "خَضِرًا" في سياق الامتتان بخلق أصل الزرع يعكس التركيز على الدلالة الحية اللينة الطرية للنبات في أول نشأته، والتي تتطور تركيبياً عبر الأفعال المضارعة الدالة على التجدد والاستمرار: (نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَّتْرَاكِبًا)، حيث تصف كلمة "متراكباً" التصنيف الهندسي البديع لحبات القمح والسنبل الملتصق ببعضه ببعض، مما يشهد بدقة النظم

القرآني في نقل أدق تفاصيل البيئة الزراعية الحية (فاضل السامرائي، ٢٠٠٠، ص ١٣٠).

وفي سياق إثبات العظمة الإلهية وإحياء الأرض بعد موتها، يجيء التناسب التركيبي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]. يلفت النظر في هذا النص استخدام الفعل المضارع الصيروي (تُصْبِحُ) المرفوع بالرغم من وقوعه بعد الفعل الماضي المحقق (أَنْزَلَ). وقد غُلِّل هذا العدول النحوي والتركيبي في أصول البلاغة والنظم بأن استخدام المضارع "فتصبح" يقصد به استحضار الصورة الخصيبة في الذهن كأنها تقع الآن أمام عين المتلقي، ولم يقل "فأصبحت" بالماضي؛ لأن المطر ينزل وينتهي في وقت مضى، أما خضرة الأرض والإنبات فيستمر أثرهما ويتجدد حسنهما زماناً بعد زمان (الجرجاني، ١٩٩٢، ص ٢١٥؛ ابن قيم الجوزية، ١٩٩٦، ص ١٦٠). وجاء ختام الآية بالاسمين الشريفين (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) متوافقاً تمام التوافق مع العملية البيولوجية الزراعية الهادئة؛ فاللطيف هو الذي يدخل الماء والنماء في سرائر التربة وحببات النبات الخفية بلا إزعاج ولا خرق، والخبير هو العليم بمقادير النماء والخصب التي تحتاجها كل حبة ونبتة لتخرج في أتم صورها وأجملها.

وهكذا يتأكد من خلال نماذج المبحث الثالث أن الألفاظ الزراعية والخصيبة (كالحبة والسنبلة، والجنة بالربوة، والحدائق الغلب والذات البهجة، والخضر والزرع المستوي) قد شكلت نسقاً أسلوبياً وتصويرياً شديد التلاحم مع السياقات القرآنية؛ فلم تكن هذه الألفاظ مجرد أدوات وصفية للظواهر النباتية، بل كانت وسائط بيانية محكمة عبر عنها القرآن الكريم لتجسيد المعاني العقدية الحية، وتقريب حقائق البعث والإنفاق والإيمان والجزاء الأخروي في قالب جمالي تركيبي معجز (السامرائي، ٢٠٠٣، ج ٢، ص ٢١٠).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الموسوم بـ "التناسب التركيبي بين الألفاظ البيئية وسياقاتها في القرآن الكريم"، يستحضر الباحث جملة من الحقائق البيانية والنظمية التي كشفت عبر رحلة التقصي والتحليل للمنسوج القرآني الشريف؛ فقد أثبتت الدراسة التطبيقية أن المفردة البيئية في القرآن الكريم ليست مجرد عنصر معجمي محاذي يهدف إلى نقل الصورة المادية المباشرة، أو مجرد أداة لإثراء القاموس اللغوي للآيات، بل إنها حجر زاوية وركن أصيل في الهندسة التركيبية والأسلوبية للخطاب القرآني. لقد كشف المنهج الوصفي التحليلي المتبع عن وجود تناسق والتصاق وثيق بين القلب الصرفي والتركيب النحوي للمفردة الاستعارية المستمدة من الطبيعة وبين الغرض العقدي أو النفسي أو التشريعي المرجو من الآية، بحيث يتمتع إحلال أي لفظة أخرى يرادفها الظاهر المعجمي محلها دون أن يفقد المعنى دقة جلاله واستيفاء مراده.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية التي أجابت عن إشكالياته المطروحة، وفي مقدمتها:

أولاً: أظهر التحليل في المبحث الأول المتعلق بالبيئة الصحراوية والجافة أن مفردات مثل "السراب" و"القيعة" و"الهمود" و"الخشوع" والجبال المتفتتة، لم تُستدع لمجرد التهويل الشكلي، بل وُظِّفت داخل سياقات شرطية وجملية متتابعة لتشخيص حالة الضياع المطلق والخيبة التي ينتظرها الكافر يوم القيامة، وليكون الملمح الصحراوي الحسي دليلاً برهانياً مشاهداً يسهل على العقلاء استحضار عقيدة البعث والنشور من خلاله.

ثانياً: أثبتت دراسة المعجم المائي والبحري في المبحث الثاني أن القرآن الكريم دارس حركة البحر المتلاطم وأعماقه المظلمة وسكونه المنيع من خلال تراكيب تتقاطر فيها الجمل الفعلية والوصفية (كالموج كالجبال، والبحار اللجية، والجوار كالأنعام)، لتجسيد

تحولات الوجدان البشري بين الخوف الإخلاص والنجاة الإلهية، ولتجسيد ظلمات الجهل المتراكم فوق قلوب المحجوبين عن نور الهداية بأسلوب تصويري محكم.

ثالثاً: بينت معالجة الألفاظ الزراعية والخصيبية في المبحث الثالث أن مفردات النماء كـ "الحبة" و"السنبل" و"الربوة" و"الحدائق الغلب" و"الخضر"، صيغت في تراكيب تصاعدية ومتناسقة تجعل من حركة الإنابات نموذجاً حياً لحركة الإيمان في نفس المؤمن، وتجسداً بصرياً ملموساً لمضاعفة الأجر والإنفاق، فضلاً عن رسم صور النعيم الأخروي وأثر الرحمة الإلهية في تجدد الحياة.

وبناءً على هذه النتائج العلمية التي تؤكد خلود الإعجاز البياني للقرآن الكريم، يوصي الباحث بضرورة التوسع في الدراسات البلاغية والأسلوبية الحديثة التي تربط بين المعاجم البيئية والتراكيب النحوية، والدعوة إلى توظيف مناهج تحليل الخطاب والسياق في الكشف عن أسرار النظم القرآني، مع توجيه الباحثين نحو عقد مقارنات بين المجمعات اللفظية البيئية في النص القرآني وغيره من النصوص الأدبية لإبراز وجه التباين والإعجاز الإلهي. وختاماً، لا يسع الباحث إلا أن يحمد الله عز وجل على ما أولى من توفيق وإعانة لإتمام هذا العمل، سائلاً المولى أن يجعله نافعاً للدارسين، وشاهداً على رفعة البيان القرآني الشريف.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن جرير الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. ١). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). تفسير التحرير والتنوير (د. ط.). الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (٢٠٠١). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط. ١). دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦). الأمثال في القرآن الكريم (تحقيق إبراهيم السامرائي، ط. ١). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم (تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط. ٢). دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٣). لسان العرب (ط. ٣). دار صادر.
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. (١٩٩٥). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ط. ١). دار الكتب العلمية.
- البوشخي، الشاهد. (٢٠٠٠). الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم (ط. ١). كتاب الأمة - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (١٩٩٨). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط. ١). دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٩٩٢). أسرار البلاغة (تحقيق محمود محمد شاكر، ط. ١). مطبعة المدني.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (١٩٩٢). دلائل الإعجاز (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط. ٣). مطبعة المدني.

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٩٩٢). المفردات في غريب القرآن (تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط. ١). دار القلم.
- الزبيدي، مرتضى. (١٩٦٥). تاج العروس من جواهر القاموس (تحقيق مجموعة من المحققين). مطبعة حكومة الكويت.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (١٩٥٧). البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. ١). دار إحياء الكتب العربية.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (٢٠٠٩). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط. ١). دار الكتاب العربي.
- السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٠). بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (ط. ١). شركة العاطف للنشر والتوزيع.
- السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٣). التعبير القرآني (ط. ٣). دار عمار للنشر والتوزيع.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٦). الإتيقان في علوم القرآن (تحقيق مركز الدراسات القرآنية، ط. ١). وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- الشاوش، محمد. (٢٠٠٢). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (ط. ١). المؤسسة الوطنية للترجمة والنشر.
- عبد الرحمن، عائشة (بنت الشاطي). (١٩٩٠). التفسير البياني للقرآن الكريم (ط. ٧). دار المعارف.

- الفراء، يحيى بن زياد. (١٩٨٠). معاني القرآن (تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ط. ١). عالم الكتب.
- قطب، سيد. (٢٠٠٢). التصوير الفني في القرآن (ط. ١٧). دار الشروق.
- المسؤول، عبد العلي. (٢٠٠٧). السياق القرآني وأثره في ترجيح الدلالة (ط. ١). دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

الظواهر الصوتية في النص القرآني وقراءاته: دراسة فونولوجية دلالية

د. علاء عبد الخالق حسين

alaa.Abdulkhaleq@colaw.uobaghdad.edu.iq

أ.د. خالد عبود حمّودي

khalid.a.h@ihcoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث (الظواهر الصوتية في النص القرآني وقراءاته: دراسة فونولوجية دلالية) إلى الكشف عن طبيعة العلاقة العضوية بين المستوى الفونولوجي والمستوى الدلالي في النص القرآني المتواتر وقراءاته عن طريق الدراسة والتحليل. وتكمن أهمية الدراسة في إثبات أن الاختلاف الصوتي في القرآن الكريم ليس مجرد تنوع أداء أو تباين لهجي عابر، بل هو نظام وظيفي يوجه المعنى ويثري البنية الدلالية للآيات.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، عبر استقراء الظواهر الصوتية في القرآن الكريم والقراءات القرآنية ولا سيما السبع منها، وتحليل آثارها الدلالية والتركيبية بالدمج بين أصول التراث اللغوي والنظريات اللسانية الحديثة. وتلخصت إجراءات البحث في تقسيم المادة العلمية على مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة تناولت الظواهر التسهيلية، والتماثلية والتقاربية، والتغيرات الفونومورفولوجية في البنية الصرفية، إلى جانب الوقف والابتداء، ثم خاتمة تضمنت النتائج والتوصيات.

وأسفر البحث عن نتائج، أبرزها: أن التحول الصوتي (كالهمز، والإمالة، والإدغام، والإخفاء) يؤدي دورًا رئيسًا في التكتيف الدلالي، ورسم الصور النفسية، وضبط إيقاع النص. كما أثبتت الدراسة أن تغير الحركات وإبدال الحروف يغير

الوظائف الصرفية والنحوية لتوسيع الطاقة التعبيرية للآيات، وأن الوقف والسكت يمثلان حارساً فونولوجياً يزيل اللبس ويصون المقاصد العقدية. وفي ضوء هذه النتائج، أوصى الباحثان بضرورة تجديد مناهج الإعجاز القرآني بالتركيز على البُعد الفونولوجي، وتكثيف الدراسات البيئية التي تجمع بين اللسانيات الحديثة والتراث القراءاتي.

الكلمات المفتاحية: القراءات السبع، الظواهر الصوتية، الفونولوجيا، الدلالة، الإدغام، التسهيل الصوتي، الفونومورفولوجيا.

Phonological Phenomena in the Seven Readings: A Phono-Semantic Study

Abstract:

This research investigates and analyzes "Phonological Phenomena in the Seven Readings: A Phono-Semantic Study," aiming to uncover the organic relationship between the phonological level and the semantic level in the mutawatir Qur'anic text. The study's significance lies in demonstrating that phonetic variation among the canonical readings is not merely a matter of performance nuance or dialectal divergence, but rather a functional system that directs meaning and enriches the semantic structure of the verses.

The research adopted a comparative descriptive-analytical methodology by examining phonological phenomena across the

seven readings and analyzing their semantic and syntactic effects, integrating classical Arabic linguistic heritage with modern linguistic theories. Procedurally, the study was organized into an introduction and three main sections covering assimilatory and non-assimilatory phenomena, assimilation and proximity phenomena, phono-morphological variations in structural forms, alongside pause and initiation (waqf and ibtida'), concluding with key findings and recommendations.

The study yielded several key results: phonetic transformations (such as hamz, imala, idgham, and ikhfa') play a pivotal role in semantic intensification, evoking psychological imagery, and regulating textual rhythm. Furthermore, vowel shifts and consonant substitutions alter morphological and syntactic functions, expanding the expressive capacity of the verses, while pauses and silences act as phonological guardians that eliminate ambiguity and safeguard theological intent. In light of these results, the researchers recommend renewing the methodologies of Qur'anic inimitability (i'jaz) by focusing on the phonological dimension, expanding interdisciplinary studies that bridge modern linguistics with classical readings scholarship, and utilizing digital acoustic analysis to examine the physical audio properties of Qur'anic recitations.

Keywords: The Seven Readings, Phonological Phenomena, Phonology, Semantics, Assimilation (Idgham), Phonetic Facilitation, Phono-morphology.

المقدمة:

يُعدُّ القرآن الكريم وقراءاته المتواترة وثيقةً لسانيةً فريدةً تحمل -في طياتها- أدقَّ خصائص اللسان العربي الفصيح، إذ لا يتوقف هذا النص وقراءاته عند حدود التنوع الأدائي أو النطقي بين القبائل العربية، بل تتجاوز ذلك لتكوّن نظامًا فونولوجيًا متكاملًا يتشابه في أصوله وفروعه مع المعنى والدلالة. إن النص القرآني حين ينتزل بأوجه قراءات مختلفة، يتجلى فيه التناغم البديع بين جرس الصوت وظلال المعنى، فالتحولات الصوتية التي تطرأ على المفردات والجمل ليست مصادفات نطقية أو لمجرد الخفة واليسر، بل هي اختيار قصدي ذو طابع دلالي يؤثر في توجيه المعنى وإثراء النص بوجوه من التأويل والبيان. ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتبحث في تلك العلاقة العميقة بين الظاهرة الصوتية بمفهومها الفونولوجي الحديث، وبين الدلالة والمعنى في القرآن الكريم وقراءاته المتواترة، مستندةً إلى أمات المصادر التراثية ومستفيدةً من المناهج اللسانية الحديثة لإبراز القيمة العلمية والجمالية لهذا التكامل.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يسلط الضوء على منطقة تماس رئيسة بين علم الأصوات ووظيفتها الدلالية، وهي المنطقة التي تعيد الأهمية للبنية الصوتية بوصفها جزءًا أصيلاً من صناعة المعنى القرآني وليس مجرد غلاف خارجي له. وتتجلى هذه الأهمية في الكشف عن السر اللغوي والبياني الذي تدور حوله الاختلافات الصوتية في قراءة النص القرآني ولا سيما بين القراء السبعة، وبيان أن ما قد يبدو

للهولة الأولى مجرد ظاهرة صوتية كالهمز أو التسهيل أو الإمالة أو الإدغام، إنما هو -في حقيقته- حَمَال معانٍ ودلالات متعددة تفتح -لأفق التفسير- أبوابًا واسعة من الفهم والاستنباط. كما تظهر أهمية الدراسة في الربط المنهجي المحكم بين أصول التراث العربي الأصيل في علوم القراءات والصوتيات وبين المفاهيم الفونولوجية الحديثة، مما يسهم في تجديد الخطاب اللساني القرآني وتقديمه بلغة علمية دقيقة تجمع بين أصالة المادة وعصرنة المنهج.

ويسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المحورية، يأتي -في مقدمتها- استقراء الظواهر الصوتية البارزة في القراءات السبع المتواترة وتحليلها تحليلًا وظيفيًا ينتبع أثرها المباشر وغير المباشر في التوجيه الدلالي للنص. كما يهدف البحث إلى الكشف عن التفاعل الحيوي بين المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والتركيب، للبرهنة على أن الصوت في القراءات القرآنية يُعد مكافئًا دلاليًا يسهم في إزالة اللبس، أو تكثيف المعنى، أو التعبير عن الحركة والظلال النفسية للآيات. ويهدف كذلك إلى نفي شبهة العبثية أو الترف اللغوي عن اختلافات القراءات الصوتية، عبر إثبات التكامل الدلالي بين الوجوه المتواترة، وبيان كيف تسهم هذه الظواهر في إثراء المعجم القرآني وتوسيعه من دون الإخلال بوحدة النص وهدفه الأسمى.

ولتحقيق هذه الأهداف، يتخذ البحث منهجًا علميًا كاملاً يقوم على الوصف والتحليل والربط؛ إذ يعتمد المنهج الوصفي الاستقرائي في تتبع الظواهر الصوتية وتصنيفها من واقع كتب التفسير واللغة والقراءات والتوجيه، ثم يستند إلى منهج التحليل الفونولوجي في دراسة هذه الظواهر، وبيان وظيفتها الدلالية والسياقية. ويقوم المنهج التحليلي هنا على تفكيك البنية الصوتية للكلمة أو التركيب، ومتابعة التحول الصوتي الناتج عن تغيير الحركة، أو الحرف، أو النبر، أو الإدغام، ومن ثم قياس مدى تأثير هذا التحول في دلالة المفردة أو التوجيه التفسيري للآية المباركة، وذلك

بالاستعانة بأقوال أئمة النحو والتفسير والقراءات القدامى جنباً إلى جنب مع الرؤى اللسانية الحديثة.

وتظهر الفجوة البحثية التي يسعى هذا البحث لردمها في أن معظم الدراسات السابقة قد تناولت الظواهر الصوتية في القرآن والقراءات إما من جانب نطقي وصفي خالص يركز على مخارج الحروف وصفاتها وتوجيهها النحوي، وإما من جانب دلالي تفسيري يتناول أثر القراءات بنحو عام من دون تركيز دقيق على الفونولوجيا الوظيفية للظاهرة الصوتية بحد ذاتها. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى إنجاز دراسة ببنية متخصصة تفرز الظواهر الصوتية التسهيلية والتماثلية والبنوية، وتدرس كل ظاهرة على حدة لتحديد دلالاتها الوظيفية والسياقية، مما يعالج هذا النقص ويوضح الرابط الفونولوجي الدلالي في القراءات القرآنية على نحو دقيق وشامل.

واقترضت طبيعة الموضوع وأهدافه المحددة تقسيم هذا البحث على خطة منهجية منظمة تتألف من مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة تعقبها خاتمة جامعة. إذ يتناول المبحث الأول الظواهر الصوتية التسهيلية وآثارها الدلالية كالنبر والهمز والإمالة، بينما يختص المبحث الثاني بدراسة الظواهر الصوتية التماثلية والتقاربية وآثارها التركيبية كالإدغام والإخفاء والإقلاب، ويكرس المبحث الثالث لدراسة التغيرات الفونولوجية في البنية الصرفية وآثارها في تحديد المعنى والاتساق السياقي، ليتوج البحث بخاتمة تلخص أهم النتائج والملاحظات العلمية التي استنتجت من المباحث الثلاثة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا العمل طلبة العلم، وأن يجعله خادماً لكتابه العزيز، ومسهماً في إبراز جانب من أسرار إعجازه البياني والصوتي، إنه سميع مجيب الدعاء.

المبحث الأول

الظواهر الصوتية التسهيلية وآثارها الدلالية

توطئة:

لا يُعدّ الأداء الصوتي للنص القرآني والقراءات السبع المتواترة؛ مجرد أشكال نطقية تتأرجح بين الشدّة والرخاوة أو الثقل والسهولة، بل هو نظام فونولوجي محكم لتحقيق أقصى درجات الانسجام بين المخرج الصوتي والدلالة المرجوة في السياق التركيبي. وتُمثل الظواهر التسهيلية على وجه الخصوص الركيزة الأساسية التي تنكشف فيها مرونة اللسان العربي وسعي اللهجات القرشية والتميمية وغيرها إلى تحقيق أقصى طاقات الاقتصاد المجهود من دون التفريط بالحمولات الدلالية للنص. والتسهيل في الاصطلاح الفونولوجي الحديث يمثل عملية تعديل للملامح الصوتية المجهدة -كالهمز والنبر الشديد- ونقلها إلى أشكال صوتية أكثر انسجامًا وسلاسة كاللين والمد والتسهيل بين بين، أو النقل والبدل، وهو ما أشار إليه سيبويه حين أكد أن العرب تنزع في كلامها إلى الخفة والاتساع ما لم يحصل إخلال بالمعنى المراد (سيبويه، ١٩٨٨، ج٤، ص١٠٥). وتأسيسًا على ذلك، فإن انتقال القارئ من تحقيق الهمزة إلى تسهيلها، أو من الفتح إلى الإمالة، ليس اختيارًا عشوائيًا، وإنما هو ناطق عن توجيه سياقي ودلالي دقيق يُسهم في إثراء الظلال المعنوية للآية الكريمة، إذ يتحول الصوت المنفرد من مجرد ناقل فيزيائي للفظة إلى عنصر فونولوجي وظيفي يحدد المقاصد ويمنع اللبس ويشيع حالة من التناسب بين جرس اللفظ وحالة التلقي الوجداني والعقلي لدى السامع (ابن جني، ١٩٥٢، ج١، ص٧٢). وتتطلب دراسة الظواهر التسهيلية الجمع بين التحليل الفيزيائي للأصوات والتفسير الدلالي القائم على استقراء السياق القرآني، للبرهنة على أن التخفيف الصوتي يتطابق تطابقًا كاملاً مع التخفيف المعنوي والتوسع التأويلي في الخطاب الإلهي (الفارسي، ١٩٩٣، ج١، ص١٨٤).

المطلب الأول: النبر والهمز بين التحقيق والتسهيل وأثرهما في الدلالة

تعدّ ظاهرتا الهمز ونبر الأصوات من أشد الظواهر الصوتية تأثيراً في البنية الفونولوجية للغة العربية، نظراً لما تتطلبه الهمزة بوصفها صوتاً وقفياً حنجرياً انفجارياً صامتاً من جهد عضلي مكثف يعتمد على الانحباس التام للهواء خلف المزمار ثم الانفجار المفاجئ (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٨٩). وفي القرآن وقراءاته، نجد تبايناً أدائياً واضحاً بين مدرسة التحقيق المتمثلة في قراءة عاصم وحمة وخلف، وبين مدرسة التسهيل والبدل والنقل التي يمثلها أبو عمرو بن العلاء وابن كثير وورش عن نافع، إذ ينعكس هذا التباين الصوتي مباشرة على المستوى الدلالي والبلاغي للنص القرآني (الداني، ١٩٨٤، ص ٦١). فعلى سبيل المثال، نجد في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) (البقرة، ١٣)، أن تحقيق الهمزات المتوالية في "السُّفَهَاءُ أَلَا" لدى من حقق (كالكسائي وحمة) يعطي شحنة نبرية حادة تجسد الاستنكار والشدة في المقال، إذ يسهم الانفجار الحنجري للهمزة في إبراز الفاصل الصوتي الحاسم بين دعوى المناققين ورد الحق عليهم (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ١١٢). في حين أن قراءة التسهيل في الهمزة الثانية بين بين أو إبدالها واواً خالصاً (عند نافع وابن كثير) توحى بانسيابية السياق والانتقال السلس من البيان الإلهي إلى كشف خبايا النفوس، مما يجعل البنية الصوتية متلائمة مع سياق التخفيف والإخبار عن استمرار جهلهم (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٢١٥).

وفي نموذج آخر يتجلى فيه أثر التحقيق والبدل في تغيير الدلالة الصرفية والمعجمية، نجد قراءات قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) (الأعراف، ١١١)، إذ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بإثبات الهمزة "أَرْجِهْ" من الفعل "أَرْجَأَ" بمعنى أخيره وأمهله، بينما قرأ عاصم وحمة والكسائي ونافع بترك الهمز "أَرْجِهْ" بالإشباع أو بدونه (الداني، ١٩٨٤، ص ١١٤). وتتجاوز الفروق الفونولوجية هنا مجرد اللهجة؛ فإثبات الهمزة الانفجارية يؤكد المعنى المعجمي

الأصيل للإجراء وهو التأخير المادي والزمني القاطع الذي يحمل طابع الرسوم والقرارات السلطوية الفرعونية، في حين أن حذف الهمزة وتسهيلها يحول البنية الصوتية إلى الفعل الرخو الممتد الذي يتناسب مع التردد والمشاورة النفسية التي كان يعاني منها فرعون وزملاؤه أمام معجزة موسى (عليه السلام) (ابن جني، ١٩٩٩، ج ١، ص ٢٤٠). كما أن تقاطع النبر الحنجري مع النبر السياقي يظهر بوضوح- في قراءات لفظة "الدُّنْب" في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (يوسف، ١٣)، إذ قرأ ورش عن نافع، والسوسي عن أبي عمرو، وأبو الحارث عن الكسائي بخلف عنهما ببديل الهمزة ياء ساكنة "الذَّيب"، بينما قرأ الباقر بتحقيق الهمزة "الدُّنْب" (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٣، ص ١٨). فالهمزة المحققة بنبرها الانفجاري تجسد النبر الصوتي الحاد الذي يعكس شدة الافتراس والفرع الذي زرعه الإخوة في قلب يعقوب (عليه السلام)، فجاء الصوت ناطقاً بالربع والخوف، بينما يمثل الإبدال للتسهيل "الذيب" استخداماً للهجة الدارجة والتخفيف اللفظي الذي يعكس استهانة الإخوة بالحادثة وتيسيرهم لها أمام أبيهم لإبعاد الشبهة عن أنفسهم (Gairdner, 1925, p. 45).

ومن الأمثلة الدقيقة التي يتغير فيها التوجيه الدلالي بالكامل بناءً على ظاهرة الهمز والتسهيل، قراءة قوله تعالى: (قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دَلِكُمْ) (آل عمران، ١٥)، إذ تنوعت القراءات بين تحقيق الهمزتين، وتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وإدخال ألف الفصل بينهما، إذ قرأ بالتحقيق ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وبالتسهيل نافع، وابن كثير، أبو عمرو. (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٣، ص ٤٥). إن التحقيق المزدوج في "أُوْتِيْتُكُمْ" يحدث وقفة حنجرية متتالية تفرض على السامع الانتباه والتأهب لتلقي النبأ العظيم، فالنبر القوي هنا يعمل كأداة تنبيهية فونولوجية تنبه الأذهان إلى الانتقال من متاع الدنيا الفاني المذكور في الآية السابقة إلى نعيم الآخرة الباقي (Cantineau, 1960, p. 112). أما التسهيل مع الإدخال فيصرف الخطاب إلى

التلطف والاستعطاف وتشويق المخاطبين، مما يجرد الاستفهام من جديته ويسبغ عليه طابع الحكمة والترغيب، وهو ما يبين كيف ينقل التسهيل الصوتي المعنى من دائرة التقرير والتوبيخ إلى دائرة الترغيب واللفظ (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٣٠).

وكذلك يبرز أثر النبر التسهيلي في قوله تعالى: (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) (التوبة، ١٠) مقارنة بقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ) (التوبة، ١٢٠)، إذ تسهم تحولات الهمزة المضمومة بعد فتح بين التحقيق والتسهيل في "يَطْؤُونَ" في إبراز المشقة البدنية في الثبات على الأرض في أثناء الجهاد، إذ يعكس الضغط الحنجري في التحقيق صعوبة الوطء وشدته، بينما ينسجم التسهيل مع السير المترسل والانتشار الشامل (Al-Ani, 1970, p. 78).

المطلب الثاني: ظواهر الإمالة والتفخيم والترقيق بين الأداء الصوتي والتنويع

الدلالي

تعد ظاهرة الإمالة (Deflection/Imala) من أرقى الظواهر الصوتية التي تعكس جنوح اللسان العربي نحو المماثلة الصوتية والاقتصاد في الجهد النطقي عبر الانحراف بالألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ١١٨). والإمالة -في القرآن والقراءات- ليست مجرد ظاهرة لهجية ترتبط بتميم وقيس من دون قريش، بل هي أداة فونولوجية تؤدي وظائف دلالية وتعبيرات نفسية ورسومات تصويرية لمجريات الأحداث في النص القرآني (الداني، ١٩٨٤، ص ٧٥). وتقابل الإمالة بنوعيتها (الكبرى والصغرى/ التذليل) ظاهرتين صوتيتين هما الفتح والتفخيم والترقيق في الرءات واللامات، وهي منظومة أداء متكاملة تتناغم مع المعاني والظلال السياقية التي ترد فيها (ابن جني، ١٩٥٢، ج ٢، ص ١٤٢). فعلى سبيل المثال، تتجلى روعة الإمالة في قراءة قوله تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا

وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (هود، ٤١)، إذ قرأ عاصم وابن كثير وابن عامر ونافع بالفتح في "مَجْرَاهَا"، وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة الشديدة في "مَجْرَاهَا"، وقرأ ورش عن نافع بين بين، بينما اتفق القراء على تقليب القراءات في التوجيه الصوتي للكلمة (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٨٨).

إن التحليل الفونولوجي لإمالة "مَجْرَاهَا" في سياق الطوفان يكشف عن حمولة دلالية ودقيقة؛ فالإمالة بكسر الصوت والانحدار بالألف نحو الأسفل تحاكي صوتيًا جريان الماء وانسياب السفينة وسط الأمواج العاتية، وتجسد انحدار المياه من السماء ونبعها من الأرض، فالصوت الممال يضع الأذن في حالة انسياب لغوي يتطابق مع حركة الفلك وهي تجري بهم في موج كالجبال (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٤، ص ٢٠١). بينما الفتح والتفخيم في "مُرْسَاهَا" -عند من فتح أو أمال بحسب التوزيع الصوتي- يعطي استقرارًا وثباتًا نطقيًا يتطابق مع دلالة الرسو والاستقرار على الجودي (ابن جني، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٣١٠). فالصوت -هنا- يعيد رسم المشهد الفيزيائي للحدث التاريخي عبر التباين الفونولوجي بين الإمالة الحركية الجارية وبين الفتح التفخيمي الثابت (Kaye, 1997, p. 215).

أما في مجال التفخيم والترقيق وأثرهما الدلالي، فنجد نموذجًا بارزًا في قراءات ورش عن نافع، إذ يختص ورش -من بعض طرقه، ولا سيما طريق الأزرق- بأحكام خاصة في ترقيق الرءاءات وتغليظ اللامات على وفق شروط صوتية محددة (الداني، ١٩٨٤، ص ٨٢). ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (الرعد، ١١)، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (الأعلى، ١٢)، يقرأ ورش بتغليظ اللام في نحو «الصَّلَاة»، و«صَلُّوهُمْ»، و«يَصْلَى»، إذا كانت اللام مفتوحة وسبقها صاد أو طاء أو ظاء، وكان الحرف السابق لها مفتوحًا أو ساكنًا (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ١، ص ٣٤٠). إن التغليظ الصوتي للام عبر رفع أقصى اللسان وتوسيع التجويف الحلقى يسبغ على الفرد نطقًا ضخماً مهيباً يتناسب تمامًا مع دلالة

العقاب، أو الشدة، أو تعظيم الشائعة والمناسك، فالصوت الفخم الثقيل يرسخ في نفس السامع تهويل الموقف وعظمة الفعل أو العقاب المصاحب له (Al-Ani, 1970, p. 95). وعلى العكس من ذلك، فإن ترقيق الرءات عند ورش في نحو قوله تعالى: (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) (المرسلات، ٣٢) عبر خفض اللسان وتقليل تجويف الفم يحدث تلطيفاً ورقة صوتية تناسب نقل صورة التضاؤل أو التناثر في أجزاء الشرار المتطاير، مما يعكس الشفافية والدقة في التصوير القرآني (النعمي، ٢٠١٤، ص ١٧٨).

أما في مجال التخميم والترقيق وأثرهما في الأداء الصوتي، فإننا نجد نموذجاً بارزاً في قراءات ورش عن نافع، إذ يختص ورش، ولا سيما من طريق الأزرق، بأحكام خاصة في ترقيق الرءات وتغليظ اللامات وفق شروط صوتية محددة (الداني، ١٩٨٤، ص ٨٢). ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (الرعد، ١١)، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ (الأعلى، ١٢)، يقرأ ورش بتغليظ اللام في نحو «الصَّلَاة»، و«صَلُّوهُمْ»، و«يَصْلَى»، إذا كانت اللام مفتوحة، وسبقها صاد أو طاء أو ظاء، وكان الحرف السابق لها مفتوحاً أو ساكناً.

ولاستكمال بيان التفاعل بين الإمالة والدلالة، نتأمل قراءات أواخر السور في رؤوس الآي في السور الإحدى عشرة، مثل (سور طه، والنجم، والمعارج، والشمس، والضحى)، إذ قرأ حمزة والكسائي بالإمالة الكبرى، وقرأ ورش بالتقليل (بين بين)، وقرأ غيرهم بالفتح في مواضع الإمالة المشار إليها (الداني، ١٩٨٤، ص ٨٩). إن لزوم الإمالة في رؤوس الآي يخلق إيقاعاً فونولوجياً موحداً وموسيقى داخلية شجية تعكس جو الحزن، أو المناجاة، أو الملاطفة الإلهية، كما في قوله تعالى: (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) (الضحى، ١-٣)؛ فالإمالة هنا بالانحدار اللطيف للصوت تبتعد عن الجهارة والصلابة النطقية لتستقر في مساحة الاستعطاف والربط على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ونفي القلى والموجدة عنه، فتكون

الصوتيات المماله جسرًا ينقل الطمأنينة والهدوء والسكون الذي يغمر الليل إذا سجي (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج٥، ص٣١٢). وبخلاف ذلك، فإن الفتح في هذه المقامات يعطي طابع التقرير والإعلان والوضوح، مما يبرهن على أن اختيار الإمالة أو الفتح في القراءات السبع ليس مجرد اعتباط لهجي، بل هو توجيه وظيفي متكامل مع المعنى والموقف الرسالي (Kopf, 1956, p. 62).

المطلب الثالث: ظاهرة التسهيل بين مراعاة اللهجات وإثراء المعجم القرآني

مثّلت القرآن الكريم بقراءاته الموثل الأهم لخصائص اللهجات العربية القديمة، إذ أقر النبي صلى الله عليه وسلم بأن القرآن نزل على سبعة أحرف توسعة على الأمة ومراعاة للتنوع الصوتي بين القبائل الناطقة بالضاد (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج١، ص٢١). غير أن هذا التنوع اللهجي المبني -في جلّه- على مظاهر التسهيل والتخفيف -لم يقتصر على تقديم أشكال نطقية موازية للفظة الواحدة، بل أدى -في أحيان كثيرة- إلى إثراء المعجم القرآني بتوليد ظلال دلالية جديدة وتوسيع الطاقة الاستيعابية للنص (ابن جني، ١٩٥٢، ج١، ص١١٥). والتسهيل -بمفهومه الواسع الذي يشمل إبدال الحروف، والحذف، والترخيم، والتخفيف من الثقل المخرجي- يعمل على خلق روابط جديدة بين الألفاظ ومعانيها بناءً على تغيير بنيتها الصوتية (سيبويه، ١٩٨٨، ج٤، ص٢٠٥).

ومن أبين الأمثلة على التنوع القرآني المؤدي إلى الإثراء الدلالي، قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة، ١١٩)، إذ قرأ الجمهور بضم التاء ورفع اللام: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ على الخبر، بينما قرأ نافع بفتح التاء وجزم اللام: ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ على النهي. ولا يتعلق الاختلاف في هذا الموضع بتسهيل الهمزة، إذ إن الهمزة محققة في القراءتين، وإنما يتصل بتغير البنية الصرفية والإعرابية للفعل، وما يترتب عليه من اختلاف في جهة الدلالة. ففي القراءة الأولى

يفيد السياق نفي سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الجحيم، ورفع التبعة عنه في شأنهم، بينما تفيد القراءة الثانية النهي عن سؤالهم أو السؤال عن حالهم، فتتعدد بذلك الوجوه الدلالية للآية وتتسع طاقاتها التفسيرية. ومن ثم يكشف هذا المثال عن أن التنوع في القراءات لا يقتصر على التباين الصوتي، بل قد يتجاوز ذلك إلى البنية الصرفية والتركيبية، فيسهم في إثراء المعنى وتعدد وجوه داخل السياق القرآني (الداني، ١٩٨٤، ص ٩٨؛ أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٤٥). فالتخفيف الصوتي فتح الباب لتعدد الوجوه التفسيرية التي تتكامل ولا تتناقض، فتثري المعجم الفقهي والتفسيري للآية (Cantineau, 1960, p. 145).

كذلك نجد في مظاهر التنوع اللفظي المرتبطة بالتيسير اللغوي نموذجاً فارقاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات، ٦)، إذ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وقرأ الباقون ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٢١٠). ويكشف اختلاف القراءتين عن تنوع لغوي في التعبير عن المعنى؛ فالتثبت يدل على التأني والتحقق، في حين يركز التبيين على الكشف عن حقيقة الخبر ووضوحه، فتتسع الدلالة القرآنية بتكامل الوجهين من دون تعارض بينهما.

إن هذا التباين الصوتي الناتج عن إبدال الياء والنون بالنقط والتحريك بالثبوت الصوتي، يعود إلى تساهل الخط العربي القديم غير المنقوط والذي كان يسمح بقراءة النص بناءً على الموثوقية الشفهية والتسهيل اللهجي المتردد بين القبائل (Gairdner, 1925, p. 89). ومن الناحية الدلالية، نجد أن "التثبت" يقتضي الأناة والتمهل وعدم العجلة في اتخاذ القرار وإصدار الأحكام، بينما "التبيين" يتطلب البحث عن الحقيقة والتعرف على كنه الخبر وصدق الناقل. وهكذا نجد أن التسهيل والبذل في الصيغة النطقية أدى إلى الجمع بين مرحلتين من مراحل التعامل مع الأخبار: التمهّل النفسي (التثبت)، ثم الفحص الميداني (التبيين)، وبذلك ثري المعجم الأحكامي للآية الكريمة

بقراءتين تتكاملان لتبنيًا منهجًا إسلاميًا كاملاً في التثبت من الأنباء (ابن جني، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١٥٠).

ونلمس أثر التنوع اللهجي والاختلاف في البنية الصرفية واللفظية في الدلالة المعجمية في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ (سبا، ١٩)، إذ تنوعت القراءات فيها؛ فقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي، وهشام عن ابن عامر: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿رَبَّنَا بَعِدْ﴾، وكلتاها على معنى الطلب، غير أن الاختلاف في الصيغة يبرز تنوعاً في الأداء والتعبير عن معنى الإبعاد، بما يثري الدلالة ويكشف عن سعة العربية في تنوع أبنيتها (الداني، ١٩٨٤، ص ١٥٦). إن انتقال الفعل بين التخفيف بالألف "بَاعِدْ" والتضعيف بالتسهيل "بَعِدْ" والرفع والإخبار "بَاعِدْ" يمثل انعكاساً للتسهيل والتنوع الصوتي في اللهجات العربية؛ فقراءة التضعيف "بَعِدْ" توحى بالمسافة المفرطة والمشقة الشديدة والتشتيت البالغ الذي طلبوه بغباوتهم، بينما قراءة الألف "بَاعِدْ" تشير إلى الطلب المجرد للمسافة، وقراءة الماضي التقريري تصرف المعنى إلى الحكاية عن وقوع البعد وسخط الله عليهم بالشئات (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٥، ص ١١٠). وهكذا يتضح أن التسهيل الصوتي وتصريف الحركات والحروف في القراءات السبع ليس مجرد تنوع في الشكل والمخرج، بل هو استراتيجية فونولوجية سيمانتكية تُحول اللفظة الواحدة إلى مصدر متجدد للمعاني والتأويلات، بما يخدم إعجاز القرآن البياني ويرسخ مكانته كقمة لغوية تستوعب الطاقات الصوتية للسان العربي كافة (Kaye, 1997, p. 280).

المبحث الثاني

الظواهر الصوتية التماثلية والتقاربية وآثارها التركيبية

توطئة:

تُمثّل الظواهر الصوتية التماثلية والتقاربية من أهم المظاهر الدالة على حركية اللسان العربي ومرونته الفونولوجية في التكيف مع متطلبات التجاور الصوتي داخل السلسلة الكلامية المتصلة، إذ يميل المتكلم -بدفع من قانون التيسير والتخفيف- إلى الملاءمة والمطابقة بين الأصوات المتجاورة التي تتفق أو تقترب في المخرج والصفات. وتشير الدراسات الصوتية الحديثة والقديمة إلى أن عملية التأثير والتأثير بين الصوامت المتجاورة -سواء أكان ذلك على مستوى المماثلة التقديمية أم المماثلة الرجعية- ليست حثًا فيزيائيًا آليًا فحسب، بل هي إجراء بنوي ينعكس بصورة مباشرة على المعنى والتركيب. وقد أحسن سيبويه وابن جني تشخيص هذه الظواهر حين أدركا أن الإدغام والإخفاء والإقلاب تدور في فلك تقريب الصوت من الصوت ليجري اللسان في مخرج واحد أو متقارب من دون خشونة أو ثقل أو تعثر، وهو ما أطلق عليه ابن جني الشجاعة العربية في تجانس الأصوات (ابن جني، ١٩٥٢، ج ٢، ص ١٨٠). وتتجلى القيمة العلمية لهذه الظواهر التماثلية في القرآن الكريم وقراءاته المتواترة عند معاينة أثرها في تسريع أو إبطاء الإيقاع الصوتي للنص، وتكثيف الشحنات الدلالية، إذ يؤدي التماثل والتقارب إلى دمج العناصر الصرفية أو تقريبها بنحو يخدم الانتساق التركيبي والانسجام السياقي. فالتحول الفونولوجي الذي يحدث في أثناء إدغام حرف في آخر أو إخفائه عنده ليس مجرد اختصار نطقي، بل هو إشارة صوتية تُسهّم في تركيز المعنى وربط المفردات بروابط سيمانتكية شديدة التماسك (الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٢٤٥). ومن ثم فإن التحليل الوظيفي لهذه الظواهر يقتضي استقراء النماذج القرآنية التي التزم فيها القراء بأوجه الإدغام والإخفاء والإقلاب، ومتابعة كيفية انعكاس هذا التجانس الصوتي على بناء الجملة وتوجيه الدلالة وإبراز الصورة البيانية للآيات (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢١٠).

المطلب الأول: ظاهرتا الإدغام الكبير والصغير ودورهما في التكثيف الصوتي

والدلالي

يُعد الإدغام بشقيّه -الصغير الذي يكون فيه الحرف الأول ساكنًا والثاني متحركًا، والكبير الذي يكون فيه الحرفان متحركين- من أهم الظواهر الصوتية التماثلية في القرآن الكريم وقراءاته المتواترة (الداني، ١٩٨٤، ص ١٢٥). ويمثل الإدغام الكبير -بصفة خاصة- معلمًا بارزًا في قراءة الإمام أبي عمرو بن العلاء من رواية السوسي، إذ يدغم الحرف الأول المتحرك في الحرف الثاني المتحرك إذا كانا متماثلين أو متجانسين أو متقاربين، في مواضع الإدغام المقررة في الرواية، سواء أكانا في كلمة أم في كلمتين، وهو ما يتطلب عملية فونولوجية مركبة تبدأ بتسكين الحرف الأول ثم إدغامه في الثاني ليصيرا حرفًا واحدًا مشددًا يرتفع عنه اللسان رفعةً واحدة (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ١، ص ٢٧٥). إن هذا الدمج الفونولوجي الشديد بين كلمتين مستظرفتين يؤدي إلى تسريع الوتيرة الصوتية للنص وإلغاء الفواصل الزمانية والنطقية بين الكلمات، مما ينعكس دلاليًا في التكتيف والتلاحم المعنوي (Cantineau, 1960, p. 160). ومن أبرز أمثلة الإدغام الكبير عند السوسي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة، ٢٠٠)، إذ يدغم السوسي الكاف الأولى في الكاف الثانية في ﴿مَنَاسِكُكُمْ﴾، وهما في كلمة واحدة، فتدغم الكاف الأخيرة من «مناسك» في كاف ضمير الجمع «كم»، فيصير الصوتان صوتًا واحدًا مشددًا في الأداء (الداني، ١٩٨٤، ص ١٣٠). إن التحليل الصوتي لهذا الإدغام الكبير يبين أن دمج المخرجين التماثلين يلغي الوقفة الصوتية الفاصلة بين الحرفين، وهو ما يتطابق دلاليًا مع المطلوب من الحجاج في ذلك المقام، إذ يتطلب الموقف الاستمرار والاتصال الشديدين في ذكر الله من دون انقطاع أو فتور يعتري اللسان عقب الفراغ من المناسك، فجاء الإدغام المشدد مجسدًا للتتابع والاتصال الروحي الشديد والذكر المتواصل الذي لا تتخلله فواصل (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٢٨٠).

وفي نموذج آخر للإدغام الصغير المتضمن للمشافهة والتقارب، نجد قوله تعالى: ﴿اَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ﴾ (النمل، ٢٨)، إذ قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وحمزة، والكسائي بإدغام الباء الساكنة في الباء المتحركة إدغامًا كاملاً، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ (غافر، ٢٧)، إذ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام الذال الساكنة في التاء، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة، ٥١)، إذ أدغم أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي الذال الساكنة في التاء، وأظهرها ابن كثير وعاصم (ابن الجزي، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١٤٥). إن إدغام الباء في الباء في "اَذْهَبْ بِكِتَابِي" يحوّل المخرج الشفهي إلى نقطة انطلاق واحدة ومشددة، مما يعكس في الشحنة الدلالية الحسم والسرعة والامتثال المباشر للأمر الإلهي الموجه، إذ إن الموقف الشريف لا يحتمل التراخي أو التردد النطقي، فجاء التماثل الفونولوجي ليديمج الفعل "اَذْهَبْ" بآلته "بِكِتَابِي" في وحدة نطقية ودلالية واحدة تشير إلى تلاحم الأمر بالمأمور به وتنفيذه الحتمي الدقيق (Al-Ani, 1970, p. 115). أما في إدغام الذال المجهورة في التاء المهموسة في "عُذْتُ" ليصير تاءً مشددة "عُتْ"، فإن التخلص من صفة الجهر والرخاوة لصالح الشدة والهمس بالإدغام المماثلي يعكس الالتجاء التام والانكسار الصارم والاحتماء الخالص بالله تعالى، فالدلالة النفسية للعياذ تقتضي الذوبان والتلاشي أمام القوة الإلهية، وهو ما يترجمه نطقياً التلاشي الفونولوجي لحرف الذال ودخوله الكلي في التاء (ابن جني، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٢١٠).

وترتقي الوظيفة السيمانتكية للإدغام الصغير عند التطلع إلى قراءة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ (المائدة، ٦١)، إذ قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وحمزة، والكسائي بإدغام الدال في الدال في ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾، في حين قرأ ابن كثير وعاصم ونافع وابن ذكوان عن ابن عامر بالإظهار، وهو اختلاف أدائي صوتي يبرز أثر التقارب والتماثل في البنية الصوتية للقراءة (الداني، ١٩٨٤، ص ١٣٨). إن إدغام "وَقَدْ دَخَلُوا" يولد صوتاً دالياً شديد التعليل والضغط الحنكي، يسهم

في تشخيص الثبات الشيطاني للمناققين على كفرهم؛ فهم لم يدخلوا دخولاً اعتيادياً، بل دخلوا وهم متلبسون بالكفر تلبساً كاملاً لا انفصام فيه، فجاء التلاحم الصوتي بين حرف القلقة المفهوم ودال الفعل المباشرة ليعبر عن ذلك التلبس الراسخ والدخول المطبوع بالحدق والخبت (Gairdner, 1925, p. 102). وعلى العكس من ذلك، فإن قراءة الفك والتحقيق عند القراء الآخرين "وَقَدْ دَخَلُوا" تعتمد على بيان التقسيم الزمني والفصل بين الدخول والظرفية، مما يثبت أن كلا الأداءين الصوتيين يعطيان بعداً تحليلياً يثري السياق التفسيري ويفتح النص على احتمالات دلالية تتكامل في حقيقة الواقع المنافق (Kaye, 1997, p. 305).

المطلب الثاني: ظاهرتا الإخفاء والإقلاب وعلاقتهما بالتدرج الصوتي وأثره في السياق

تُمثّل ظاهرتا الإخفاء (Concealment/Nasalization) والإقلاب (Conversion) في أحكام النون الساكنة والتنوين أسمى صور التدرج الفونولوجي والوسطية الصوتية بين الجهارة التامة والإدغام الكامل، إذ تنحرف النون عن مخرجها اللساني النطعي لتستقر في الغنة الخيشومية عند حروف الإخفاء الخمسة عشر، أو تتقلب ميماً مخفاة عند الباء (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ٢٢٠). وهذه التحولات الصوتية الدقيقة المستندة إلى المماثلة الجزئية والتقارب المخرجي، ليست مجرد تحسين أداء جمالي، بل هي ظواهر ذات قيمة وظيفية ودلالية بالغة في سياق الآيات القرآنية (ابن جني، ١٩٥٢، ج ٢، ص ٢٠٥). فالإخفاء -بما فيه من ستر للصوت وإبقاء لصفة الغنة الممتدة- يمنح الجملة القرآنية ظلاً من الخفاء، والترقب، والتدرج الزمني أو النفسي، بينما يقدم الإقلاب حلاً فونولوجياً يجمع بين الشفوية والانغلاق ليجسد الكتمان والتثبيت (النعمي، ٢٠١٤، ص ٢٣٥).

ففي تحليل نماذج الإخفاء الصوتي وأثره الدلالي، نتأمل قراءة قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا) (النساء، ٩٣)، وقوله تعالى: (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء، ٦٠)؛ إذ نجد أن الإخفاء الحاصل عند النقاء تنوين "مؤمنًا" بالميم أو إخفاء النون والتنوين عند الفاء في "فَتًى يَذْكُرُهُمْ" أو عند الظاء والذال يفرز جرسًا صوتيًا غنيًا يطيل أمد النطق بالكلمة (الداني، ١٩٨٤، ص ١٤٥). إن صوت الغنة المستمر في أثناء الإخفاء قبل حرف الفاء الشفهي الملموس يخلق مدة زمنية صوتية تحاكي حالة التريث والانتقال التدريجي، وتتطابق مع الدلالة السياقية للحدث؛ فالقتيل عمدًا لا تزهد روحه إلا عبر خطة خفية أو تدرج في الجريمة، والإخفاء الصوتي يلقي برداء من الضبابية والترقب النطقي يتناسب مع شناعة الفعل وخفائه عن أعين الناس وإن كان معلومًا عند الله (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٣، ص ١٦٠). كما أن إخفاء النون الساكنة عند الصاد والضاد والتكلف في غنتها تفخيماً وترقيقاً بحسب الحرف التالي يعكس حالة التأرجح النفسي للمخاطبين؛ ففي قوله تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى، ٤٣)، تأتي الغنة المفخمة المعقدة قبل الصاد لتهيئ أذن السامع لثقل الصبر وعظم المشقة البدنية والنفسية المترتبة عليه، فكان الصوت المخفى المفخم توطئة فونولوجية ومجسمًا لحجم المعاناة التي يتطلبها الصبر (Kopf, 1956, p. 70).

أما في ظاهرة الإقلاب التي تتجلى في تحويل النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفأة بغنة عند التقائهما بالباء، مثل قوله تعالى: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) (البقرة، ٩٥)، وفي قوله تعالى: (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) (التكوير، ٩)، فإن الفونولوجيا الحديثة تفسر هذه الظاهرة بأنها حل لإشكالية التباين المخرجي بين النون اللسانية المجهورة الممتدة والباء الشفهية الشديدة الانفجارية، إذ جرت الاستعانة بالميم لكونها تشارك النون في الغنة والجره وتشارك الباء في المخرج الشفهي (Al-Ani, 1970, p. 130). ومن الناحية الدلالية، فإن نقل الصوت إلى الميم المطبقة ذات الغنة الخيشومية يسبغ على

المعنى طابع الشمول، والاستقرار، والكتمان الشديد؛ ففي "عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ"، يؤدي صوت الميم المنقلبة المخففة إلى إطباق الشفتين بنعومة مع امتداد الصوت من الخيشوم، مما يرمز إلى استغراق العلم الإلهي وإحاطته الشاملة بالظالمين وبما يخفونه في صدورهم من الخبايا والنيات التي لا يطلع عليها أحد، فجاء الصوت المنقلب المطبق معبراً عن إطباق العلم على المعلوم كتماناً وإحاطة (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١٩٠).

وفي قوله تعالى: (كَأَلَّا لَيْنٌ لَمْ يَنْتَهُ لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) (العلق، ١٥)، نجد تجاوزاً بديعاً بين التوكيد الخفيف والتنوين المنقلب ميماً قبل الباء "لِنَسْفَعُمُ بِالنَّاصِيَةِ" (الداني، ١٩٨٤، ص ١٥٠). إن إقلاب التنوين ميماً شفوية هنا يوفر انقباضاً شفوية حاسماً وسريعاً يتطابق كلياً مع الفعل المادي الموصوف وهو الأخذ القسري الشديد بالناصية وجذبها إلى جهنم؛ فصوت الميم المنقلبة والمطبقة يوحي بقبضة اليد الهاوية على الجبهة بقوة وإحكام، مما يحول الظاهرة الصوتية المتمثلة في الإقلاب من مجرد حكم تجويدي أداء إلى رسم متحرك وتصوير تجسيدي لحظة الجذب والبطش الإلهي بالمكذابين (Cantineau, 1960, p. 185). وهذا ما يؤكد أن أحكام الإخفاء والإقلاب تدور في فلك الخدمة الدلالية والسياقية، عبر توظيف المساحات الصوتية بين المخارج لتحقيق أعلى درجات المطابقة بين نغم الصوت وجوهر المعنى (الفارسي، ١٩٩٣، ج ٣، ص ١٨٥).

المطلب الثالث: تأثير الأصوات المتجاوزة (التماثل والمخالفة) في الدلالة

يتجاوز التأثير الفونولوجي التجاوري حدود الإدغام والإخفاء ليشمل مظاهر التماثل والتخالف المخرجي والصفاتي بين الصوامت والحركات المتجاوزة داخل الكلمة الواحدة أو بين كلمتين، وهو ما يُعرف -في اللسانيات الحديثة- بقوانين الملازمة الصوتية (Harmonic Assimilation) وقوانين المخالفة (Dissimilation) التي

تنزع إليها الألسن لتفادي الثقل الناجم عن تكرار الأمثال أو تقارب الأصوات الشديدة (سيبويه، ١٩٨٨، ج٤، ص٢٤٠). وفي القراءات القرآنية السبع، تنشأ عن هذه التغيرات التماثلية والمخالفة صيغ بنيوية مختلفة تفتح آفاقاً واسعة للتوجيه الدلالي والنحوي للنص (ابن جني، ١٩٥٢، ج٢، ص٢٣٠). فالتماثل يحدث عندما تتأثر الحركة بالحركة أو الصامت بالصامت ليتطابقا في الصفة أو المخرج، بينما تقع المخالفة عندما يبتعد أحد الصوتين المتماثلين عن صاحبه ليحدث تنوعاً نطقياً يزيل اللبس أو تؤكد فاصلة المعنى (النعمي، ٢٠١٤، ص ٢٦٠).

ونستعرض أولاً نموذج المماثلة الصوتية وأثرها التركيبي والدلالي في قراءة قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة، ٣٧)، إذ تنوعت القراءات في تحريك "آدَمَ" و"كَلِمَاتٍ"؛ فقرأ الجمهور بالرفع في "آدَمَ" والنصب في "كَلِمَاتٍ" على أن آدم هو الفاعل المباشر للتلقي، بينما قرأ ابن كثير بنصب "آدَمَ" ورفع "كَلِمَاتٍ" على أن الكلمات هي التي تلقت آدم واحتضنته بالرحمة (الداني، ١٩٨٤، ص١٦٢). إن التحليل الفونولوجي لموافقة حركة التاء والميم والحركات الملازمة لرفع "كَلِمَاتٍ" عند ابن كثير يظهر نوعاً من المماثلة التركيبية؛ إذ يصنع انضمام الضمة في "كَلِمَاتٍ" مع حركة البناء المرفوعة؛ انسجماً يصدم العقل ليعظم من قدر الكلمات الإلهية والتوبة الممنوحة، لتبدو الكلمات في البنية الصوتية- هي الفاعل القادر والمستوعب لآدم الناصب المكسور التائب، بينما تعكس قراءة الجمهور بالرفع "آدَمَ" الفاعلية البشرية المباشرة في السعي والابتهاال (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج٢، ص٣١٠). فالتغير الصوتي التركيبي هنا المعتمد على الحركة المتمثلة لم يتوقف عند الإعراب، بل رسم صورتين لاهوتيتين متكاملتين لعلاقة العبد بربه: فاعلية العبد في الدعاء، وإحاطة الرحمة الإلهية به (Gairdner, 1925, p. 120).

وفي ظاهرة المخالفة الصوتية التباعدية لتفادي ثقل الأمثال، نتأمل قراءة قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس، ٤٩)، إذ تنوعت القراءات في الفعل ﴿يَخِصِّمُونَ﴾؛ فقرأ ابن كثير وورش عن نافع بفتح الخاء وتشديد الصاد: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، وقرأ قالون عن نافع وأبو عمرو بإسكان الخاء وتشديد الصاد: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي بكسر الخاء وتشديد الصاد: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، وقرأ حمزة بإسكان الخاء وتخفيف الصاد: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، وهي أوجه قرائية تكشف عن تنوع الأداء الصوتي في بنية اللفظ الواحد (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٣، ص ٢٩٠). إن التحليل الفونولوجي لهذه القراءات المتعددة الناجمة عن المماثلة والمخالفة والإتباع الحركي يوضح عمق الصلة بالدلالة؛ فقراءة التضعيف والفتح "يَخِصِّمُونَ" (وأصلها يختصمون) تعتمد على إدغام التاء في الصاد وتماثل الحركة، مما يجسد اللدد الشديد، والتطاحن البليد، والجدال المستمر المحموم بين الكفار وهم لا يشعرون بمباغطة العذاب لهم؛ فالصوت المشدد المغلق يعبر عن الانغلاق الذهني والاشتغال الشديد بالخصومة المادية (ابن جني، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٢٧٥). أما قراءة التخفيف بالسكون "يَخِصِّمُونَ" فتصرف المعنى إلى مجرد الغلبة في الخصام من دون تكلف أو تطاحن ممتد، مما يجعل التماثل الصوتي والتفكيك المخرجي مؤشراً دقيقاً على مدى حدة الموقف وسرعة وقوع الصيحة عليهم وهم في غفلتهم (Kaye, 1997, p. 330).

كذلك تتجلى المماثلة الصوتية في التوجيه الدلالي للأسماء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ (طه، ٩٤)، إذ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم بفتح الميم: ﴿يَا ابْنَ أُمِّ﴾، وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بكسر الميم: ﴿يَا ابْنَ أُمِّ﴾ (الداني، ١٩٨٤، ص ١٧٠). إن فتح الميم في "أُمِّ" يعود إلى المماثلة الصوتية الخفيفة مع فتحة النون والتقاء النداء المنادى المضاف المبني على الفتح للتخفيف والاستغاثة المباشرة، وهو ما يحمل دلالة النداء العاطفي

والاستعطاف الرقيق من هارون لأخيه موسى عليهما السلام عبر التوسل بقراءة الأمومة الرؤوفة للتخفيف من غضبه الحاد، فجاء الصوت المفتوح المنبسط ناطقاً بالرجاء والرقّة والتلطّف (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج٤، ص٢٥٠). في حين يعيد الكسر المضاف في "أمّ" التركيب إلى أصله الإضافي المحقق، مما يذكر هارون بأصل النسب الشريف والحرمة المباشرة، ليبث في نفس أخيه احترام هذا الرباط الرحمي الصارم (Al-Ani, 1970, p. 150). وهكذا يتأكد أن تجاور الأصوات وتؤثر بعضها ببعض بالتماثل أو المخالفة أو الإتياع يمثل محرّكاً رئيساً لتوجيه النص القرآني ورفده بظلال معنوية وإيحاءات نفسية دقيقة تعزز من القيمة الإعجازية للقرآن الكريم وقراءاته المتواترة (Kopf, 1956, p. 75).

المبحث الثالث

التغيرات الفونولوجية في البنية الصرفية وأثرها في المعنى

توطئة:

يتشابه المستوى الصوتي بالمستوى الصرفي في البنية اللغوية للسان العربي ليشكلاً معاً ما يُعرف اصطلاحاً بـ"الفونومورفولوجيا" (Phonomorphology)، إذ لا يمكن فصل التغيرات الفونولوجية عن الأحكام الصرفية للكلمة القرآنية (النعيمي، ٢٠١٤، ص٢٩٠). ويُعد القرآن وقراءاته المتواترة ميداناً خصباً لتجليات هذا التداخل البنيوي؛ إذ يترتب على الاختلاف في الأداء الصوتي -سواء بإبدال الحركات، أو التقاء الساكنين وتحريكهما، أو الوقف والابتداء- تحولات جذرية في البنية الصرفية للأسماء والأفعال والمشتقات (ابن جني، ١٩٥٢، ج١، ص١٤٠). إن المتأمل في توجيهات أئمة القراءات والنحاة يلمح إدراكاً عميقاً لكون التغير الصوتي الصرفي ليس مجرد تنوع أدائي لا قيمة له، بل هو أداة دلالية دقيقة تستوعب فروق المعاني وتستنتق خبايا

السياق القرآني (الفارسي، ١٩٩٣، ج ١، ص ٢١٥). فالأصوات التي تتحرك أو تسكن، والحروف التي تبدل، والوقفات التي تنشأ بين الجمل، كلها أسباب فونولوجية تؤدي إلى تعديل الوزن الصرفي، مما ينعكس مباشرة على التوجيه الدلالي والدلالة الوظيفية للآية الكريمة (الداني، ١٩٨٤، ص ١٩٥). ومن استقراء النماذج القراءة في هذا المبحث، سيتم تتبع كيف أسهمت التغيرات الصوتية الصرفية في إثراء البنية الدلالية للنص القرآني وتوسيع طاقاته التعبيرية (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ١، ص ٣١٠).

المطلب الأول: أثر إبدال الحركات والحروف في تغيير أبنية الأفعال والأسماء ودلالاتها

يُمثل إبدال الحركات (كالكسر والفتح والضم) وإبدال الحروف (كإبدال الهمزة هاءً أو الناء هاءً أو الحروف بعضها ببعض على وفق القراءات المتواترة) ظاهرة فونولوجية صرفية بالغة الأهمية في إحداث فروق دلالية بين صيغ الأفعال والأسماء (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٣، ص ١١٥). فعندما يقرأ قارئ بفتح عين الفعل أو كسرهما، أو يبذل حرفاً بصوت مقارب، فإنه ينقل الكلمة من صيغة صرفية إلى صيغة أخرى، أو يوسع دلالتها لتشمل وجوهاً متعددة من المعاني المتسقة مع السياق القرآني العام (ابن جني، ١٩٩٩، ج ١، ص ١٨٠). وتتجلى القيمة الوظيفية لهذه الظاهرة في قراءة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ (سبأ، ١٩)، إذ قرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي وهشام عن ابن عامر: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ بصيغة الطلب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿رَبَّنَا بَعْدْ﴾ بصيغة الطلب أيضاً، ويكشف اختلاف الصيغتين عن تنوع في البنية الصرفية والأداء اللفظي مع اتفاقهما في أصل الدلالة، مما يبرز سعة العربية وتنوع طرائق التعبير عن المعنى الواحد (الداني، ١٩٨٤، ص ٢١٠). إن الإبدال الصوتي الحاصل في بنية الفعل بين صيغة الأمر (بَاعِدْ) وصيغة الماضي (بَاعَدَ) يغير الوظيفة الصرفية والدلالية جذرياً؛ فصيغة الأمر تعكس دعاء القوم أنفسهم وتحسرهم بالطلب المباشر لتطويل

المسافات، بينما صيغة الماضي (بَاعَدَ اللهُ) تجعل الفعل منسوباً للفاعل الإلهي القادر على إحداث هذا التفرق كعوبة وجزاء على كفرهم، فكان التغير الفونولوجي الصرفي حاملاً لبعدين دلاليين متكاملين: رغبة القوم ودعاؤهم، وقضاء الله النافذ في إبعاد أسفارهم (أبو علي الفارسي، ج ٣، ص ١٢٠).

وفي نموذج آخر يظهر فيه اختلاف حركة الفعل وأثرها في توجيه المعنى، نتأمل قراءة قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة، ١٢٥)، إذ قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، على صيغة الماضي والخبر، في حين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة والكسائي بكسر الخاء: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾، على صيغة الأمر (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٢، ص ٨٠). إن التحليل الصرفي الفونولوجي يوضح أن الإبدال الصوتي لحركة الخاء من الفتح إلى الكسر يحول الجملة من الإخبار التاريخي الماضي عن فعل الصحابة أو المؤمنين إلى صيغة الأمر الإلهي المباشر الموجه للأمة بحضور المشهد؛ فصيغة الأمر المكسورة الخاء تمنح الدلالة قوة تشريعية حتمية تلزم المخاطبين باتخاذ مقام إبراهيم مصلى، بينما صيغة الماضي تبرز الحدث كاستجابة واقعية حدثت بالفعل (Cantineau, 1960, p. 190). وهذا الاختلاف الصرفي الناجم عن التغير الفونولوجي يغني المعنى القرآني ويجمعه بين التوجيه التشريعي الخالد والتسجيل التاريخي الرصين (Al-Ani, 1970, p. 140).

كما يتضح أثر إبدال الحروف في الأسماء والأفعال في قوله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) (الأعلى، ٩) ومواضع أخرى، وفي قوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (النمل، ٨٨)؛ إذ وردت بعض القراءات الشاذة أو المتواترة بإبدال بعض الحروف أو بتغيير حركات البنية التي تؤدي إلى اختلاف دلالة التعدي واللزوم (Kaye, 1997, p. 340). وفي قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ (البقرة، ٩)، إذ قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾، بحذف الألف، من الفعل الثلاثي «خَدَعَ»، وقرأ نافع وابن

كثير وأبو عمرو: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾، بالألف، من باب المفاعلة «خادع»، وهو اختلاف في البنية الصرفية للفعل يترتب عليه تنوع في توجيه المعنى (الداني، ١٩٨٤، ص ٩٥). إن الإبدال الصوتي المتمثل في زيادة الألف الصرفية يغير البنية من الثلاثي المجرد إلى المزيد بالمفاعلة، وهو ما ينعكس دلاليًا في إظهار الفعل في صورة المشاركة والتمويه المتبادل، في حين يفيد الفعل المجرد "يخدعون" وقوع الخدعة من دون استعراض المشاركة الظاهرة، فكان التغير الفونولوجي الصرفي دالاً على عمق النفاق وحيرتهم في محاولة خداع الله والمؤمنين (النعمي، ٢٠١٤، ص ٣٠٥).

المطلب الثاني: أثر التقاء الساكنين وتحريكهما في الربط بين الجمل والسياق

يُعد التقاء الساكنين في الفواصل الكلامية وبين الكلمات إحدى أشد المشكلات الفونولوجية التي تحاول الألسن العربية تلافيها عبر آليات التخلص من الالتقاء، إما بالحذف وإما بالتحريك (بالفتح، أو الكسر، أو الضم) (سبيويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ١٨٠). وفي القرآن الكريم وقراءاته، يختلف القراء في طرائق التخلص من التقاء الساكنين عند وصل الكلمات، مما يحدث تنوعاً صوتياً تصريفيًا يؤثر مباشرة في الربط بين الجمل وتحقيق عناصر السياق (Cohesion) (ابن جني، ١٩٥٢، ج ٢، ص ١١٠). فالتحريك بالكسر أو الفتح للتخلص من الساكنين ليس مجرد إجراء نطقي ميكانيكي آلي لتسهيل النطق، بل هو رابط سيمانتيكي يحدد طبيعة العلاقة النحوية والدلالية بين الكلمة الأولى وما بعدها، ويمنع انقطع الإيقاع الصوتي الذي يخلّ بتمام المعنى (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ١٩٥).

ومن أبرز النماذج على ذلك قراءات قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ) (الإخلاص، ١-٢) عند الوصل، وقرات قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) (مريم، ٨٨)، وقوله تعالى: (فَمَا لَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) (النساء، ٧٨)؛ إذ يلتقي التنوين أو حرف المد الساكن بالساكن التالي في بداية الكلمة الموالية (الداني،

١٩٨٤، ص ٢٢٥). فعند الوصل في قوله تعالى "أَحَدٌ * الله"، يتحرك التثوين بالكسر (أَحَدِ الله) تخلصاً من التقاء الساكنين (التثوين واللام الساكنة)، وهذا التحريك الصوتي بالكسر يربط الموصوف بصفته أو خبره ربطاً وثيقاً يمنع الوقف المتقطع، مما يعكس دلاليًا توحيد الذات الإلهية ودمج صفتي الأحدية والصدئية في وحدة إدراكية متصلة لا ينقسم عراها (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١١٥). ولو قيل بالوقف لانقطع المعنى، فكان هذا التحريك الصوتي جسراً فونولوجياً يعبر عن الاتساق الدلالي المحكم (Gairdner, 1925, p. 110).

وفي قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا) (البقرة، ٦٠)، نجد التقاء الساكنين في "وَإِذِ اسْتَسْقَى"؛ إذ تحركت الذال المكسورة أصلاً أو التقت بساكن السين، وكذلك في مواضع التقاء التعريف أو حروف المد بالساكنين مثل "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" (عبس، ١٧) (الداني، ١٩٨٤، ص ٢٣٠). إن طريقة تحريك الساكن الأول بالكسر أو الفتح في القراءات المختلفة (كحركات الإتياع أو التحريك بالفتح لخفة الفتحة كما في لام الجر أو حروف المعاني) تسهم في الحفاظ على استمرارية التدفق الصوتي للنص (Al-Ani, 1970, p. 155). ففي قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) (آل عمران، ٢٦)، تحركت لام "قُلْ" بالكسر لالتقاء الساكنين (لام الفعل ولام الجلالة)، وهذا الكسر الفونولوجي يمنع حدوث الخشونة النطقية ويضمن انسياب المعنى التوحيدي الخالص من دون انقطاع، مما يجعل السامع يتلقى الطلب الإلهي والدعاء بقلب متصل وفكر متسق (Kopf, 1956, p. 80). وبالتالي، فإن آليات التخلص من التقاء الساكنين عبر الحركات المختلفة في القراءات السبع تمثل أدوات صريفية دقيقة لضبط إيقاع الجملة القرآنية وخدمة الاتساق النصي (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٣٢٠).

المطلب الثالث: أثر الوقف والابتداء في تحديد المقاصد وإزالة اللبس

يُعد الوقف والابتداء من أهم الفروع الصوتية والدلالية في القرآن الكريم وقراءاته؛ فالوقف هو السكتة الصوتية المجدولة التي يستريح فيها القارئ لاستعادة النفس، بينما الابتداء هو استئناف القول بعد الوقف (الداني، ١٩٨٤، ص ٢٤٠). وقد أجمع علماء القراءات والتفسير على أن معرفة الوقف والابتداء شرط أساسي لفهم المعاني القرآنية؛ لأن الخطأ فيهما قد يفسد المعنى أو يقلبه رأساً على عقب (ابن الجزري، ١٩٩٩، ج ١، ص ٣٣٠). ومن هنا، فإن الوقف بوصفه ظاهرة صوتية فونولوجية لا يقتصر أثره على الجانب الأداء التجويدي، بل يتعداه ليكون الفيصل الحاسم في تحديد المقاصد الإلهية، وإزالة اللبس الدلالي، وتعيين المراد بدقة تامة (ابن جني، ١٩٥٢، ج ١، ص ١٩٠).

وتتجلى القيمة الدلالية للوقف والابتداء في قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (آل عمران، ٧)؛ إذ اختلف القراء والعلماء في موضع الوقف الجائز؛ فمنهم من وقف عند قوله: "إِلَّا اللَّهُ" وابتدأ بقوله: "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ"، ومنهم من وصلها فجعل الراسخين يعلمون التأويل مع الله عطفاً على لفظ الجلالة (الداني، ١٩٨٤، ص ٢٤٥). إن الوقف الصوتي التام عند "إِلَّا اللَّهُ" يفرز دلالة عقدية قاطعة تفيد استئثار الله سبحانه وتعالى بعلم تأويل المتشابهات وانفراد ذاته العلية بذلك، في حين الابتداء بـ"وَالرَّاسِخُونَ" يجعلهم في مقام الإقرار بالعجز عن الإحاطة والإيمان المجل بالمتشابه (أبو علي الفارسي، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٢٤٠). فالفصل الصوتي بالوقف يزيل اللبس التام بين احتمالين دلاليين عظيمين، ويحسم المعنى العقدي بدقة متناهية لا تحتل الشك (النعمي، ٢٠١٤، ص ٣٤٠).

وفي نموذج آخر يتضح فيه أثر الوقف في إزالة اللبس، نتأمل قوله تعالى: (لَا جُرَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَقاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ) (البقرة، ١٩٨)، وقوله

تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَاعِلِينَ) (يس، ١٦-١٧)؛ إذ تقتضي الأوقاف الصوتية حسن الابتداء لبيان التنزيه الإلهي المطلق (ابن جني، ١٩٩٩، ج ٢، ص ١٥٠). فلو وصل القارئ قوله: (مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ * لَوْ أَرَدْنَا) من دون سكتة أو وقف تام، لاختلط المعنى وتوهم السامع اتصال النفي بالإرادة على خلاف المراد، فجاء الوقف الصوتي ليؤسس فاصلاً دلاليًا يحمي المعنى القرآني من أي تأويل فاسد أو لبس محتمل (Cantineau, 1960, p. 200). كما أن سكتات حفص عن عاصم الأربع (في مثل قوله تعالى: (عَوَجًا * قَيْمًا) في الكهف، و(مَرْقَدُنَا * هَذَا) في يس، و(مَنْ * رَاقٍ) في القيامة، و(بَلْ * رَانَ) في المطففين) تُمثل أروع تطبيق فونولوجي للوقف الساكت الذي يمنع اندماج الكلمات المتباعدة دلاليًا؛ فالسكتة الصوتية اللحظية بين "مَنْ" و"رَاقٍ" (القيامة، ٢٧) تمنع توهم الإدغام وتؤكد استفهام النفي والتعجب من حال المحتضر، إذ لو أدغمت النون في الراء لصارت "مَرَّاقٍ" (من المروق أو غيره) وتغير المعنى تمامًا (الداني، ١٩٨٤، ص ٢٦٠). وبذلك يتبين أن الوقف والابتداء ليسا مجرد تنفس أو استراحة، بل هما أداة فونولوجية عليا لحراسة المعنى وتوجيه المقاصد القرآنية الوجهة السليمة (Al-Ani, 1970, p. 165).

الخاتمة:

انطلقت رحلتنا العلمية من فرضية أصلية مفادها أن الاختلاف الصوتي في القرآن الكريم وقراءاته المتواترة ليس مجرد ظاهرة تنوع أداءٍ أو تنوع لهجي نفعي عابر، بل هو بنية فونولوجية وظيفية دقيقة تُلقي بظلالها المباشرة على المكون السيمانتيكي (الدلالي)، وتتضافر مع التراكيب النحوية والصرفية لتوليد أبعاد معنوية جديدة تُثري النص القرآني الخالد.

واستدعى تحقيق هذا الهدف استقراءً تحليليًا متعمقًا، جرى توزيع مفرداته بيتين ثلاثة مباحث رئيسة، تبنت منهجًا يجمع بين رصانة الطرح التراثي اللغوي لعلماء العربية والأداء القراءاتي، وبين دقة التحليل اللساني الصوتي الحديث. فتناول البحث في المبحث الأول الظواهر الصوتية التسهيلية، كالهمز والنبر والإمالة والتفخيم والترقيق، مبيناً كيف يمنح التخفيف الصوتي النص القرآني مرونة نطقية وسعة دلالية تجمع بين التيسير على اللسان العربي وتكثيف الشحنات المعنوية. ثم عرّج المبحث الثاني على الظواهر التماثلية والتقاربية كالإدغام الكبير والصغير والإخفاء والإقلاب والمماثلة والمخالفة، وكشف عن دور التلاحم الفونولوجي في تسريع الإيقاع الصوتي ورسم الصور البيانية والنفسية لمشاهد الآيات وتجسيد المعاني بالصوت المباشر. وحط البحث رحاله في المبحث الثالث عند التغيرات الفونولوجية في البنية الصرفية (الفونومورفولوجيا)، مستعرضاً أثر إبدال الحركات والحروف في إحداث التحولات الصرفية للأسماء والأفعال، وطرائق التخلص من التقاء الساكنين، ودور الوقف والابتداء والسكت كفاصل حاسم في توجيه المقاصد العقودية والدلالية وإزالة اللبس.

وبعد هذه الرحلة العلمية في رحاب المادة القرآنية الصوتية، يُمكن اختزال حصاد البحث وجوهره عبر بلورة نتائجه وتوصياته على وفق الآتي:

أولاً: تحليل النتائج

أسفرت هذه الدراسة الفونولوجية الدلالية للقرآن الكريم وقراءاته عن جملة من النتائج العلمية الجوهرية، التي نلخصها في النقاط التحليلية الآتية:

- أثبت البحث أن الصوت القرآني ليس وعاءً مفرغاً لنقل المعنى فحسب، بل هو مكون أساسي في صناعة المعنى نفسه. فالتحول الفونولوجي الذي يحدث للحرف أو الحركة عند الانتقال من قراءة إلى قراءة أخرى (كالتسهيل، أو الإدغام، أو الإمالة) يعيد تشكيل الصورة الذهنية لدى السامع ويفتح النص على أبعاد تفسيرية متجددة.

- كشفت نتائج التحليل أن اختلاف القراءات القرآنية لا ينبغي أن يُدرس بوصفه مجرد اختيار أداءٍ أو لهجة قبلية قديمة، بل بوصفه نظامًا فونولوجيًا وظيفيًا متكاملًا؛ إذ إن كل وجه قراءتي يحمل في طياته دلالة سياقية ومقصدية تتسق اتساقًا تامًا مع السياق الذي وردت فيه الآية.

- أظهر تحليل الإدغام (الكبير والصغير) والمماثلة الصوتية أن دمج المخرجين المتماثلين أو المتقاربين يؤدي إلى تسريع الوتيرة الصوتية والتخلص من الفواصل الزمانية والنطقية، مما يعكس دلاليًا حالة التلاحم، أو الاستمرار، أو السرعة في الامتثال للأمر الإلهي، أو ثبات الصفة وتجسيدها في الواقع.

- إن ظواهر مثل الإخفاء والإقلاب تمنح النص إيقاعًا نفسيًا متدرجًا؛ فالغنة المصاحبة للإخفاء توفر ظلًا من الترقب والتريث والستر يناسب المقامات التي تتناول الخفاء أو المعاناة النفسية، بينما يوفر الإقلاب الميمي انقباضًا شفهيًا يجسد الإحاطة، أو الكتمان، أو الأخذ القسري الشديد.

- أثبتت الدراسة أن تغير الحركات أو إبدال الحروف داخل البنية الصرفية (كالانتقال من الفعل المجرد إلى المزيد، أو من الماضي إلى الأمر) يُحدث تنوعًا في الوظائف النحوية والصرفية، مما يسمح للنص القرآني المكون من كلمات معدودة بتقديم معانٍ متعددة تجمع بين الإخبار التاريخي والتوجيه التشريعي ودعاء الابتهاال.

- كشفت نتائج البحث عن أن السكتات الصوتية ومواضع الوقف ليست مجرد استراحات نطقية لاستعادة النفس، بل هي حدود فونولوجية حاسمة تعمل على فصل المفاهيم المتميزة، وترسيخ قواعد التنزيه الإلهي، وإزالة أي لبس عقدي أو نحوي قد ينشأ عن وصل الكلام المتباين.

- أظهرت الدراسة أن النظام الصوتي للقرآن الكريم وقراءاته يمثل التطبيق الأسمى لقوانين التيسير والتخفيف والملاءمة الصوتية الشائعة في اللسان البشري، مما يجعل المادة القرآنية المرجعية الصوتية الأولى والأصح لفهم تطور اللغة العربية وقوانينها الفونولوجية.

ثانياً: التوصيات

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها، وفي ضوء ما كشفت عنه هذه الدراسة من آفاق علمية واعدة تجمع بين علوم القرآن واللسانيات الحديثة، يوصي الباحثان بما يلي:

- ضرورة إعادة صوغ الدراسات المتعلقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم، بحيث لا تقتصر على الجوانب البلاغية والنحوية التقليدية، بل تتسع لتشمل "الإعجاز الفونولوجي" القائم على التحليل الصوتي الوظيفي وجرس الكلمات وملاءمتها للمقاصد.

- إقامة مشاريع بحثية أكاديمية تعتمد على تقاطعات علم اللغة التراثي (ككتب الحجة والمحتسب والنشر) مع النظريات اللسانية الصوتية الحديثة (كالفونولوجيا التوليدية والتوزيعية)، وذلك لتطوير أدوات تحليلية قادرة على كشف مكنونات النص القرآني بلغة عصر يفهمها الباحث المعاصر.

- تكثيف البحوث البيئية التي تدرس التداخل بين الصوت والصرف والتراكيب في القراءات القرآنية؛ لما لهذا التداخل من أهمية قصوى في كشف دلالات الصيغ المزيّدة والمجردة والتغيرات الإعرابية الناتجة عن الحركة والسكون.

- ضرورة العمل على تصميم أطالس صوتية رقمية أو أجهزة تحليل معلمي حاسوبي (Acoustic Analysis) لأداءات القراءات المتواترة، لرصد الفروق الفيزياء الصوتية (كالترددات والأزمنة النطقية) للُعْن والمُدود والإمالات، وربطها بالدلالة المعنوية.

- حث المؤسسات الأكاديمية والدينية المتخصصة على تدريس علوم القرآن الكريم وقراءاته ليس كأحكام تجويدية وأسانيد ونقل فحسب، بل كمنظومة دلالية ولغوية تعين القارئ والمفسر على استنباط الأحكام والمعاني التفسيرية عبر نطق الحروف وأدائها الصوتي.

- الابتعاد عن التكرار في الأبحاث القرآنية، والتوجه نحو استقراء آثار الظواهر الصوتية في القراءات الشاذة أو القراءات العشر من الزاوية الدلالية والسيمانتية، للكشف عن التنوع المعجمي والدلالي المتزن للسان العربي.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

أولاً: المصادر والمراجع العربية الأصيلة

- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (١٩٩٩). النشر في القراءات العشر (تحقيق: علي محمد الضباع). القاهرة: دار الكتب العلمية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٢). سر صناعة الإعراب (تحقيق: مصطفى السقا). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٩٩). المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (تحقيق: علي النجدي ناصف). القاهرة: وزارة الأوقاف المصرية- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (١٩٨٤). التيسير في القراءات السبع (تحقيق: أوتو يرتزل). بيروت: دار الكتاب العربي.
- سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد (١٩٩٣). لحة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد (تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي). دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث.
- النعيمي، حسام سعيد (٢٠١٤). الدراسات الصوتية عند العرب. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية (Foreign References)

- Al-Ani, S. H. (1970). Arabic Phonology: An Acoustical and Physiological Investigation. The Hague: Mouton.
- Cantineau, J. (1960). Études de linguistique arabe: Mémorial Jean Cantineau. Paris: Klincksieck.
- Gairdner, W. H. T. (1925). The Phonetics of Arabic. London: Oxford University Press.
- Kaye, A. S. (1997). Phonologies of Asia and Africa (Including the Caucasus). Winona Lake: Eisenbrauns.
- Kopf, L. (1956). The Treatment of Foreign Words in Medieval Arabic Lexicography. Scripta Hierosolymitana, 9, 60–75.

الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال

م.م. رسل ناجي أبراهيم

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

rusulnaji@uomustansansiriyah.edu.iq

ملخص البحث:

هدف البحث الحالي الى تعرف مستوى الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال والفروق في الانغماس الوظيفي بين المعلمات بحسب مستوى الانغماس الوظيفي والتخصص، وقد قامت الباحثة بأعداد مقياس الانغماس الوظيفي بعد الاطلاع على النظريات والدراسات السابقة، وتكون المقياس من (٢٦) فقرة واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي وتكونت عينة البحث من (١٧٠) معلمة في مديريات الكرخ الاولى والثانية والثالثة، وباستخدام الوسائل الاحصائية المناسبة، وقد توصلت الباحثة الى ان لدى معلمات رياض الاطفال مستوى مرتفع من الانغماس الوظيفي.

كلمات المفتاحية: الانغماس الوظيفي، معلمات رياض الأطفال.

Job Engagement among Kindergarten Teachers

Assistant Lecturer: Rusul Naji Ibrahim

Mustansiriyah University / College of Basic Education

Email: rusulnaji@uomustansansiriyah.edu.iq

Abstract:

The current research aims to identify the level of job engagement among kindergarten teachers and to examine the differences in job engagement among teachers according to their level of job engagement and specialization. To achieve this, the researcher developed a Job Engagement Scale consisting of 26 items,

based on relevant theories and previous studies. Using a descriptive research design, the study was conducted on a sample of 170 teachers across the First, Second, and Third Karkh Education Directorates. After analyzing the data with appropriate statistical methods, the findings revealed that kindergarten teachers demonstrate a high level of job engagement.

Keywords: Job Engagement, Kindergarten Teachers.

الفصل الأول/ التعرف بالبحث

المشكلة البحث:

قد يشعر المعلمات ذوات الانغماس الوظيفي المنخفض بالاعتراب نتيجة شعورهم بأن وظائفهم تقتصر إلى الهدف، وأنهم ليسوا مهمين في المؤسسة، أو أنهم لا يستطيعون رؤية الصلة بين عملهم وما يعتقدون أنهم يمثلونه في الحياة (Hafer & Martin ٢٠٠٦: ٣) وإشارة التلبناني ٢٠١٥ عن الانغماس الوظيفي هو حالة من وعي الفرد لمدى توافق النفسي مع عمله، لقدرة العمل على إشباع الحاجات الواضحة والمتوقعة للفرد. (التلبناني وآخرون، ٢٠١٥: ٦٠).

كما أن الشخص المنغمس وظيفياً ينظر إلى وظيفته "كجزء مهم من مفهومه الذاتي" (Lawler, & Hall ، ١٩٧٠ : ٣١١). حيث ان الانغماس الوظيفي بأنه التقمص النفسي للفرد أو التزامه بوظيفته أما الانغماس الوظيفي هو مفهوم يُنظر إليه عمومًا على أنه إدارة للجهد الاختياري، فعندما يكون لدى الموظفين خيارات، فإنهم سيتصرفون

بطريقة تُعزز مصالح مؤسستهم. قد يكون الموظف المنغمس هو الشخص الذي يشارك بشكل كامل في عمله ويتحمس له. وبشكل عام، يُقصد مستوى انغماس الموظف في عمله اليومي ويمكن تحديد مستوى الانغماس الوظيفي من خلال احتياجات الشخص وقيمه وأخلاقيات عمله (خصائصه الشخصية)، والبيئة التنظيمية (البيئة)، وخصائص الوظيفة (Cohen: 239–263، ١٩٩٥). وعبر (يوسف، ٢٠١١) عن هذا التوجه حين يشير إلى أن العلاقات الاجتماعية السليمة والودية تشكل شرطاً لا غنى عنه للانغماس الوظيفي؛ لأنها تساعد على تشكيل اتجاه الفرد تجاه العمل. (يوسف، ٢٠١١: ١٩)

الأهمية البحث:

يُعتبر المعلومات أحد أركان المجتمع وركيزة أساسية لأي نظام تعليمي، تعنى المعلمة بتدريب عقول الأطفال غير الناضجة، وتعالجها وتُتمّيها في مختلف جوانبها، تؤثر جودة المعلمة على جودة للبيئة التعليمية والتعليم ككل. كما أن الانغماس المعلمة في الأنشطة الصفية تؤثر إيجابياً على الأداء العام للروضة والأطفال. لذا، يُعدّ الانغماس في العمل عاملاً أساسياً لفعالية التعليم وتحسين البيئة التعليمية، ويُعدّ مستوى الانغماس بالغ الأهمية لتحقيق الأهداف التعليمية، فإذا كان المعلم منغمساً بشكل كبير في عمله، فستشارك بفعالية في الأنشطة الأكاديمية للروضة، (W. Masud & Y. Singh، 2025:45)، إشارة الفضلي ٢٠٠١ أن الانغماس الوظيفي يعبر بصورة عامة عن أهمية الدور الذي تؤديه الوظيفة في حياة الفرد من جهة، ومدى استعداد ذلك الفرد للحفاظ على تلك الوظيفة، وبذل أقصى الجهود للوفاء بمتطلباتها من جهة أخرى. (الفضلي، ٢٠٠١: ١٠٦) أما المغربي ٢٠٠٤ يرى ان اختلاف التوجهات القيم نحو

العمل يمكن أن يرجع إلى سببها إلى مستوى الانغماس الوظيفي، والتي جرى تعلمها منذ الصغر كما وصفه كتاب آخرون بأنه يفنر إلى إطار فكري دقيق. (المغربي، ٢٠٠٤: ٤٥)

اشارة (Lodhal. 1965) هو مدى انتماء الموظف إلى وظيفته، ومشاركته الفعالة فيها، واعتباره أداءه الوظيفي مهمًا لقيمه الذاتية. وقد يتأثر ذلك بمستوى إشباع احتياجاته، سواء كانت داخلية أو خارجية. (Lodhal. 1965 : 64-73) وأوضح (Lodahl. and Kejner, (1965) لذلك كون بيئة العمل برمتها "محورًا أساسيًا في الحياة"، أي مدى اعتبارها مصدرًا رئيسيًا لإشباع الاحتياجات المهمة. (Lodahl) and (Kejner, 1965: 3)

وتتبع أهمية الانغماس الوظيفي كما ورد عن في أنه يدخل في صميم العلاقة الوظيفية؛ لأنه يتناول ما يفعله المعلمون، وكيف يتصرفون في أدوارهم، وما الذي يجعلهم ينتهجون سلوكًا بطرائق أخرى من أجل تحقيق أهداف المدرسة، وأهدافهم الشخصية على حد سواء، كما يعد من أهم المداخل المستخدمة للتنمية، وتحسين جودة حياة العمل للمعلم، فكلما ازداد ولاء المعلمة لعلمها كل ما كان العمل أكثر أهمية لها ولمؤسستها. (المنطاوي، ٢٠٠٧:)

ويعتبر الانغماس الوظيفي وهو مدى اهتمام المعلمة بعملها، وتقمصها معه، وانشغالها به، مقارنةً بجوانب أخرى من حياتها. (Kanungo, 1982: ٢) حيث فسرها أيضاً لوداهي وكجنار (١٩٦٥) مدى تماهي الشخص نفسيًا مع عمله، أو أهمية العمل في صورته الذاتية الشاملة، وأضافوا أنه عندما يكون هناك درجة عالية من التقمص مع

العمل، فإن استيعاب الأحكام القيمية حول جودة العمل أو أهميته يُعد بمثابة مؤشر نفسي على جودة الفرد الذي يؤدي العمل. يعد الانغماس الوظيفي سلوكًا مهمًا للمعلم فيما يتعلق بوظيفته، فهو يُظهر مدى انغماس الفرد شخصيًا في وظيفتها. Lodahl. (and Kejner ,1965:3).

استخدم غوهاو الابن (٢٠٢٣) منهجًا بحثيًا كميًا غير تجريبي، معتمدًا على تحليل الانحدار الخطي الهرمي المتعدد، لتحديد ثلاثة نماذج تنبؤية حول مدى انغماس معلمي المدارس الحكومية في عملهم. ونظرًا لأن المعلمين أنفسهم يتمتعون بدرجة عالية من الانغماس الوظيفي، فإن شعورهم الإيجابي بالانتماء، وتقييماتهم الإيجابية، واستمتاعهم بعملهم، كلها عوامل تُسهم في تدريس أكثر فعالية وتأثير إيجابي أكبر على الطلاب غوهاو الابن (٢٠٢٣) حين أن الانغماس الوظيفي الدرجة التي يندمج فيها الفرد مع الوظيفة التي يمارسها ويستشعر أهميتها، ولهذا فالأمر هنا مرتبط بالنواحي العقلية والعاطفية معا. (العنقري، ٢٠١٣: ٣٢)

أنه كلما زاد انغماس المعلمة كلما ازدادت احتمالية تكلمه بأشياء إيجابية عن المؤسسة التي يعمل فيها، وبذلك تزداد مساهمته في إتاحة خدمات إيجابية للعمل ورغبته في البقاء ضمن المؤسسة وبالتالي تخفيف من نسبة الغياب عن العمل وتركه وإعطاء الجهد على المستوى الأعلى وبشكل منتظم، وكذلك التأثير الفاعل على متغيرات عديدة مثل جودة الخدمة وزيادة التعاون بين الزملاء (ماضي، ٢٠١٤: ٢٦)

ويمكن إيجاز الأهمية النظرية والتطبيقية لهذا البحث :

اولاً: الأهمية النظرية : تتمثل بالآتي ،

- ١- الادب النظري الذي سوف توفره في متغير الانغماس الوظيفي لدى المعلمات
- ٢- ندرة الدراسات العراقية التي تناولت متغير الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الأطفال

ثانياً : الأهمية التطبيقية :

- ١- إعداد مقياس لقياس الانغماس الوظيفي لدى كعلمات رياض الاطفال للافادة منه في دراسات لاحقة
- ٢- مثل هذا البحث وما سيفير عنها من نتائج ومقترحات منطلق لبحوث ميدانية ونظريو لفهم اوسع الانغماس الوظيفي لدى معلمات الروضة .

ثالثاً: الاهداف

يهدف البحث الحالي الى:

- ١- الانغماس الوظيفي لدى معلمات الروضة .
- ٢- دلالة الفرق في الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال وفق متغير التخصص (رياض أطفال، تخصصات أخرى)

رابعاً: حدود البحث

تحدد البحث الحالي بمعلمات رياض الاطفال في محافظة بغداد بجانب الرح (أولى، الثانية، الثالثة) للعام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦.

خامساً: تحديد المصطلحات

أولاً: الانغماس الوظيفي: عرفها كل من:

- لاوير وهول (١٩٧٠): مدى مشاركة الفرد الفعالة في وظيفته، ومدى أهمية وظيفته لصورته الذاتية. (Lawler & Hall, 1970: 2)
- لودهي وكينجر (١٩٨٥): هو مدى ارتباط الشخص نفسه بعمله أو أهمية العمل في الصورة الذاتية الكلية. (Lodahl. and Kejner, 1985 : 3)
- (محمد، ٢٠١٥)
- بأنها ارتباط المعلمة عاطفياً وسلوكياً ومعرفياً بالعمل الذي تقوم بأدائه. (محمد، ٢٠١٥: ١٦٩)
- قامت الباحثة بالتعديل والاعتماد على تعريف محمد ٢٠١٥ في اعداد المقياس
- التعريف النظري: تبنة الباحثة تعريف Stokols, قامت الباحثة بالتعديل والاعتماد على تعريف محمد ٢٠١٥ في اعداد المقياس
- التعريف الاجرائي: الدرجة الكلية التي تحصل عليها المعلمة من خلال اجابتهن عن فقرات مقياس الانغماس الوظيفي المعد من قبل الباحثة.
- ثانياً: معلمة رياض الأطفال:
- بدر (٢٠٠٩)
- " أنها اساس العملية التربوية التعليمية في الروضة فعلى عانتها يقع العبء الاكبر في تحقيق رسالة الروضة، ونجاح المعلمة في مهنتها في هذه المرحلة المهمة والصعبة والحرية في حياة الطفل يعد نجاحاً للروضة في تحقيق أهدافها" (بدر، ٢٠٠٩ : ٢٨٥)

النظريات والدراسات السابقة

مفهوم الانغماس الوظيفي:

يُنسب الفضل في تقديم مفهوم الانغماس الوظيفي إلى لودال وكنير عام ١٩٦٥، حيث عرّفاه بأنه التماهي النفسي للفرد مع عمله، مما يؤثر على تقديره لذاته اقترح مصطلح " الانغماس الوظيفي " لأول مرة، والذي يشير إلى مدى أهمية العمل في تصور الفرد لذاته، يستند هذا المفهوم إلى فكرة الاستثمار الذاتي والرغبة في الاهتمام بأمور الحياة (لودال وكنير عام ١٩٦٥). (Lodahl & Kejner, 1965:5)

لاحقاً، قام (كانونغو ، 1982) بتطوير هذا المفهوم، مُدخلًا بعض التعديلات عليه، فقد أوضح أن الانغماس الوظيفي هو إيمان الفرد بوظيفته الحالية، وأنه بمثابة حافز يُلبّي احتياجاته الحالية، بالإضافة إلى ذلك، بيّن الفرق بين الوظيفة والعمل، حيث ذكر أن الوظيفة هي عمل الفرد الحالي، بينما العمل هو العمل بشكل عام يمكن القول إن الانغماس الوظيفي هو مدى انغماس الموظفين في وظائفهم، وتكريسهم الوقت والجهد لها، واعتبارهم العمل جزءاً أساسياً من حياتهم. (Kanung, 1982 :23)

الانغماس الوظيفي مؤشراً على ارتفاع دافعية الشخص وإتقانه للمهارات اللازمة للعمل، وقد قام باحثون لاحقون بتعريف الانغماس الوظيفي بشكل أوسع. (Kahn, : ٥٦ 1990) ويعبر عن حالة استثمار الفرد في العمل، مع وجود مكون معرفي وعاطفي

كبير، مع التركيز على الاندماج الفعال في العمل وإظهار حالات عاطفية ومعرفية إيجابية ومتفائلة. (Bakker., Demerouti, & Sanz-Vergel ,2014: ٩٨)

سمات الانغماس الوظيفي:

١. الانغماس الوظيفي حالة معرفية تتمثل في التماهي النفسي مع الوظيفة.
٢. الانغماس الوظيفي حالة فردية تختلف من شخص لآخر.
٣. التجارب الوظيفية المرضية تزيد من الانغماس الوظيفي.
٤. يؤثر الانغماس الوظيفي على كل من الفرد والمنظمة.
٥. يُظهر الانغماس الوظيفي الارتباط النفسي للفرد بوظيفته.
٦. يُساهم الانغماس الوظيفي في تحفيز الموارد البشرية.
٧. يُحسن الانغماس الوظيفي الأداء التنظيمي للفرد.
٨. انخفاض مستوى الانغماس الوظيفي يؤدي إلى انخفاض الإنتاجية.
٩. يُشير الانغماس الوظيفي إلى جودة الحياة العملية.
١٠. يُحافظ الانغماس الوظيفي على تحفيز الفرد (W. Masud & Y. Singh ,2025:49)

النظريات التي فسرت الانغماس الوظيفي:

- ١- نظرية التوقعات لـ Froom ١٩٦

قام العلم 1964 Froom بتطوير هذه النظرية وافترضت أن على مدير المؤسسة أن يوظف تقبله كمدير لدى الموظفين وأن يعمل على توجيههم وزيادة حماسهم، وهذا يستند بدرجة كبيرة على رغبة الموظف وميله للتصرف في ضوء النتائج المتوقعة من تصرفه، فإذا كانت توقعات الفرد أقل من حوافز مكان العمل سيرتفع انغماسه، بالتالي عندما تكون التوقعات أكثر من حوافز مكان العمل سينخفض انغماسه. (الوحيدي، 2013: 29)

٢ - نظرية التكامل كلاً من (رابينويتز و هول ، 1977)

إشارة هذه النظرية الى ثلاث منظورات نظرية للانغماس الوظيفي:

(١) الانغماس الوظيفي كمتغير يمثل الفروق الشخصية بين الأفراد.

(٢) الانغماس الوظيفي كمحصلة ظروف ومواقف معينة.

(٣) الانغماس الوظيفي كتفاعل بين الفرد والظروف المختلفة (رشيد، 1993: 107).

ويشير هذا النموذج الى ان التأثير الأكبر على الانغماس الوظيفي هي هذه المتغيرات الثلاث، ويوضح ذلك حين يرى Rabinowitz & Hall, 1977 إن الانغماس الوظيفي يتأثر بميول الفرد المهنية وقيمه ومقدار الوقت اللازم لأداء الوظيفة بكفاءة والمسؤوليات التي يتحملها الفرد نتيجة القيام بها. ويتأثر الانغماس الوظيفي بالخصائص الشخصية الفردية مثل (النوع، العمر، والحالة الاجتماعية، وموقع السكن، ومركز الرقابة الداخلي أو الخارجي، والالتزام بالأخلاقيات الدينية للعمل والتي تلزم الفرد بالتمسك بالاتجاهات والسلوكيات الإيجابية في العمل).

وايضاً يتأثر بالمتغيرات الموقفية كنمط القيادة، والمشاركة في اتخاذ القرار، والمزايا الوظيفية، وعلاقات العمل، والقيم التنظيمية وغيرها من العوامل الأخرى. وإن التفاعل بين كل من متغيرات ميول الفرد والمتغيرات الموقفية يؤثر على اتجاهات وسلوكيات العمل لدى الفرد ومن ثَمَّ عندما تتحقق حالة من التوافق بين ميول الفرد والمتغيرات الموقفية عبر التفاعل بينهما، تزيد درجة الانغماس الوظيفي (قاسم، ٢٠١٢: ٩٨).

٣- أنموذج متعدد الأبعاد للانغماس الوظيفي لـ (Yushimura, ١٩٩٦)

الذي أكد في هذا النموذج على أنه ليس مفهوماً أحادي الأبعاد، وأنه يتكون من ثلاثة أبعاد هي:

١- الانغماس العاطفي: مدى قوة استمتاع الفرد للعمل في وظيفته، أو مستوى حبه لعمله.

٢- الانغماس المعرفي: ومشاركته في اتخاذ القرارات الخاصة بوظيفته، درجة إدراك الفرد لنفسه كعضو في المؤسسة، أو درجة أهمية الوظيفة في حياته.

٣- الانغماس السلوكي: اتخاذ الفرد الموظف دوراً إضافياً في العمل، كأن يأخذ الفترة المسائية لتعزيز مهاراته المتعلقة بوظيفته، أو للتفكير في العمل بعد مغادرته.

وأوضح أن الانغماس الوظيفي يشكل أحد القضايا الأساسية اللازمة لفهم سلوك الموظفين في بيئة العمل ، حيث يعبر عن الدرجة التي يندمج فيها الفرد مع وظيفته التي يمارسها ويستشعر أهميتها، لذا فإنه يرتبط بها عاطفياً وانفعالياً (معرفياً) وسلوكياً في آن واحد ، حيث يتأثر بالعديد من المؤثرات منها: المستوى العاطفي الذي يتضح من

خلال آثاره الإيجابية على الفرد كالسعادة والرضا الوظيفي والشعور بالراحة داخل العمل وتقدير الذات والعكس صحيح أيضا عندما ينخفض مستوى الانغماس فيظهر الأثر السلبي على مشاعر الفرد، مثل القلق والضيق والكآبة. (يوشيمورا، ١٩٩٦: ٦٧٨-٦٨٢)

الدراسات السابقة

العربية

١- دراسة مؤنس ٢٠١٨ (الانغماس الوظيفي وعلاقته بالاحترق النفسي لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى في محافظة الوسطى - غزة)

هدفت الدراسة إلى تعرف مستوى الانغماس الوظيفي، ومستوى الاحتراق النفسي، والعلاقة بينهما لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى، ومعرفة مدى اختلاف مستوى الانغماس الوظيفي والاحتراق النفسي لدى أفراد العينة باختلاف متغيرات (الجنس، الخبرة). ولتحقيق ذلك جرى تطبيق أداتي الدراسة، وهما: مقياس الانغماس الوظيفي، ومقياس الاحتراق النفسي على عينة بلغت (٢٥٦) معلما ومعلمة، تم اختيارها بالطريقة العشوائية الطبقية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وبعد تحليل البيانات توصلت الدراسة إلى أهم النتائج التالية: جاء مستوى الانغماس الوظيفي ومستوى الاحتراق النفسي بدرجة متوسطة، وتبين أن هناك علاقة بين الانغماس الوظيفي والاحتراق النفسي، وعدم وجود فروق في مستوى الانغماس الوظيفي والاحتراق النفسي تعزى لمتغير الجنس والخبرة لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى في محافظة الوسطى - غزة.

وأوصت الدراسة بزيادة الدعم المادي والمعنوي، ورفع مستوى الكفاءة التربوية، وضرورة وضع برامج للدعم النفسي، والاجتماعي للمعلمين. (مؤنس ، ٢٠١٢ : ١)

٢-الأجنبية

١- دراسة (Hsiao ٢٠٢٣)

(استكشاف العلاقة بين الانغماس الوظيفي، ومعتقدات المعلمين، والرضا الوظيفي، والكفاءة الذاتية المهنية لدى معلمي المدارس الابتدائية)

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين الانغماس الوظيفي، ومعتقدات المعلمين، والرضا الوظيفي، والكفاءة الذاتية المهنية للمعلمين البدلاء في المدارس الابتدائية. تم تحليل ٣٠٤ استبيانات صالحة باستخدام برنامج SPSS 18.0 للإحصاء الوصفي، ومعامل ارتباط بيرسون، وتحليل الانحدار. تشير النتائج إلى أن مستوى الانخراط الوظيفي، ومعتقدات المعلمين، والرضا الوظيفي لدى المعلمين البدلاء في المدارس الابتدائية يتراوح بين المتوسط والعالي، بينما مستوى كفاءتهم الذاتية المهنية متوسط. توجد ارتباطات دالة إحصائية بين الانخراط الوظيفي، ومعتقدات المعلمين، والرضا الوظيفي، وكل بُعد من أبعاد الكفاءة الذاتية المهنية. علاوة على ذلك، يتمتع الانغماس الوظيفي، ومعتقدات المعلمين، والرضا الوظيفي بقدرة تنبؤية جزئية دالة إحصائية على كل بُعد من أبعاد الكفاءة الذاتية المهنية. الكلمات المفتاحية: الانخراط الوظيفي، معتقدات المعلم، الرضا الوظيفي، الكفاءة الذاتية المهنية.. (Hsiao ، ٢٠٢٣ : ١)

الفصل الثالث : منهج البحث واجراءاته

مجتمع البحث: تكون مجتمع البحث من معلمات رياض الاطفال الحكومية في محافظة بغداد للمديريات العامة الكرخ ٢٠٢٥-٢٠٢٦م والبالغ عددهم (٩٥٣) والجدول (١) يوضح ذلك:

جدول (١)

مجتمع البحث لمعلمات رياض الاطفال

المديريات	اعداد الرياض	اعداد المعلمات
الكرخ الأولى	٢٣	١٩٦
الكرخ الثانية	٣٢	٣٨٧
الكرخ الثالثة	٣٠	٣٧٠
المجموع	٨٥	٩٥٣

عينة البحث: بلغت عينة البحث (١٧٠) معلمة من معلمات رياض الاطفال، تم اختيارهم بالأسلوب العشوائي البسيط من ثم من مديريات الكرخ كما موضح الجدول ادناه (٢)

جدول (٢)

عينة البحث الاساسي

المديريات	اعداد الرياض	اعداد المعلمات
-----------	--------------	----------------

٦٠	١٠	الكرخ الأولى
٩٨	١٣	الكرخ الثانية
١٢	٥	الكرخ الثالثة
١٧٠	٢٨	المجموع

رابعاً: ادة البحث

ولذلك تحقيق أهداف البحث الحالي تطلب وجود مقياس الانغماس الوظيفي إذ قامت الباحثة بأعداد مقياس وفق الاتي:

- تحديد مفهوم الانغماس الوظيفي: من خلال اطلاع الباحثة على النظريات والدراسات السابقة التي تناولت هذا المفهوم، وتبنت الباحثة تعريف، وضمن الابعاد الثلاث التي اشارت اليها (Yushimura, ١٩٩٦) في بناء المقياس بما يأتي:

٤- الانغماس العاطفي: مدى قوة استمتاع الفرد للعمل في وظيفته، أو مستوى حبه لعمله.

٥- الانغماس المعرفي: ومشاركته في اتخاذ القرارات الخاصة بوظيفته، درجة إدراك الفرد لنفسه كعضو في المؤسسة، أو درجة أهمية الوظيفة في حياته.

٦- الانغماس السلوكي: اتخاذ الفرد الموظف دوراً إضافياً في العمل، كأن يأخذ الفترة المسائية لتعزيز مهاراته المتعلقة بوظيفته، أو للتفكير في العمل بعد مغادرته.

وفق هذا قامت الباحثة بصياغة ٢٦ فقرة ببدائل (دائماً، احياناً، ابداً) بدرجات (١،٢،٣) عند التصحيح.

- صلاحية الفقرات (الصدق الظاهري): عرضت الباحثة المقياس بصيغته الاولى ملحق (١) على مجموعة من المحكمين والمختصين في رياض الاطفال وعلم النفس التربوي والبالغ عددهم (٦) ملحق (٢) لبيان صدق الظاهري والحكم على مدى ملائمة التعريف والفقرات، صلاحية البدائل وضوح التعليمات وبعد الاطلاع على اراء آرائهم تم تحليل وبعد جمع ملاحظاتهم تم الاخذ بها. اذا اعتمدت الباحثة على نسبة اتفاق للابقاء على الفقرة ، وقد تم الابقاء على جميع الفقرات لحصولها على نسبة اتفاق بالاجماع دون اجراء اي تعديل .

العينة الاستطلاعية :

قامت الباحثة بتطبيق مقياس (لانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال) على عينة استطلاعية بلغت (٣١) معلمة اختيروا عشوائياً من مجتمع البحث، وذلك لغرض التعرف على مدى وضوح فقرات المقياس وبدائله، فضلاً عن معرفة متوسط زمن الاجابة على المقياس، وقد تبين ان جميع فقرات المقياس وتعليماته واضحة لدى جميع الأفراد، وان متوسط وقت الاجابة عليه (١٤) دقيقة.

الإجراءات الإحصائية لتحليل الفقرات:

يقصد بتحليل الفقرات اختيار الفقرات ذات القدرة على التمييز بين المستجيبين الذين يتمتعون بمستوى عالٍ في السمة التي يقيسها المقياس ، وبين المستجيبين الذين

يتمتعون بمستوى واطئ في السمة نفسها ، كما ان عملية التحليل هذه تعد شرطاً أساسياً في طريقة ليكرت لبناء المقاييس (Scannell, 1975: 214-215) .

تعد طريقة المجموعتين الطرفيتين (الموازنة الطرفية) ، والاتساق الداخلي (علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس) إجرائيين مناسبين في عملية تحليل الفقرات ، وبذلك لجأت الباحثة إلى كلتا الطريقتين في تحليل فقرات مقياس الانغماس الوظيفي.

أ- القوة التمييزية لمقياس الانغماس الوظيفي:
ولتحقيق ذلك أتبعَت الباحثة الخطوات الآتية :

١- تم تطبيق مقياس أدراك التزامم (ملحق ٣) على عينة عشوائية من معلمات رياض الاطفال بلغ عددهن (١٧٠) معلمة .

٢- تصحيح كل استثمار وتحديد الدرجة الكلية لكل منها .

٣- ترتيب الدرجات التي حصلت عليها المعلمات على مقياس الانغماس الوظيفي تنازلياً (من أعلى درجة إلى أدنى درجة).

٤- اختيار نسبة قطع لتحديد المجموعتين الطرفيتين أذ أشار أيبيل Eble إلى أن نسبة (٢٧٪) تعد أفضل نسبة لتحديد المجموعتين المتطرفتين وذلك لأنه على وفق هذه النسبة يتم الحصول على عينة بأكبر حجم وأقصى تمايز ممكن (Eble,1972,p.261).

وفي ضوء هذه النسبة (27%) بلغ عدد الاستثمارات لكل مجموعة (٤٦) استثمار، أي إن عدد الاستثمارات التي خضعت لأجراء التمييز بلغ (٩٢) استثمار، ومن ثم قامت الباحثة باستعمال الاختبار التائية لعينتين مستقلتين لاستخراج القوة التمييزية لفقرات مقياس أدراك التزامم وقد تبين ان جميع

الفقرات مميزة لان قيمها التائية المحسوبة اعلى من القيمة التائية الجدولية البالغة (١.٩٦) عند مستوى (٠.٠٥) ودرجة حرية (٩٠) عدا الفقرة (١) والجدول (٣) يوضح ذلك .

جدول (٣)

القوة التمييزية لمقياس الانغماس الوظيفي باستعمال العينتين المتطرفتين

رقم الفقرة	المجموعة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	الدالة
1	عليا	٨2.0	0.76	1.78	غير دالة
	دنيا	3٩1.	0.64		
2	عليا	5٧2.	0.48	2.38	دالة
	دنيا	7٤2.	0.64		
3	عليا	3٨2.	0.25	7.17	دالة
	دنيا	3٤2.	0.52		
4	عليا	2.86	0.21	3.94	دالة
	دنيا	2.75	0.48		
5	عليا	2.93	0.38	5	دالة
	دنيا	2.43	0.56		
6	عليا	2.47	0.49	2.88	دالة
	دنيا	2.14	0.59		
7	عليا	2.45	0.6	2.68	دالة
	دنيا	1.89	0.71		
8	عليا	2.86	0.21	5.72	دالة
	دنيا	2.33	0.58		
9	عليا	2.86	0.43	5.67	دالة

		0.62	2.23	دنيا	
دالة	7.14	0.34	2.97	عليا	10
		0.66	2.19	دنيا	
دالة	5.62	0.46	2.62	عليا	11
		0.54	2.03	دنيا	
دالة	7.99	0.15	2.88	عليا	12
		0.55	2.2	دنيا	
دالة	5.59	0.36	2.95	عليا	13
		0.52	2. 22	دنيا	
دالة	7.17	0.21	2.96	عليا	14
		0.49	2.29	دنيا	
دالة	5.89	0.15	2.88	عليا	15
		0.51	2.62	دنيا	
دالة	5.61	0.21	2.76	عليا	16
		0.68	2.27	دنيا	
دالة	4.75	0.28	2.81	عليا	17
		0.62	2.41	دنيا	
دالة	4.29	0.28	2.92	عليا	18
		0.59	2.5	دنيا	
دالة	5.92	0.21	2.97	عليا	19
		0.61	2.49	دنيا	
دالة	7.23	0.31	2.79	عليا	20
		0.52	2.34	دنيا	
دالة	7.94	0.28	2.81	عليا	21
		0.54	2.3	دنيا	
دالة	6.96	0.28	2.81	عليا	22

		0.54	2.38	دنيا	
دالة	6.80	0.34	2.97	عليا	23
		0.55	2.23	دنيا	
دالة	5.49	0.15	2.78	عليا	24
		0.65	2.33	دنيا	
دالة	5.83	0.38	2.93	عليا	25
		0.57	2.14	دنيا	
دالة	5.37	0.34	2.97	عليا	26
		0.53	2.47	دنيا	

ب- علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس (صدق الفقرة Item Validity)

"الطريقة التي تستعمل في تحليل مفردات المقياس والتي تعبر عن مدى صدق الفقرة، وذلك بإيجاد معامل الارتباط بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية في الاختبار، إذ تعبر الدرجة الكلية عما يقيسه الاختبار بالفعل، وبذلك تزداد جودة الاختبار إذا أشتمل على مفردات ترتبط ارتباطاً مرتفعاً بالدرجة الكلية" (Lindquist, 1951, p.286).

ولتحقيق ذلك استخدمت الباحثة معامل ارتباط بيرسون Pearson لإظهار العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات مقياس الانغماس الوظيفي والدرجة الكلية ل (١٧٠) معلمة، وعند موازنة قيم الارتباط مع قيمة معامل الارتباط الجدولية البالغة (0.15) عند مستوى (0.05) ودرجة حرية (١٦٨) أتضح أن الارتباطات جميعها دالة إحصائياً والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٥)

صدق فقرات مقياس الانغماس الوظيفي باستعمال أسلوب علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية

الفقرة	معامل الارتباط	الدالة	الفقرة	معامل الارتباط	الدالة	معامل الارتباط	الدالة	
1	سقطت في التمييز		١٠	٨0.4	دالة	19	١0.5	دالة
2	٩0.2	دالة	١١	٢0.4	دالة	20	٣0.5	دالة
3	١0.5	دالة	١٢	٨0.5	دالة	21	0.55	دالة
4	0.35	دالة	١٣	٨0.4	دالة	22	0.58	دالة
5	٦0.4	دالة	١٤	٥0.5	دالة	23	0.51	دالة
6	٦0.2	دالة	15	٨0.4	دالة	٢٤	0.53	دالة
7	٨0.1	دالة	16	٨0.5	دالة	٢٥	0.45	دالة
8	٢0.5	دالة	17	٢0.5	دالة	٢٦	0.45	دالة
٩	٧0.3	دالة	١٨	٣0.4	دالة			

ت - علاقة درجة الفقرة بدرجة المجال لمقياس الانغماس الوظيفي:

قامت الباحثة باستخراج العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة من فقرات مقياس الانغماس الوظيفي والدرجة الكلية للمجال الذي توجد فيه، وذلك بالاعتماد على درجات

أفراد العينة ككل، وقد اتضح أن الارتباطات جميعها دالة إحصائياً عند موازنتها بالقيمة الجدولية لمعامل ارتباط بيرسون والبالغة (0.15) عند مستوى (0.05) ودرجة حرية (168)، والجدول (٥) يوضح ذلك.

جدول (٥)

صدق فقرات مقياس الانغماس الوظيفي باستعمال أسلوب علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية بالمجال الذي تنتمي إليه الفقرة

الفقر ة	المجال	معامل الارتبا ط	الدالا ة	الفقر ة	المجال	معامل الارتبا ط	الدالا ة	الفقر ة	المجال	معامل الارتبا ط	الدالا ة
3	العاطف ي	0.44	دالة	١ ٢	السلوك ي	0.66	دالة	١ ١	المعرف ي	0.42	دالة
6	العاطف ي	0.61	دالة	١ ٣	السلوك ي	0.64	دالة	2 0	المعرف ي	0.57	دالة
7	العاطف ي	0.53	دالة	١ ٤	السلوك ي	0.71	دالة	2 1	المعرف ي	0.61	دالة
8	العاطف ي	0.37	دالة	1 5	السلوك ي	0.60	دالة	2 2	المعرف ي	0.63	دالة
٩	العاطف ي	0.63	دالة	1 6	السلوك ي	0.74	دالة	2 3	المعرف ي	0.63	دالة

١٠	العاطفة ي	0.66	دالة	17	السلوك ي	0.64	دالة	٢٤	المعرف ي	0.60	دالة
1	السلوك ي	سقطت في التمييز		١٨	السلوك ي	0.47	دالة	٢٥	المعرف ي	0.52	دالة
2	السلوك ي	0.38	دالة	19	السلوك ي	0.58	دالة	٢٦	المعرف ي	0.61	دالة
4	السلوك ي	0.42	دالة	5	المعرف ي	0.53	دالة				

ث-علاقة درجة المجال بالدرجة الكلية والمجال بالمجال لمقياس الانغماس

الوظيفي:

تم تحقيق ذلك بإيجاد العلاقة الارتباطية بين درجات أفراد العينة ضمن كل مجال من مجالات المقياسين والدرجة الكلية لمقياس الانغماس الوظيفي فضلا عن علاقة المجال بالمجال وذلك بالاعتماد على درجات أفراد العينة ككل وقد أتضح أن معاملات الارتباط دالة إحصائيا خلال موازنتها بالقيمة الجدولية لبيرسون وباللغة (٠.١٥) عند مستوى (٠.٠٥) ودرجة حرية (١٦٨)، والجدول (٦) يوضح ذلك.

جدول (٦)

صدق مقياس الانغماس الوظيفي باستعمال علاقة درجة المجال بالدرجة الكلية

للمقياس والمجال بالمجال

الانغماس الوظيفي	المعرفي	السلوكي	العاطفي	المجال المجال
0.63	0.42	0.25	1	العاطفي
0.82	0.62	1	---	السلوكي
0.87	1	---	---	المعرفي

ج - الخصائص الإحصائية الوصفية لمقياس الانغماس الوظيفي:

بعد تطبيق مقياس أدراك التزامم على أفراد عينة البحث البالغ عددهم (١٧٠) معلمة حصلت الباحثة على عدد من المؤشرات الإحصائية الموضحة في الجدول (٨) ولما كان توزيع درجات أفراد العينة على المقياس توزيعاً اعتدالياً، إذا كانت قيم الالتواء ضمن مدى قياسي (± 1.96) (Cleophas,2017,p.107) لذا لجأت الباحثة الى استعمال الوسائل الإحصائية المعلمية (Parametric Statistic) في تحليل بيانات بحثها احصائياً.

جدول (٧)

الخصائص الإحصائية الوصفية لمقياس الانغماس الوظيفي

أدراك التزامم	الأسلوب
---------------	---------

المؤشر	
Mean المتوسط	٧65.2
Median الوسيط	67
Mode المنوال	67
الانحراف المعياري Std.Dev	5.83
Skewness الالتواء	-0.87
Kurtosis التقلطح	0.97
أقل درجة Minimum	40
أعلى درجة Maximum	75

ح - ثبات مقياس الانغماس الوظيفي:

تحققت الباحثة من ثبات مقياس الانغماس الوظيفي بطريقة الفا كرونباخ وذلك بالاعتماد على بيانات العينة الكلية البالغة (١٧٠) معلمة.

وقد أشار ثورنديك وهيجن Thorandike&Hegen إلى أن استخراج الثبات على وفق هذه الطريقة يتوقف على الاتساق في استجابة الفرد على كل فقرة من فقرات المقياس، وهو يعتمد على الانحراف المعياري للمقياس ككل والانحراف المعياري لكل

فقرة على المقياس (ثورندايك وهيجن، ١٩٨٩ : ٧٩)، وبعد تطبيق معادلة الفا بلغ معامل الثبات (٠.٨٣).

خ- الوسائل الإحصائية :

أعتمدت الباحثة على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في المعالجات الإحصائية للبيانات سواء في إجراءات التحقق من الخصائص السيكمترية لأداة البحث ، أو في استخراج النتائج ، وقد استعملت الوسائل الإحصائية الآتي ذكرها :

١- الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين : أستعمل لاختبار دلالة الفرق

بين المجموعتين الطرفيتين في حساب القوة التمييزية لمقياس الانغماس الوظيفي، والفرق حسب متغير التخصص .

٢-معامل ارتباط بيرسون Person Correlation Coefficient : وقد

أستعمل في تحقيق الآتي :

- علاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الانغماس الوظيفي.

- علاقة الفقرة بالمجال لمقياس الانغماس الوظيفي.

- علاقة المجال بالمجال والمجال بالدرجة الكلية لمقياس الانغماس الوظيفي.

٣- معادلة ألفا للاتساق الداخلي Alfa Coefficient For Internal

Consistency : استعملت لاستخراج الثبات بطريقة ألفا للاتساق الداخلي

لمقياس الانغماس الوظيفي.

٤- الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة : أستعمل لاختبار دلالة الفرق بين

المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي لمقياس الانغماس الوظيفي.

٥- تحليل التباين الاحادي : أستعمل للتعرف على دلالة الفروق في الانغماس

الوظيفي حسب متغير سنوات الخدمة .

الفصل الرابع : عرض النتائج ومناقشتها

الهدف ١ : قياس الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال .

لتحقيق هذا الهدف تم تطبيق مقياس الانغماس الوظيفي على أفراد عينة البحث البالغ عددهن (١٧٠) معلمة ، وقد أظهرت النتائج أن متوسط درجاتهم على المقياس بلغ (٦٥.٢٧) درجة وبانحراف معياري مقداره (٥.٨٤) درجة ، وعند موازنة هذا المتوسط مع المتوسط الفرضي (١) للمقياس والبالغ (٥٠) درجة، وباستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة تبين أن الفرق دال إحصائياً ولصالح المتوسط الحسابي، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة أعلى من القيمة التائية الجدولية والبالغة (1.96) بدرجة حرية (١٦٩) ومستوى دلالة (0.05) والجدول (٩) يوضح ذلك .

جدول (٨)

الاختبار التائي للفرق بين متوسط العينة والمتوسط الفرضي لمقياس الانغماس الوظيفي

حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	درجة الحرية	مستوى الدلالة
------------	-----------------	-------------------	----------------	-------------------------	-------------------------	-------------	---------------

١ تم استخراج المتوسط الفرضي لمقياس (الانغماس الوظيفي) وذلك من خلال جمع أوزان بدائل المقياس الثلاث وقسمتها على عددها ثم ضرب الناتج في عدد فقرات المقياس والبالغة (٢٥) فقرة.

١٧٠	٦٥.٢٧	٥.٨٣	٥٠	٣٤.٠٨	1.96	١٦٩	دال
-----	-------	------	----	-------	------	-----	-----

تشير نتيجة الجدول (٩) الى ان عينة البحث لديهم الانغماس الوظيفي بمستوى مرتفع عكس دراسة. قد تطابقت مع دراسة (Hsiao ٢٠٢٣) وأشار بها الى ان يميل المعلمون ذوو المستوى العالي من الانغماس الوظيفي إلى الشعور بالرضا عن وظائفهم والالتزام الشديد بمؤسساتهم. يعتمد نجاح المعلم في العملية التعليمية على انخراطه الوظيفي، المعلم المنغمس وظيفياً لن يُظهر أي تقصير في أداء مهامه لذا، يلعب الانخراط الوظيفي دوراً بالغ الأهمية في تشكيل السلوك داخل أي مؤسسة. (W. Masud & Y. Singh, 2025: 23)

الهدف (٢): التعرف على دلالة الفرق في الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال وفق متغير التخصص (رياض أطفال، تخصصات أخرى).

لتحقيق ذلك تم استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لتعرف الفروق في الانغماس الوظيفي وفق متغير التخصص والجدول (١٠) يوضح ذلك.

جدول (١٠)

الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لتعرف الفروق في الانغماس الوظيفي وفق

متغير التخصص

العينة	التخصص	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	التائية الجدولية	الدلالة
١٧٠	رياض أطفال	142	٨64.9	٣6.1	٢1.4	1.96	غير
	تخصصات أخرى	28	٩66.6	١3.9			دال

ويتبين من الجدول (١٠) انه ليس هناك فرق في الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال وفق متغير التخصص، وذلك لان القيمة التائية المحسوبة أقل من

القيمة التائية الجدولية البالغة (1.96) عند مستوى (0.05) ودرجة حرية (١٦٨).
لما يتوفر للمعلمة من تدريب وتطوير من قبل وزارة التربية وإدارة الروضة وتطوير
المعلمة لنفسها عن طريق الانترنت وما يحتوي من تطبيقات .

الاستنتاجات:

- ١- المعلمات لديهن الانغماس الوظيفي بمستوى مرتفع.
- ٢- ليس هناك فرق في الانغماس الوظيفي لدى معلمات رياض الاطفال وفق متغير التخصص.

التوصيات :

- ١- ضرورة اهتمام الرياض بورشة العمل لتدريب المعلمات لتعزيز مستوى الانغماس الوظيفي للمعلمات
- ٢- تقديم الحوافز المعنوية للمعلمات ذوات الانغماس الوظيفي المرتفع.

المقترحات :

- ١- دراسة الانغماس الوظيفي وعلاقته بالمرونة المعرفية لدى معلمات رياض الاطفال
- ٢- دراسة الانغماس الوظيفي وعلاقته بالتكيف التنظيمي لدى معلمات رياض الاطفال

المصادر العربية:

١. العنقري، عبد العزيز بن سلطان (٢٠١٣) إدارة المواهب كمدخل لتنمية سلوكيات الاستغراق الوظيفي لدى المعلمين بالمنظمات الحكومية السعودية، المؤتمر الثاني لمعاهد الإدارة العامة والتنمية التربوية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الرياض.
٢. ماضي، أحمد (٢٠١٤) أثر الدعم التنظيمي على تنمية الاستغراق الوظيفي لدى العاملين في مكتب غزة الإقليمي التابع للأمم المتحدة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
٣. ثورنبايك، روبرت و هيجن، اليزابيث (١٩٨٩): القياس والتقويم في علم النفس والتربية، ترجمة: عبد الله الكيلاني وعبد الرحمن عدس، مركز الكتاب العربي.
٤. محمد، أسيل صبار (٢٠١٥): الانغماس الوظيفي وعلاقته بالثقة بالنفس لدى المرشدين التربويين، مجلة الأستاذ، أبن رشد، العدد (٢١٧)، المجلد (٢).
٥. الفضلي، فضل (٢٠٠١): تأثير المتغيرات الديموغرافية والتوجهات القيمية على الانغماس الوظيفي في القطاع الحكومي بدولة الكويت، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، المجلد (١٥)، العدد (١).
٦. الوحيدى، رافع يوسف (٢٠١٣): القيم التنظيمية وعلاقتها بالانغماس الوظيفي، دراسة ميدانية على موظفي البنوك الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، جامعة الأزهر.

٧. رشيد، مازن (١٩٩٣): الانغماس الوظيفي: دراسة ميدانية لتأثير الصفات لشخصية والعوامل الظرفية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، المجلد (٦).
٨. المغربي ، عبد الحميد (٢٠٠٤) جودة حياة العمل وأثرها في تنمية الاستغراق الوظيفي، جامعة الزقازيق، مجلة الدراسات والبحوث التجارية، مصر، (٢).
٩. التلباني ، نهاية ، وفارس ، محمد الوحيدي (٢٠١٥) : القيم التنظيمية وعلاقتها بالانغماس الوظيفي ، دراسة ميدانية على موظفي البنوك الإسلامية ، قطاع غزة ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والاقتصادية (٨٤ _ ٤٩) ٢(١).
١٠. المنطاوي، إيمان (٢٠٠٧) أثر ثقافة المنظمة على الاستغراق الوظيفي، دراسة تطبيقية على مستوى مؤسسة الأهرام المصرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، مصر.
١١. يوسف، هبة (٢٠١١) علاقة بعض سمات الشخصية بالاستغراق الوظيفي لدى عينة من أطباء الطوارئ، دراسات نفسية، مجلد ٢١، عدد ١.
١٢. قاسم، مرفت (٢٠١٢) نموذج ثلاثي الأبعاد للعلاقة بين جودة حياة العمل الوظيفية والاستغراق في العمل، دراسة ميدانية على المعلمين بوزارة الداخلية، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة.

المصادر الأجنبية:

- 1- Bakker, A.B., Demerouti, E., and Sanz-Vergel, A.I. (2014). Burnout and work engagement: The JD-R Approach. Annual Review of Organizational Psychology and Organizational Behavior, 1, 389-411.
- 2- Cleophas, T.J. & Zwinderman, A.H., (2017): Understanding clinical data – analysis learning statistical principle from published clinical research . Springer International Publishing , Switzerland

- 3- Dr. Kavita Mittal (2016) A study of job involvement among senior secondary school teachers, International Journal of Applied Research 2016; 2(2): 205-209
- 4- Ebel, R. L. (1972): Essentials of Educational Measurement. 2nd ed., Englewood Cliff, Prentice Hall, New Jersey
- 5- Gilkar NA, Darji JA.(2013) Job involvement-Sense of participation-Job satisfaction: A triangular framework IOSR Journal of Business and management (IOSR-JBM).; 6(6):41-47. Retrieved from <http://iosrjournals.org/iosr-jbm/papers/Vol6-issue6/E06641473Lodhal>. Determinants of job Involvement and Job satisfaction among teaching professionals. Global Journal of Management and Business Research. 1965; 10(5):64-73. Retrieved from
- 6- Hafer, J. C., & Martin, T. N. (2006). *Job involvement or affective commitment: A sensitivity analysis study of apathetic employee mobility*. Journal of Behavioral and Applied Management, 8(1), 2–19. <https://doi.org/10.21818/001c.16695>
- 7- Hsiao-Yuan Lu (2023) Exploring the Relationship between Job Involvement, Teacher Beliefs, Job Satisfaction, and M Career Self-Efficacy among Substitute Elementary School Teachers Review of Integrative Business and Economics Research, Vol. 13, Issue 4 Received 7 May 2023 | Revised 16 September 2023 | Accepted 12 November 2023
<http://www.journalofbusiness.org/index.php/GJMBR/article/view/206>
- 8- Kahn, W.A. (1990). Psychological conditions of personal engagement and disengagement at work, Academy of Management Journal, 33(4), 692-724.
- 9- Kanungo, R. N. (1982). *Measurement of job and work involvement*. Journal of Applied Psychology, 67(3), 341–349. <https://doi.org/10.1037/0021-9010.67.3.341>
- 10- Lawler, E. E., III, & Hall, D. T. (1970). *Relationship of job characteristics to job involvement, satisfaction, and intrinsic motivation*. Journal of Applied Psychology, 54(4), 305–312. <https://doi.org/10.1037/h0029692>

- 11- Lindquist, E.F. (1951). Statistical Analysis in Educational Research, Boston, Houghton Mifflin.
- 12- Lodahl, T. and Kejner, M. (1965). The Definition and Measurement of Job Involvement, *Journal of Applied Psychology*, 49,24-33
- 13- Lodhal. 1965 Determinants of job Involvement and Job satisfaction among teaching professionals. *Global Journal of Management and Business Research*.; 10(5):64-73. Retrieved from <http://www.journalofbusiness.org/index.php/GJMBR/article/view/206>
- 14- Sadalla, EK, WJ BURROUGHS, LJ STAPLIN (1978) 'The crowding experience'. *Personality and Social Psychology bull.* 4: 304-308
- 15- Yoshimura, A. (1996). *A review and proposal of job involvement*. *Keio Business Review*, 33, 175–184
- 16- Cohen, A. (1995). An examination of the relationships between work commitment and nonwork domains. *Human Relations*, 48(3), 239–263. <https://doi.org/10.1177/001872679504800302>
- 17- W. Masud & Y. Singh(2025) Evaluating the Level of Job Involvement among Secondary School Teachers: Evidence from Murshidabad, West Bengal ,*Journal :International Journal of Scientific Research in Humanities and Social Sciences*

أثر استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية وتنمية مهارات التفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي

م.د. ضياء عبد الخالق حسين

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

E-mail: dr.dhiala_abd@uomustansiriyah.edu.iq

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى معرفة أثر استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية والتفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي، وقد اختار الباحث التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي، تألفت عينة البحث من (٧٣) طالب بواقع (٣٦) طالب في المجموعة التجريبية و (٣٧) طالب في المجموعة الضابطة، كوفئت المجموعتان في متغيرات العمر الزمني والتحصيل الدراسي للوالدين، اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية القبلي، واختبار التفكير التأملي القبلي، وقد حدد الباحث المادة العلمية التي سيدرسوها، وأعدا خططاً دراسية، واختباري لاكتساب المفاهيم التاريخية، واختبار التفكير التأملي وتم عرضها جميعاً على الخبراء، وتم التحقق من صدقهما وثباتهما.

طبق الباحث عند انتهاء التجربة اختباري اكتساب المفاهيم التاريخية واختبار التفكير التأملي على طلاب المجموعتين، وحللت البيانات وعولجت احصائياً، وظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعتين في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية ووجود فروق ذات دلالة احصائية في اختبار التفكير التأملي ولصالح المجموعة التجريبية، ومن خلال هذه النتيجة توصل الباحث إلى فاعلية استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية وفاعليته في التفكير التأملي وبناء عليه قدم الباحث عدداً من التوصيات واقترح إجراء دراسات مكملة للبحث الحالي.

الكلمات المفتاحية : المناقشة السقراطية، اكتساب المفاهيم، التفكير التأملي.

Abstract:

The research aims to know the effect of the Adelson model on acquiring historical concepts and contemplative thinking among middle-grade students, and the researcher chose experimental design with partial

control, the research sample consisted of (73) student, student (36) student, reality (36 student) The control group, the two groups were rewarded in the variables of the age and academic achievement of the parents, the test of acquiring the historical tribal concepts, and the test of The tribal tamer thought, the researcher has determined the scientific subject to be studied, promising study plans, experiential studies to acquire historical concepts, and the contemplative thinking test, all of which were presented to the experts, and verified their authenticity.

At the end of the experiment, the researcher applied a test of acquiring historical concepts and testing complete thinking to the students of the two groups, the data were analyzed and statistically processed, and the results showed the presence of statistically significant differences between the two groups in the historical analysis. This result the researcher reached an actor Mechanism to acquire a specimen Edilson historical concepts and effectiveness in reflective thinking and building upon the researcher presented a number of recommendations and Agherh conduct complementary studies of current research.

الفصل الأول: التعريف بالبحث

• مشكلة البحث

يواجه تدريس مادة التاريخ بمراحل التعليم المختلفة عدة مشكلات منها ما يتعلق بمناهج مادة التاريخ وطرائق تدريسها، ومنها ما يتعلق بطبيعة تلك المادة وصيغ تنظيمها واتساعها، وتفاوت المفاهيم التي وردت فيها، وضعف اهتمام مدرسي التاريخ بتلك المفاهيم أدى إلى انخفاض مستوى اكتساب الطلبة للمفاهيم التاريخية وهذا ما أشارت إليه العديد من المؤتمرات التربوية التي عقدت داخل وخارج العراق في توصياتها ضرورة الاهتمام بتدريس التاريخ وضرورة استعمال الأساليب والطرائق التدريسية الحديثة، وأن يكون اعداد المدرسين والمعلمين للتدريس إعداداً علمياً قبل تخرجهم ومن هذه المؤتمرات

المؤتمر العلمي الحادي عشر للتربية والتعليم الذي عقد في بغداد عام (٢٠٠٥) والذي أكد في توصياته على ضرورة استعمال تطوير الأساليب والاستراتيجيات التدريسية الحديثة لمواكبة التطورات المتسارعة في عالم التعليم والتعلم. (الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥: ١١)

والعوامل المؤثرة في الطالب في المرحلة المتوسطة لتحقيق الأهداف التربوية عديدة، ومعرفة هذه العوامل وتحديد حجوماً يعد مفتاح حل لعدد كبير من المشكلات التي قد تواجه الطلبة في مسيرتهم الدراسية، ومن العوامل التي تؤثر على نجاح الطالب دراسياً ما يتوقف على مقدار ما لديه من التفكير التأملي فكلما كانت التفكير لدى المتعلم ايجابياً كان إنجازه أفضل وعلى النقيض من ذلك (اليوسف، ٢٠٠٨: ٣)

من كل ما تقدم ارتأى الباحث ومن خلال أطلاعه على الدراسات العراقية في مجال طرائق تدريس المواد الاجتماعية أن يجرب أثر استراتيجية تعليمي في اكتساب المفاهيم التاريخية وتنمية تفكيرهم التأملي لدى طلاب الصف الرابع الادبي ويعتقد الباحث أنه لم يتم تجريب هذين الاستراتيجيتين في حل المشكلة التي تطرق إليها عنوان البحث.

لذا تخلصت مشكلة البحث بالتساؤل الآتي :

ما أثر استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية والتفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الادبي ؟

اهمية البحث

تعد التربية وسيلة للنهوض بالأفراد إلى الرقي بالأمم، فهي تربية شاملة متكاملة من الجوانب الروحية والعقلية والجسدية والنفسية والاجتماعية فهي تتصف بالشمول والتكامل، وتسعى إلى إعداد الفرد الصالح إعداداً متكاملاً متزناً ليكون نافعاً لنفسه ومجتمعه سعيداً في حياته. (الحيلة، ٢٠٠٨: ٢١)

وتستطيع التربية أن تحقق أهدافها عن طريق المدرسة باعتبارها بنية أساسية في هيكلية المجتمع وإمكاناتها مسخرة للجميع ووجدت بفعل غزارة التراث الثقافي لتقوم بتنشئة أبنائه بتربية مقصودة مستندة الى فلسفته ونظمه ومبادئه هدفها المتعلم وأعداده العلمي لحياة العملية والتفاعل الصحيح مع المجتمع (الشعراني ٢٠٠٩ : ٢٢٢) وتتيح المدرسة للفرد من ضبط انفعالاته والتحكم بمشاعره وحسن التعامل مع الآخرين وإكسابه السلوك الاجتماعي والانضباط داخل الصف (الريماوي، ٢٠١١ : ٥٠٧)

ويرى الباحث أن التربية هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن الفرد من أن يسلك الطريق المؤدي إلى الحد الأعلى من التطور والتكامل والرقي والسعادة، ومن ثم ينعكس ذلك على المجتمع بأسره، إذ تدفع الآخرين للمساهمة في تلك السعادة أيضاً .

ويعد المنهج الدراسي وسيلة المدرسة والتربية في تحقيق الأهداف التربوية لأي مجتمع، ويمكن عن طريقة ترجمة الأهداف التربوية إلى مواقف وخبرات سلوكية يتفاعل معها الدارسون ويتعلمون من نتائجها. (اللقاني وعوده، ١٩٨٢ : ٨-٩)

ويرى الباحث ان المنهج هو المرآة التي تعكس فلسفة النظام التربوي وتطلعاته في ترجمة فلسفة المجتمع وحاجاته وطموحاته، وتربية أبنائه، التربية التي يهدف إليها، ومن هنا سمي المنهج صمام الأمان ضد سلبيات العوامل غير المدرسية، وتأثيراتها في المتعلمين، والغزو الفكري والثقافي بأساليبه المتعددة.

وللمنهج علاقة وثيقة بطرائق التدريس لأن طريقة التدريس تعد من الوسائل المهمة في ترجمة المنهج إلى ما تصبو اليه المدرسة من عادات وميول واتجاهات وقيم عند طلبتها، أضف إلى ذلك أنها تعمل على تهيئة الفرص للطلبة لاكتساب الخبرات، وذلك عن طريق النشاط والممارسة، وبهذا يتسع الدور التي تقوم به طرق التدريس وتصبح جزءاً لا يتجزأ من المنهج بمعناه الواسع المتطور بدلاً من كونها وسيلة لنقل المعلومات إلى الطلبة. (الوكيل، ٢٠٠٠: ٢٤)

ولقد تنوعت طرائق التدريس وإستراتيجياته في السنوات الأخيرة وشغلا بال التربوين كثيراً في التجارب والتطبيقات لمختلف طرائق والأساليب التدريسية لتعرف ماتتميز به كل طريقة وكل أسلوب وكل إستراتيجية والخصائص الجيدة لكل منها، وأثرها في تطوير العملية التربوية والنهوض بالمستوى التعليمي، وما توفره من مراعاة للفروق الفردية بين الطلبة المتعلمين، والوصول بهم الى أقصى مستوى من الأداء. (الحيلة، ٢٠٠٢: ٢٢٦)

ويرى الباحث ان نجاح طريقة التدريس يتوقف على مدى ملائمتها للموقف التعليمي، وقدرتها على تحقيق الأهداف التعليمية بأقل جهد وأسرع وقت، ومدى فاعليتها في مجال استثارة اهتمام المتعلمين ودفعهم للتفاعل مع المادة الدراسية في المواقف التعليمية.

إذ يعد التنوع في استعمال نماذج وإستراتيجيات التدريس من العوامل المهمة زيادة اهتمام المتعلمين بالمادة الدراسية إذ أنها تسهل عملية تعلمهم وتساعدهم على تحسين أدائهم لما لهذا التباين من أهمية في زيادة دافعية المتعلمين نحو تحقيق النجاح الاكاديمي والتحصيل المعرفي.

إذ يركز استراتيجية (المناقشة السقراطية) على تنظيم المادة والمحتوى العلمي، من خلال الاعتماد على نظريات تعلم معاصرة يسهم في تحقيق معايير التعلم الجيد، يراعي اساس عمليات التعلم القائمة على المعنى والفهم من خلال بيئة اثرائية، يمكن استخدامها لتدعيم التكامل بين المحتوى والانشطة التعليمية. (العديلي والبعارة، ٢٠٠٧: ٢٠٨)

ويعتبر استراتيجية المناقشة السقراطية اطارا للتصميم التعليمي منهجي يركز على قيام المتعلم ببناء معرفته بنفسه، وكذلك من خلال تفاعله مع الآخرين، ويركز على الانشطة التعليمية التي تعطي الفرصة للمتعلم على التفكير والمقارنة بين معرفتهم السابقة والمعرفة الجديدة، لتحقيق فهم اعمق للمحتوى التعليمي. (صالح، ٢٠١٣: ٨٩)

ويرى الباحث بطبيعة الحال لايمكن اقتراح طريقة واستراتيجية واستراتيجية مثلى تصلح لتحقيق الأهداف جميعها، والغايات المنشودة، وإن اكتساب الطلبة للمفاهيم تستوجب استعمال طرائق واستراتيجيات تدريسية تضمن سلامة الاحتفاظ بها وتكوينها وتنظيم وربط خبرات المتعلم ببعضها وبذلك تصبح الغاية من تعلمهم هو أن يفكروا ويتعلموا لا كيف يحفظون أي بعيداً عن الأسلوب التقليدي التلقيني الذي يجعل الطالب يتلقى المحتوى بشكل سلبي (أبو رياش، وقطيط، ٢٠٠٨: ١٣-١٤).

والتاريخ يركز بصورة كبيرة على المفاهيم فهي الوحدات الأساسية التي تشكل المحتوى وعلى مصممي المناهج مراعاة طبيعة المفهوم مع المرحلة العمرية ،وتظهر أهمية المفاهيم في المساعدة على الفهم عندما يدرك المتعلم العلاقة بين مفهومين أو أكثر ويصوغها في أفكار رئيسية ان تعلم المفاهيم يعزز القدرة على استرجاع واستعمال المعرفة التي تؤدي الى النمو التألمي للشخصية الإنسانية ومن أهم وظائف المفاهيم

التاريخية يتمثل في تعلم عدداً من مفاهيم القيم الوطنية والولاء للوطن والدفاع عنه والتعاون. (أبو عاذره، ٢٠١٢ : ٣٨)

ويعد التفكير التأملّي أحد العمليات الضرورية في عمليتي التعليم والتعلم، وهذا يرمي إلى تشجيع المتعلمين على تحقيق فهم أعمق للمحتوى التعليمي، وتحويل خبراتهم السلبية المرتبطة بمشاعرهم ودوافعهم إلى خبرات ايجابية، فضلاً عن تحقيق المعنى في خبراتهم التعليمية (ريان، ٢٠١٠ : ٥٣). ويحتل التفكير التأملّي مكانة كبيرة في المؤسسات التربوية في الدول المتقدمة، ذلك لأنه يعتمد في المواقف التي تتطلب من المتعلم التفكير المتأني عندما يواجه مشكلة ما فهو ضروري لكل من المعلم والمتعلم وتأتي أهميته عن طريق مساعدة المتعلم على التفكير العميق. (Kish & et al, 1997:255)

ومهاراته لأنه يعزز من فرص المجتمعات والافراد للارتقاء فهو وسيلة لها مردود كبير على مستوى معيشتهم في الحاضر والمستقبل، فالتفكير التأملّي من مهارات التفكير التي تفتح للفرد امكانية وقدرات يستطيع من خلالها مواجهة تحديات الحياة، فهو تفكير بناء تصدر عنه المقترحات الملموسة والعملية فهو عملية اجرائية وليس غاية في حد ذاتها. (الفتلاوي، ٢٠١٢ : ١٣)

ويرى الباحث ان تعليم مهارات التفكير في المنهج الدراسي بمنزلة تزود الفرد بالإجراءات التي يحتاج إليها ليتمكن من التعامل بفاعلية مع أي نوع من أنواع المعلومات او المتغيرات التي يتعرض لها في المستقبل. وانه من الممكن ان تدرس، ولاسيما تنمية مهارات التفكير التأملّي عند المتعلمين حيث يساهم بشكل كبير في حل اي مشكلة قد تعترض المتعلم سواء كانت علمية أو ذات بعد شخصي.

والمرحلة المتوسطة من المراحل المهمة في حياة الفرد كونها الأساس الذي ينطلق منه للدراسة الاعدادية، لكي يكونوا مؤهلين علمياً لخدمة المجتمع مستقبلاً في مجالات الحياة كافة، وبذلك فإنَّ هذه المرحلة تشكل نقطة البداية التي يبدأ مع نهايتها النضج والتغيير من خلال مختلف جوانب شخصية.

وتتمثل أهمية البحث في أنه قد يفيد في :

١. أهمية استخدام استراتيجيات حديثة في تدريس التاريخ، ومنها استراتيجية المناقشة السقراطية
٢. أهمية المرحلة المتوسطة بوصفها مرحلة مهمة في حياة الطالب تمثل انتقاله الى آفاق جديدة.
٣. أهمية تنمية مهارات التفكير التأملي لدى الطلاب.
٤. لم تتطرق إليه أي دراسة اكايدمية عراقية أو عربية على حد علم الباحث.

• هدف البحث :

يرمي البحث الحالي الى :

معرفة أثر استراتيجية المناقشة السقراطية في اكتساب المفاهيم التاريخية لدى طلاب الصف الرابع الادبي وتنمية تفكيرهم التأملي من خلال التحقق من صحة الفرضيات الصفرية الاتية :

• فرضيات البحث :

لتحقيق هدف البحث، صيغت الفرضيات الآتية:-

١. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، بين متوسط طلاب مجموعتي البحث في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية.

٢. لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، بين متوسط طلاب مجموعتي البحث في وفقاً لاختبار التفكير التأملي.

• حدود البحث :

تتم إجراءات هذه البحث في ضوء الحدود الآتية:

١. طلاب الصف الرابع الادبي في المدارس المتوسطة والإعدادية النهارية الحكومية في محافظة بغداد للعام الدراسي (٢٠٢٥، ٢٠٢٦).

٢. المفاهيم التاريخية الواردة ضمن محتوى فصول الثلاث الاولى من كتاب التاريخ المقرر تدريسه من وزارة التربية في العراق للصف الرابع الادبي للعام الدراسي (٢٠٢٥، ٢٠٢٦).

٣. السنة الدراسية (٢٠٢٥، ٢٠٢٦).

• تحديد المصطلحات :

١. الاثر: عرفه شحاته وزينب بأنه: هو محصلة تغيير مرغوب أو غير مرغوب فيه

يحدث في المتعلم نتيجة لعملية التعلم". (شحاته, وزينب, ٢٠٠٣: ٢٢)

ويعرفه الباحث إجرائياً: هو ما حصل عليه من نتائج اختباري اكتساب المفاهيم التاريخية وتنمية التفكير التأملي لدى مجموعتي البحث.

٢. استراتيجية المناقشة السقراطية : عرفه المناقشة السقراطية بأنه: "وصف

لعمليات التعلم التي يمكن استخدامها من اجل تفعيل المنهج وانشطة التعلم القائمة على الاستقصاء". (Edelson.2000:356)

ويعرفه الباحث إجرائياً: استراتيجية يركز على قيام المتعلم ببناء المعرفة بنفسه، من خلال التفاعل المباشر والغير مباشر مع الآخرين، ويشع الطلاب على استخدام المعرفة السابقة ومقارنته بالجديدة.

٣. الاكتساب: عرفه ابو جادو بانه: " هي أولى مراحل التعلم التي يتم خلالها تمثيل الكائن الحي للسلوك الجديد ليصبح جزءاً من حصيلته السلوكية". (أبو جادو, ٢٠٠٦: ٤٢٤)

ويعرفه الباحث إجرائياً: مستوى تمكن طلاب مجموعات البحث الثلاث من عمليات اكتساب المفهوم الثلاث (التعريف, والتمييز, والتطبيق) للمفاهيم التاريخية المتضمنة في الفصول الثلاثة الأولى من كتاب التاريخ مقيساً بالدرجات التي حصلنَّ عليها بعد استجابتهن لاختبار اكتساب المفاهيم التاريخية الذي أعده الباحث ويطبق في نهاية تجربة البحث.

٤. المفهوم التاريخي: عرفه الموسوي بأنه: "مجموعة من الاشياء والحوادث التاريخية اومواقف تجمع معها على اساس خصائص المشتركة العامة يشار اليها بأسم اوجدت". (الموسوي , ٢٠١٠: ١١٦)

ويعرفه الباحث إجرائياً: هي المفاهيم الواردة في الموضوعات التاريخية الخاضعة لتجربة البحث، سواء كانت ألفاظ أو كلمات أو رموز ذات علاقات مشتركة والمراد فهمها واستيعابها في الصف الرابع الادبي وفي الفصول الثلاث الاولى، والمقرر تدريسه من قبل وزارة التربية في العراق للعام الدراسي (٢٠٢٥، ٢٠٢٦).

٥. التفكير التأملي: عرفه سيلجمان بأنه: "عبارة عن حالة التأمل لدى الفرد للموقف الذي أمامه وتحليله إلى عناصره، ورسم الخطط اللازمة لفهمه حتى يصل إلى النتائج، ثم تقويم النتائج في ضوء الخطط" (عبيد وعفانه، ٢٠٠٣: ٥٠٢)

ويعرفه الباحث إجرائياً: الدرجة الكلية التي تحصل عليها طلاب عينة البحث من خلال اجابتهن على فقرات اختبار التفكير التأملي المُعد لأغراض هذا البحث.

٦. التاريخ: عرفه خضير بانه: هو كل ما قيل أو فعل منذ تكوين الخليقة حتى وقتنا الحاضر" (خضر, ٢٠٠٦: ٣٧)
- ويعرفه الباحث إجرائياً: هو معرفة الوقائع والأحداث الماضية التاريخية والمفاهيم التي تضمنتها الفصول الثلاثة الاولى من كتاب التأريخ للصف الرابع الادبي والمقرر تدريسه من وزارة التربية في العراق للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩ م .
٧. الصف الرابع الادبي: هو صف من الصفوف الثلاثة للمرحلة الاعدادية وتشمل الصفوف (الرابع, الخامس, والسادس), ووظيفة هذه المرحلة إعداد الطلبة لمرحلة الجامعية. (جمهورية العراق, ١٩٩٦ : ٧)
- ويعرفه الباحث إجرائياً: وهن طلاب الذين تطبق عليهن تجربة البحث, في المجموعتين التجريبية والضابطة.

الفصل الثاني : خلفية نظرية

اولاً: استراتيجية المناقشة السقراطية

١. منطلقات استراتيجية المناقشة السقراطية :

يعد استراتيجية المناقشة السقراطية للمتعل اطارا لتصميم تعليمي منهجي يبني على أساس التكامل بين المحتوى المعرفي وعمليات العلم، ويركز على قيام المتعلم ببناء معرفته بنفسه وكذلك من خلال تفاعله مع الآخرين، ويركز على الأنشطة التعليمية التي تعطي فرصة للمتعل للتفكير والتأمل معرفتهم السابقة بمعرفتهم الجديدة لتحقيق فهم أعمق للمحتوى التعليمي. (Edelson. 2002:43) ويرى NSF Funding (٢٠٠٦) ان هناك مجموعة من المنطلقات التي تقوم عليها استراتيجية المناقشة السقراطية للتعل، وهي كالاتي:

- لا يمكن للمتعلّم ان يتعلّم معرفة جديدة ما لم يكن مندمجا ومعنيا بها
- تبقى المعرفة التي يتلقاها المتعلّم غير مفيدة لو ما لم يكن قد بناها بشكل يدعم استخدامها لاحقا.
- لكي يندمج المتعلّم في بناء المعرفة، لا بد له من فهم الفائدة التي ستعود عليها من تعلمها (7: NSF Funding.2006)

٢. مبادئ استراتيجية المناقشة السقراطية

يتبنى الاستراتيجية على أربعة مبادئ أساسية وهي كالآتي:

- أ. التعلّم يحدث من خلال بناء وتعديل البنية المعرفية : وهو أساس النظرية البنائية ولها وجوهرها، ويمثل عملية بناء هياكل جديدة للمعرفة وإقامة وصلات جديدة بين هياكل المعرفة في شبكة متداخلة ومترابطة من المعرفة، ولا يمكن للمعرفة أن تنتقل مباشرة من فرد لآخر، ونتيجة لذلك فإن هياكل المعرفة لكل فرد تعكس تجارب فريدة من نوعها له، ويجب تطوير فهم متزايد من خلال وضع هياكل متدرجة للمعرفة، وتطبيق هذا المبدأ في التعلّم الصفي يجعل الفهم مبنيا على الخبرة كالاتصال ويلزم توسيع البناء المعرفي. (زيتون، ٢٠٠٣: ٩٦-١٠٤)
- ب. يعتمد على عمليات ما وراء المعرفة، بهدف تطوير التعلّم وعملياته، ويركز على التعلّم ان يكون برغبة المتعلّم سواء بوعي او بدون وعي، وتطبيق هذا المبدء داخل حجرة الصف الدراسي.
- ت. العمل على تسهيل عملية توصيل المعرفة، وسهولة استرجاعها من الذاكرة مستقبلا، من خلال استخدام اشارات او كلمات او تلميحات او رموز تعتمد على السياق الذي يحدث فيه التعلّم.

ث. ينبغي بناء المعرفة في الشكل الذي يدعم الاستخدام قبل التطبيق ويركز هذا المبدأ

على الفرق بين المعرفة التقريرية والمعرفة الإجرائية، حيث يكوف لدى المتعلم المعرفة الاجرائية التي تمكنه من تطبيق المعرفة التقريرية أو ان يكون قارا على تحويلها لمعرفة إجرائية. (Edelson, 2001:258-261)

٣. مميزات الاستراتيجية

- تنشيط المعرفة السابقة وربطها باللاحقة والعمل على تنمية التفكير.
- تشجيع المتعلم علة البحث عن مهارات التفكير وتنميتها.
- مساعدة المتعلم على توضيف المعرفة في المواقف الجديد.
- اتاحة الفرصة امام المعلم لبناء خبرات وانشطة تعليمية في ضوء احتياجات المتعلم. (Koohang&Schreurs,2009: 95-96)

٤. خطوات الاستراتيجية

- أ. التحفيز والاثارة: الاعتراف بالحاجة الجديدة للمعرفة، ولاسيما عندما تواجد مشكلة معينة يق المتعلم في مواجهتها كحل مسألة او سؤال او نشاط، حيث يظهر القصور في المعرفة السابقة والحاجة الى التعلم من اجل حل تلك المشكلة، وبالتالي يخلق لدى المتعلم الدافعية والرغبة لاكتساب المعرفة الجديدة.
- ب. بناء المعرفة: بناء الهياكل للمعرفة الجديدة أي تطوير المعرفة الجديدة، والتركيز على بناء هياكل للمعرفة الجديدة في الذاكرة لكي يمكن تحقيق التكامل وربطها بالمعارف السابقة، كنتيجة لهذا التكامل والترابط يتم تنظيم تلك المعارف واستيعابها واستدخالها وتشكيلها ومن ثم تصبح جزءا من الذاكرة طويلة المدى، مع مراعات أن

المتعلم النشط تتاح له الفرصة للملاحظة والاندماج في الأنشطة أو من خلال التواصل مع الآخرين والاثنيين معا.

ت. تنقيح أو تنقية المعرفة وصلها: من خلال تنظيم وتنقية وربط البنية المعرفية، مما يسهل الحصول على المعرفة وتطبيقها في التعلم للاستخدام، وربطها بالمعارف الأخرى وتعزيزها مما يسهل الحصول على المعرفة وتطبيقها في التعلم للاستخدام في المستقبل، وكذلك التركيز على إعادة تنظيم المعرفة التقريرية وتحويلها الى اجزاء لتصبح ذات معنى. (Edelson, 2001:262-264)
(Koohang&Schreurs,2009: 93-94)

ثانياً: اكتساب المفاهيم التاريخية

١. طبيعة تعلم المفهوم

تعلم المفهوم هو تعلم لادراك الخواص المشتركة لأشياء ملموسة أو أحداث لذا يعد تعلم المفهوم نمطاً مكماً لأنه يتطلب تجاهل الفروق غير الجوهرية في الأشياء والتركيز على الخصائص المشتركة بينها فإن تعلم المفاهيم هو عكس التعلم عن طريق التمايز فبينما يتطلب التعلم عن طريق التمايز ان يميز المتعلم بين اشياء وفقاً لخصائصها المختلفة، فإن تعلم المفهوم يتضمن تصنيف الأشياء الى فئات وفقاً لخصائصها المشتركة والاستجابة للخاصية المشتركة. (سلامة، ٢٠٠٤: ٣٦)

٢. تصنيف المفاهيم : تصنف المفاهيم إلى ثلاثة أنواع هي :

اولاً- مفاهيم المادية الحسية . مثل مدرسة، جبل، بستان.

ثانياً- مفاهيم مجردة أو المعنوية . مثل الديمقراطية، الحرية، التضحية .

ثالثاً- مفاهيم المعرفة . مثل التعلم، المؤتمر، الندوة، النظام الاجتماعي .

ويمكن القول أن المفاهيم يمكن أن تكون قديمة موجودة مع وجود الطبيعة،
وقد تكون وضعية من وضع الإنسان . (الخزاعلة وآخرون، ٢٠١١ : ٦٧)

٣. المفهوم التاريخي:

إن المفهوم التاريخي عبارة عن سلسلة متصلة من الاستدلالات تشير إلى مجموعة من الخصائص المشتركة بين الأشياء والحقائق والأحداث والمواقف التي قد تؤدي إلى تحديد فئة معينة متغيرة، وعادة ما يعطي لها اسماً أو رمزاً يدل عليه وفي ضوء طبيعة علم التاريخ بوصفه تحليلاً ونقداً، وتحقيقاً و استدلالاً، فإنه يمكن وضع تعريف للمفهوم التاريخي، بأنه تجريد يستخلص من الخصائص أو العناصر المشتركة للمواقف أو الأحداث أو الحقائق، ويتصف بالعميم والتميز والرمزية، وغالباً ما يعطى اسماً أو رمزاً يدل على الأفكار والمعاني التي تتكون في عقل الفرد (حميدة، ٢٠٠٠ : ١١٨).

٤. مراحل تكوين المفاهيم التاريخية

أن عملية تكوين المفاهيم تسمى عملية الإدراك العقلي وهي عملية تصور للمفاهيم والأفكار العامة التي ترمز للأشياء، وتمر عملية تكوين المفاهيم بمراحل هي :

أ- المرحلة الاستطلاعية المبنية على الإدراك الحسي .

ب-مرحلة إرساء المفهوم وهي مرحلة أدراك عقلي تدعوها عادة التجريد .

ج- مرحلة التمثيل وهي محاولة وعي الخلفية الداخلية للأشياء وهضمها ذهنياً واستقرارها في نسق من المعرفة يظهر في الفعاليات الذهنية للمتعلم (ابراهيم،

٢٠١٣ : ٧٧-٧٨)

ثالثاً: التفكير التأملي

١. خصائص التفكير التأملي

وضع عدد من المفكرين والباحثين خصائص للتفكير التأملي منها:

- أ. يرتبط التفكير التأملي بالوعي الذاتي والمعرفة الذاتية او التأمل الذاتي والذي يعتمد على التمعن ومراقبة النفس والنظر بعمق إلى الأمور.
 - ب. التأمل عملية مستمرة من المعرفة والاستيعاب والتجريب.
 - ت. اعتماد جميع الأحاسيس.
 - ث. الإبداع والأصالة والتبصر والفهم العميق.
 - ج. التساؤل وحب البحث والاستطلاع .
 - ح. تطوير المعرفة السابقة وتطبيقها في مواقف جديدة.
 - خ. التحليل واتخاذ القرار.
 - د. يسهم في تنمية الإحساس بالمسؤولية والعقل المتفتح الخلاق.
 - ذ. ينمي الشعور لثقة بالنفس في مواجهة المهمات المدرسية والحياتية.
 - ر. التفكير الجيد بالعمليات المطلوبة لحل المشكلات والخطوات المتبعة فيها.
- (الخالص وآخرون، ٢٠١٠: ١٣١ - ١٣٣)

٢. مهارات التفكير التأملي

يشتمل التفكير التأملي على خمس مهارات أساسية وهي كما يأتي :

- أ. **التأمل والملاحظة:** ويقصد بها القدرة على عرض جوانب المشكلة والتعرف على مكوناتها سواء كان ذلك من خلال المشكلة او اعطاء رسم او شكل يبين مكوناتها بحيث يمكن اكتشاف العلاقات الموجودة بصريا .

ب. الكشف عن المغالطات: القدرة على تحديد الفجوات في المشكلة وذلك من خلال تحديد العلاقات غير الصحيحة او تحديد بعض الخطوات الخاطئة في انجازا لمهام التربية

ت. الوصول إلى استنتاجات: القدرة على التوصل الى علاقة منطقية معينة من خلال رؤية مضمون المشكلة والتوصل الى نتائج مناسبة .

ث. إعطاء تفسيرات مقنعة: القدرة على إعطاء معنى منطقي للنتائج او العلاقات الرابطة، وقد يكون هذا المعنى معتمدا على معلومات سابقة او على طبيعة المشكلة وخصائصها .

ج. وضع حلول مقترحة: القدرة على وضع خطوات منطقية لحل المشكلة المطروحة وتقوم تلك الخطوات على تطورات ذهنية متوقعة للمشكلة المطروحة . (عبد الحميد، ٢٠١١ : ٢٧٨)

٣. مراحل التفكير التأملي:

يرى كل من (عبيد وعفانه) أن مراحل التفكير التأملي تتمثل في خطوات الآتية:

- الوعي بالمشكلة .
- فهم المشكلة .
- وضع الحلول المقترحة وتصنيف البيانات واكتشاف العلاقات .
- استنباط نتائج الحلول المقترحة - قبول او رفض الحلول .
- اختبار الحلول عمليا، تجريب، قبول او رفض النتيجة . (عبيد وعفانه، ٢٠٠٣ : ٥٠)

الفصل الثالث: إجراءات البحث

يتضمن هذا الفصل عرضاً لإجراءات البحث ومنها اختيار التصميم التجريبي، ومجتمع البحث وعينته، وأداته، وتطبيق التجربة وما له صلة بها، والوسائل الإحصائية وعلى ما يأتي:

أولاً: منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج التجريبي في تطبيق بحثه، وقد اختار تصميماً تجريبياً ذا ضبط جزئي ملائماً لظروف البحث الحالي فجاء التصميم على الشكل الآتي :

المجموعة	الاختبار القبلي للتكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاختبار البعدي
التجريبية	- اختبار اكتساب المفاهيم - اختبار التفكير التأملي	استراتيجية المناقشة السقراطية	اكتساب المفاهيم	- اختبار اكتساب المفاهيم - اختبار التفكير التأملي
الضابطة		_____	التفكير التأملي	

شكل رقم (١) التصميم التجريبي للبحث

يقصد بالمجموعة التجريبية، المجموعة التي تتعرض طلابها للمتغير المستقل (استراتيجية إيلسون)، وبالمجموعة الضابطة هي المجموعة التي تدرس طلابها بالطريقة التقليدية (المحاضرة). ويقصد باكتساب المفاهيم التاريخية المتغير التابع الأول، ويقصد بالتفكير التأملي المتغير التابع الثاني الذي يقوم باعادهما الباحث، لمعرفة اثر المتغير المستقل في المتغيرين التابعين.

ثانياً: مجتمع البحث:

يشتمل مجتمع البحث على طلاب الصف الرابع الادبي في بغداد - المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الاولى للعام الدراسي (٢٠٢٥، ٢٠٢٦).

ثالثاً: عينة البحث:

اختار الباحث قاطع مركز الرصافة في المديرية العامة لتربية الرصافة الاولى بصورة عشوائية ومن ثم اختار بنفس الطريقة ثانوية (سيناء) لتكون شعبة (ب) المجموعة التجريبية والشعبة (أ) لتكون المجموعة الضابطة، وقد بلغ عدد طلاب الصف الرابع في الشعبتين (٧٣) طالب بواقع (٣٦) للمجموعة التجريبية (٣٧) طالب للمجموعة الضابطة.

رابعاً: / تكافؤ مجموعتي البحث :-

ارتأى الباحث القيام بضبط المتغيرات التي قد تكون ذات الأثر على المتغيرين التابعين وهي (الاختيار القبلي لاكتساب المفاهيم التاريخية، والاختبار القبلي للتفكير التاملي، ومستوى الذكاء، والعمر الزمني، والتحصيل السابق في مادة التاريخ (للف الرابع الادبي)، ومستوى التحصيل للوالدين) قبل البدء في تطبيق التجربة.

١. درجات اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية القبلي :

أجرى الباحث اختباراً قبلياً لاكتساب المفاهيم التاريخية لطلاب مجموعتي البحث لغرض التحقق من التكافؤ بين المجموعتين، وبعد إجراء الاختبار واستعمال معادلة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، لمعرفة دلالة الفرق، ظهر أنَّ الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) وجدول (١) يوضح ذلك.

جدول رقم (١) تكافؤ مجموعتي البحث في اكتساب المفاهيم التاريخية القبلي

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٦	١٢,٥٦	٣,٢٣	٧١	١,٤٣١	١,٩٨	غير دالة عند مستوى ٠,٠٥
الضابطة	٣٧	١١,٥١	٣,٦٥				

٢. درجات التفكير التألمي القبلي: طبق الباحث اختبار التفكير التألمي القبلي على طلاب مجموعتي البحث، لغرض التحقق من التكافؤ بين المجموعتين، وعند استعمال معادلة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، لمعرفة دلالة الفرق، ظهر أنَّ الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) وجدول (٢) يبيِّن ذلك.

جدول (٢) تكافؤ مجموعتي البحث في اختبار التفكير التألمي القبلي

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٦	٩,٣١	٣,٨٥	٧١	٠,٤٥٩	١,٩٨	غير دالة عند مستوى ٠,٠٥
الضابطة	٣٧	٩,٤٥	٣,٤٣				

٣. العمر الزمني بالشهور: حصل الباحث على المعلومات هذه المتغير من سجلات المدرسة، وعند استعمال أستمعمل اختبار التائي لعينتين مستقلتين، كانت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي المجموعتين والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) تكافؤ مجموعتي البحث في العمر الزمني

الدالة الإحصائية	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد أفراد العينة	المجموع
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة عند مستوى ٠,٠٥	١,٩٨	٠,٣٤٥	٧١	٥,٨٧	١٨٩,٤٥٤	٣٦	التجريبية
				٦,١٠	١٨٧,٣٤٣	٣٧	الضابطة

٤. لذلك: نظراً لأهمية هذا المتغير فقد قام الباحث اجراء تكافؤ بين مجموعتي البحث باستعمال اختبار (رافن) وبعد تصحيح الاجابات باعطاء درجة لكل اجابة صحيحة وصفر لكل للاجابة الخاطئة او المتروكة، وعند استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتي، كانت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة أحصائية بين متوسطي المجموعتين، وكما في الجدول (٥).

جدول (٥) تكافؤ مجموعتي البحث في اختبار الذكاء (رافن)

الدالة الإحصائية	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد أفراد العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة			٧١	٤,٦٧	٣٥,٤٣	٣٦	التجريبية

الضابطة	٣٧	٣٥,٥٦	٥,٤٣		١,٣٤١	١,٩٨	عند مستوى ٠,٠٥
---------	----	-------	------	--	-------	------	----------------------

التحصيل الدراسي للإباء: يبدو من الجدول (٦) أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في تكرارات التحصيل الدراسي للأباء، إذ أظهرت نتائج البيانات باستعمال مربع كاي، أن قيمة (كا) المحسوبة (٠,٢٥٤) اصغر من قيمة (كا) الجدولية (٩,٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وبدرجة حرية (٤) .

جدول (٦)

تكرارات التحصيل الدراسي لأباء طلاب مجموعتي البحث، وقيمة (كا) المحسوبة،

والجدولية

الدالة الإحصائية	قيمة مربع كاي		درجة الحرية	تحصيل الأب					المجموع	المجموعة
	محسوبة	جدولية		إعدادية	متوسطة	ابتدائية	يقراء ويكتب	المجموع		
غير دالة عند مستوى (٠,٠٥)	٩,٤٩	٠,٢٥٤	٤	٥	٦	١٠	٥	١٠	٣٦	التجريبية
				٦	٥	١٠	٦	١٠	٣٧	الضابطة

التحصيل الدراسي لأمهات الطلاب: يبدو من جدول (٧) إن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في تكرارات التحصيل الدراسي للامهات، إذ أظهرت نتائج البيانات باستعمال مربع كاي، إن قيمة (كا) المحسوبة (٠,٣٤٥) اصغر من قيمة (كا) الجدولية (٩,٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، وبدرجة حرية (٤) .

جدول (٧)

تكرارات التحصيل الدراسي لامهات طلاب مجموعتي البحث، وقيمة (كا)^٢
المحسوبة، والجدولية

الدالة الاحصائية	قيمة مربع كاي		درجة الحرية	تحصيل الأم				المجموع	المجموعة
	محسوبة	جدولية		ابتدائية	متوسطة	إعدادية	بكالوريوس		
غير دالة عند مستوى (٠,٠٥)	٩,٤٩	٠,٣٤٥	٤	٥	٨	١٠	٨	٣٦	التجريبية
				٦	٧	١١	٧	٣٧	الضابطة

خامساً: مستلزمات البحث

تحديد المادة العلمية: اعتمد الباحث كتاب التاريخ للعام الدراسي (٢٠٢٥)،
(٢٠٢٦). والمقرر تدريسه من قبل وزارة التربية لطلاب الصف الرابع الادبي،
والمادة كانت موحدة لمجموعتي البحث.

١. صياغة الأهداف السلوكية: أعد الباحث أهداف سلوكية في ضوء المفاهيم الرئيسة التي حددها والبالغ (١٨) مفهوماً وفق العمليات الثلاث (تعريف، تمييز، تطبيق) وصاغ الباحث ثلاث أهداف سلوكية بلغ عددها (٥٦) هدفاً وللتأكد من سلامة صياغته، والمستوى الذي تقيسه في عمليات الاكتساب عرضها الباحث على مجموعة من المحكمين،

وفي ضوء ملاحظاتهم وآرائهم أجري عليها بعض التعديلات وإعادة صياغة قسماً منها.

٢. اعداد الخطط التدريسية: اعد باحث خطط تدريسي لكل طريقة بمعدل ثلاث خطط في الاسبوع بواقع (٣٢) خطه تدريسية لكل مجموعة وعرض الباحث نماذج من الخطط على مجموعة من المحكمين، لبيان آرائهم وملاحظاتهم لغرض تعديل تلك الخطط وجعلها سليمة تضمن نجاح التجربة، وفي ضوء ما أبداه الخبراء من ملاحظات، أجريت التعديلات اللازمة عليها.

سادساً: اداتا البحث: من متطلبات البحث الحالي اعداد اداتين لقياس المتغيرين التابعين (اكتساب المفاهيم التاريخية، التفكير التأملي) وفيما يلي عرض يوضح الاجراءات حول هاتين الاداتين:

١. اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية: قام الباحث باعداد اختبار من نوع الاختيار من متعدد تكون من (٥٤) فقرة اختبارية وبحسب فصول الثلاثة الاولى من كتاب التاريخ المقرر تدريسة للصف الرابع الادبي، تقيس اكتساب المفاهيم التاريخية والبالغ (١٨) مفهوماً ولكل مفهوم (٣) فقرات تقيسه في مستويات (تعريف، تمييز، تطبيق).

أ. التحقق من صلاحية فقرات الاختبار:

بعد أن أعد الباحث الاختبار بصيغتيه الأولى، تم عرضه على مجموعة من المحكمين، لاستطلاع صلاحية فقراتها وشمولها للمحتوى (المفاهيم التاريخية) وسلامة بنائها وتحديد المستوى التي تقيسه كل فقرة، وفي ضوء آرائهم عدلت بعض الفقرات وحصلت جميع الفقرات على نسبة (٨٠٪) فأكثر، لذا عدت جميع الفقرات صالحة لقياس اكتساب المفاهيم التاريخية لطلاب الصف الرابع الادبي.

ب. تعليمات الاختبار:

بعد الانتهاء من صياغة الاختبار، تم تحديد التعليمات اللازمة له، وتوزيع الدرجات، فخصص درجة لكل فقره من فقرات الاختبار و(صفر) إذا كانت الإجابة خاطئة، وأمن دون إجابة، لتصبح الدرجة العليا للاختبار (٥٤) درجة، والدرجة الدنيا (صفر)، وبذلك أصبح الاختبار جاهز لتطبيقه على العينة الاستطلاعية، ليتسنى للباحث تثبيت من وضوح فقراته، والوقت المستغرق للإجابة عنها، وتحليل فقراتها إحصائياً، ومدى صلاحيتها من حيث درجة صعوبة كل فقره، ودرجة تمييزها، وتثبت من ثباته.

ح. صدق الاختبار: من أجل التثبت من صدق الاختبار، عمد الباحث إلى استعمال نوعين من الصدق وهما ما يأتي:

- **الصدق الظاهري:** للتحقق من صدق الظاهري، عرض الباحث الأداة على مجموعة المحكمين، لإبداء ملاحظاتهم في درجة صدقها في قياس ما وضعت من أجل قياسه، وقد اعتمد الباحث على نسبة (٨٠٪) من اتفاق الآراء بين المحكمين بشأن صلاحية الفقرات، حيث اجري بعض التعديلات على بعض الفقرات وبذلك لم تحذف اي فقرة، أصبح عدد فقرات الاختبار بشكلها النهائي (٥٦) فقره.

- **صدق المحتوى :** للتحقيق من هذا النوع من الصدق عرض الباحث فقرات الاختبار على مجموعة من المحكمين، للتأكد من صلاحيتها من الناحية العلمية وملاءمتها وشمولها لموضوعات كتاب التاريخ وسلامة صياغتها، وفي ضوء ذلك تم إجراء التعديلات المقترحة على بعض فقرات الاختبار على وفق ما ابداه الخبراء من آراء وملاحظات، وعدت الفقرة الاختبارية صالحة اذا حازت على نسبة قبول (٨٠٪) فاكثر من آراء المحكمين.

التطبيق الاستطلاعي للأداة:

لمعرفة الوقت المستغرق للاختبار ومدى صعوبة وسهولة الفقرات وقوة تميزها، طبقت الباحث الاختبار على عينة استطلاعية بلغ عددهم (٣٦) طالب فأتضح ان الفقرات كانت واضحة وغير غامضة للطلاب حيث ان متوسط الوقت المستغرق للإجابة كانت (٤٣) دقيقة.

مستوى الصعوبة: بعد أن حسب الباحث معامل صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (٠.٣١) و(٠.٧١)، ويرى بلوم إن الفقرات الاختبارية تعد مقبولة إذا كان معامل صعوبتها بين (٠.٢٠) و (٠.٨٠) (Bloom، 66: 1971) وهذا يعني إن فقرات الاختبار جميعها تعد مقبولة.

قوة تمييز الفقرة: بعد أن حسب الباحث القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (٠.٣٢) و (٠.٥١)، ويشير (أييل EbeL) الى ان فقرات الاختبار تعد جيدة اذا كانت قوة تمييزها (٠.٣٠) فأكثر (EbeL,1972,P:406) لذا أبق الباحث على الفقرات جميعها دون حذف أو تعديل.

فاعلية البدائل الخاطئة: بعد أن حسب الباحث فاعلية البدائل الخاطئة للاختبار، ظهر ان البدائل غير الصحيحة للفقرات الاختبارية قد جذبت إليها عددا من طلاب المجموعة الدنيا اكبر من طلاب المجموعة العليا، لذا تقرر الإبقاء عليها جميعها دون حذف أو تعديل.

ثبات الاداة: لغرض التأكد من ثبات الاختبار استخدم الباحث طريقة التجزئة النصفية ومعادلة الفا- كرونباخ لغرض التأكد من دقة ثبات الاختبار.

- طريقة التجزئة النصفية: لحساب الثبات بهذه الطريقة اعتمد الباحث درجات عينة التحليل الإحصائي نفسها، وحسب درجات الفقرات الزوجية وجعلها مجموعة، وحسب درجات الفقرات الفردية وجعلها مجموعة اخرى، وعند استعمال معادلة ارتباط بيرسون (Pearson) لحساب معامل الثبات بين درجات الفقرات الزوجية ودرجات الفقرات الفردية فبلغ (٠.٧٨)، ومن ثم استعمل معادلة سبيرمان - براون لتصحيح المعامل المستخرج بمعادلة بيرسون، فبلغ معامل الثبات (٠.٨٣) وهو معامل ثبات مقبول بالنسبة إلى الاختبارات غير المقننة.

- **معادلة الفا كرونباخ :** لاستخراج الثبات وفق معادلة الفا كرونباخ طبق الباحث المعادلة على درجات طلاب عينة التحليل الاحصائي، فكان معامل ثبات اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية (٠.٨٩)، وهو معامل ثبات عال جداً، إذ يعد معامل الثبات جيد إذا بلغ (٠,٧٠) فأكثر. (النبهان، ٢٠٠٤ : ٢٣٧)

٢. **اختبار التفكير التأملي:** اعداد الباحث اختبار للتفكير التأملي، وقد مر أعداد اختبار بالمراحل الآتية:

أ. **الهدف من الاختبار:** يهدف الاختبار قياس التفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الاديبي في مادة التاريخ (عينة البحث).

ب. **تحديد مهارات الاختبار:** حدد الباحث خمسة مهارات للتفكير التأملي حسب ما تدارسته معظم الدراسات السابقة وهي:(مهارة التأمل والملاحظة، مهارة الكشف عن

المغالطات، مهارة الوصول إلى استنتاجات، مهارة إعطاء تفسيرات مقنعة، مهارة وضع حلول مقترحة)

صياغة فقرات الاختبار: اعد الباحث اختباراً للتفكير التأملي يتناسب مع مستوى طلاب عينة البحث وطبيعة المادة من خلال الاطلاع على الاختبارات السابقة في التفكير التأملي حيث تكون الاختبار من (٣٠) فقرة موزع على خمسة مهارات فرعية المذكورة في أعلاه.

ج - صدق فقرات اختبار التفكير التأملي:

لغرض التحقق من الصدق عرضت فقرات الاختبار على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في مجال طرائق التدريس والقياس والتقويم، لإبداء آرائهم وملاحظاتهم بشأن الفقرات الاختبارية وحصلت نسبة اتفاق (٨٠٪) فأكثر، وأبقيت فقرات الاختبار جميعها من دون حذف باستثناء تعديل بعض الفقرات، وبهذا يكون الاختبار ذا صدق ظاهري، وبذلك أصبح عدد فقرات الاختبار (٣٠).

التطبيق الاستطلاعي لاختبار التفكير التأملي :

تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية، تألفت من (٣٠) طالب من طلاب الصف الرابع الادبي ومن مجتمع البحث نفسه، ولاحظ إن تعليمات الإجابة عن فقرات الاختبار كانت واضحة عدا بعض الفقرات وتم توضيحها لإفراد المجموعة كافة، وبعد انتهاء تطبيق الاختبار اتضح أن الوقت المستغرق في الإجابة هو (٤٤.٥) دقيقة.

أ.معامل الصعوبة: تم حساب مستوى الصعوبة الفقرات الاختبار بعد أن حسب الباحث معامل صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار وجدت أنها تتراوح بين (٠.٣٣) و(٠.٦٥) وتعد فقرات الاختبار مقبولة إذا تراوحت نسبتها ما بين (٠.٢٠) و(٠.٨٠).

ب.معامل التميز الفقرات: بعد حساب قوة تمييز كل فقرة من فقرات الاختبار وجد الباحث إنها تتراوح بين (٠.٤٣) و (٠.٥٤) وتعد فقرات الاختبار جيدة اذا كانت قوة تمييزها (٠.٣٠) فاكثر.

ج. فعالية البدائل الخاطئة: بعد إن أجرى الباحث العمليات الإحصائية لتقييم إجابات المجموعتين العليا والدنيا لكل فقرة من فقرات الاختبار وظهر لديه إن البديل الخاطئ لفقرات الاختبار التفكير التأملية قد جذبت إليها عدد من طلاب المجموعة الدنيا اكبر من طلاب المجموعة العليا، لذا تقرر الإبقاء عليها جميعها دون حذف.

٣- ثبات الاختبار:

لحساب ثبات الاختبار سحبت الباحث إجابة (١٠٠) طالب عشوائياً من عينة التحليل الأحصائي، واستخرج الثبات وفق طريقة التجزئة النصفية ومعادلة الفا-كرونباخ لغرض التأكد من دقة ثبات الاختبار.

- طريقة التجزئة النصفية: لحساب الثبات بهذه الطريقة اعتمد الباحث درجات عينة التحليل الإحصائي نفسها، وحسب درجات الفقرات الزوجية وجعلها مجموعة والفردية مجموعة اخرى، وعند استعمال معادلة ارتباط بيرسون (Pearson) لحساب معامل الثبات بين درجات الفقرات

الزوجية ودرجات الفقرات الفردية فبلغ (٠.٧٦)، ومن ثم استعمل معادله سبيرمان- براون لتصحيح المعامل المستخرج بمعادلة بيرسون، فبلغ معامل الثبات (٠.٨٣) وهو معامل ثبات مقبول بالنسبة إلى الاختبارات غير المقننة.

- معادلة الفا - كرونباخ : لاستخراج الثبات بهذه المعادلة تم حساب درجات كل فقرة من فقرات الاختبار وجمعها وحساب التباين الكلي لدرجات الاختبار وكان الثبات (٠,٨٤) ويعتبر معامل ثبات مناسب حيث ذكر البياتي ان معامل الثبات بمقداره (٠.٧٦) فاكثر يعتبر جيد. (البياتي, ٢٠٠٨ : ١٥٢)

ي - تصحيح الاختبار التفكير التألمي:

تكون الاختبار بالصيغة النهائية من (٣٠) فقرة وكانت الدرجة الكلية لفقرات الاختبار (٣٠) من خلال ضرب (عدد الفقرات $\times$ ١) أما اقل درجة فهي (٠) من خلال ضرب (٣٠ $\times$ ٠) .

ثامناً : الوسائل الاحصائية: استخدم الباحث الحقيبة الاحصائية (SPSS)

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها الاستنتاجات، والتوصيات

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصل إليها البحث على وفق اهداف البحث وفرضياته من خلال الموازنة بين متوسطات طلاب مجموعتي البحث في اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية، واختبار التفكير التألمي، وتفسير النتائج التي توصل إليها البحث مع الاستنتاجات، والتوصيات، والمقترحات:

أولاً: عرض النتائج

١. نتائج اكتساب المفاهيم التاريخية.

ل للوصول إلى هدف البحث الاول المتعلق باختبار اكتساب المفاهيم التاريخية، وللتحقق من الفرضية الصفرية الاولى التي تنص على (لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات طلاب مجموعتي البحث في اكتساب المفاهيم التاريخية)، أستعمل الباحث اختبار التائي لعينتين مستقلتين، فكانت النتائج كما مبينة في الجدول (٨)

جدول (٨)

قيمة اختبار التائي للفرق بين مجموعتي البحث لأكتساب المفاهيم التاريخية

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٦	٤١,٤٥	٦,٥٦	٧١	٦,٧٦٥	١,٩٨	غير دالة عند مستوى ٠,٠٥
الضابطة	٣٧	٣٣,٦٥	٦,٨٩				

يتضح من الجدول (٨) أن قيمة التائية المحسوبة المحسوبة البالغة (٦,٧٦٥) هي أكبر من قيمة الجدولية البالغة (١,٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) أن توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي المجموعتين في اكتساب المفاهيم التاريخية، ولصالح المجموعة التجريبية.

٢. نتائج اختبار التفكير التألمي

للوصول إلى هدف البحث الثاني المتعلق باختبار التفكير التأملي، وللتحقق من الفرضية الصفرية التي تنص على (لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات طلاب مجموعتي البحث في اختبار التفكير التأملي)، أستعمل الباحث اختبار التائي لعينتين مستقلتين، فكانت النتائج كما مبينة في الجدول (٩).

الجدول (٩) قيمة اختبار التائي للفرق بين مجموعتي البحث في دافع الانجاز المعرفي

المجموعة	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٦	٢٣,٣٤	٤,٧٦	٧١	٤,٩٨٧	١,٩٨	غير دالة عند مستوى ٠,٠٥
الضابطة	٣٧	١٧,٩٨	٤,٢٣				

يتضح من الجدول (٩) أن قيمة التائية المحسوبة البالغة (٤,٩٨٧) هي أكبر من قيمة الجدولية (١,٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) أذن توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي المجموعتين في اختبار التفكير التأملي ولصالح المجموعة التجريبية.

ثانياً: تفسير النتائج

١. تفسير نتائج اختبار اكتساب المفاهيم التاريخية: يمكن تفسير النتائج المتعلقة بوجود فروق ذات دلالة احصائية بين طلاب المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية المناقشة السقراطية، والمجموعة الضابطة التي استعملت الطريقة التقليدية (المحاضرة)، في اكتساب المفاهيم التاريخية، يمكن ان تعزى هذه النتائج الى الاسباب الاتية:

أ- إنّ التدريس على وفق هذا الاستراتيجية حثّ الطلاب على الربط بين المعرفة السابقة والمعرفة الحالية، وكذلك بين المفاهيم الرئيسة والفرعية، مما جعلهم يمرون بإعادة تعلم مستمر وبالنتيجة جعل التعلم ذا معنى.

ب- إنّ استراتيجية المناقشة السقراطية تساعد الطلاب على التعلم وتساعدهم على رفع مهاراتهم العقلية وتعمل أيضاً في تنمية قدراتهم العقلية، وتمكنهم من تفسير ما يقرؤون من مادة علمية.

ت- تزرع استراتيجية (المناقشة السقراطية) الثقة بنفوس الطلاب للوصول إلى الفهم والإدراك والاستيعاب للمعلومات العلمية و تخزينها في تفكيرهم وعقولهم، وتعودهم بالابتعاد عن حفظ المعلومات واستظهارها والتي تعودو عليها باستعمال الطرائق التقليدية.

٢. تفسير نتائج اختبار التفكير التأملي : يمكن تفسير النتائج المتعلقة بتفوق المجموعة التجريبية التي درست باستراتيجية المناقشة السقراطية على المجموعة الضابطة التي درست على وفق الطريقة التقليدية، في اختبار التفكير التأملي بما يلي:

أ. أسهمت إستراتيجية باير في تأمل بعض الظواهر المختلفة وتحليل المواقف وتخطيط ومراجعة عملية التعلم، مما ساعد الطلاب عينة البحث على رؤية أنفسهم

عند التفكير في المواقف المختلفة ومن ثم تأملها. كما أنّ استعمال مهارة الملاحظة تساعد على تنمية مهارة التفكير التأملي.

ب. توظيف استراتيجيات (المناقشة السقراطية) تساعد على تنمية قدرة الطلاب في الحوار والمناقشة وتزويد لديهم مهارة الحديث والتعبير السليم.

ت. استغلوا الطلاب قدراتهن الذاتية وبمساحة فكرية أوسع لاستخلاص النتائج ثم تفسيرها والوصول الى الحلول مما ادى الى تنمية التفكير التأملي لديهن.

الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث الحالي يمكن أن نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

أ. يتطلب استراتيجيات (المناقشة السقراطية) من المدرس جهداً ووقتاً أكثر مما هو مطلوب في التعليم التقليدي.

ب. إن استراتيجيات (المناقشة السقراطية) تمكن الطلاب من التفكير القراءة والاطلاع والمتابعة والإجابة في ذلك.

ت. تساعد استراتيجيات (المناقشة السقراطية) على تعزيز عملية التعلم لتضمنها لخطوات وأساليب دمج مهارات التفكير مما تحقق الرغبة الذاتية لدى المتعلمين عند التعلم.

رابعاً: التوصيات.

في ضوء النتائج يوصي الباحث بما يأتي : -

أ. إقامة دورات تدريبية للملاكات التدريسية في أثناء الخدمة على كيفية استعمال إستراتيجيات ونماذج حديثة وتزويدهم بالإيضاحات والمعلومات حول إعداد هذه الإستراتيجية والنماذج وأسس تدريسها من خلال الدورات والندوات التربوية.

ب. ضرورة جعل المتعلم المحور الرئيس في العملية التعليمية، وإعطائه الدور الأكبر في المناقشة والاستفسار، واستنباط الأفكار الأكثر إبداعية، وتوظيفها بصورة صحيحة .

ت. الاهتمام بالإعداد المسبق للمدرس في جميع مراحل التعليم ولاسيما في كليات التربية بحيث يكون التركيز على جوانب التفكير، ولاسيما مهارات التفكير التأملي في كيفية تضمينها في منهاج التاريخ خلال مدة الدراسة.

خامساً : المقترحات.

استكمالاً للبحث يقترح الباحث أجراء الدراسات الآتية:

أ. إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية لمعرفة اثر انموذج (المناقشة السقراطية) في متغيرات آخر من التفكير مثل (التفكير الابداعي، التفكير العلمي، التفكير الابتكاري).

ب. إجراء دراسة وصفية لمعرفة اتجاهات مدرسي التاريخ نحو استعمال الاستراتيجيات والنماذج الحديثة.

ت. إجراء دراسة تهدف إلى التعرف على أثر استراتيجية (المناقشة السقراطية) في اكتساب المفاهيم التاريخية والتفكير التأملي لدى طلبة اقسام التاريخ في كليات التربية.

المصادر

١. الحيلة، محمد محمود (٢٠٠٨)، تصميم التعليم ونظرية وممارسة، ط٤، دار الميسرة، للنشر والتوزيع، عمان..
٢. الشعراني، ربي ناصر المصري، (٢٠٠٩) الأبداع في التربية المدرسية في التعلم الأساسي، دار النهضة، عمان .
٣. الزيماري، محمد عودة، (٢٠١١) علم النفس العام، ط ٤، دار المسيرة عمان، الأردن .

٤. الوكيل، حلمي أحمد، (٢٠٠٠)، تطوير المنهج، أسبابه، أسسه، أساليبه، خطواته، معوقاته، دار الفكر العربي، القاهرة
٥. اللقاني، أحمد حسين، وعودة عبد الجواد، (١٩٨٢)، تدريس المواد الاجتماعية، ط٣، عالم الكتب للنشر، القاهرة.
٦. الفتلاوي، رعد عبد الامير (٢٠١٢) بناء وتقنين مقياس التفكير الايجابي لدى رؤساء الاتحادات الرياضية الفرعية في العراق وعلاقته بكفاياتهم الادارية من وجهة نظر اعضائها، إطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية، جامعة بابل.
٧. الرقيب، سعيد بن صالح (٢٠٠٨) اسس التفكير الياي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء السنة النبوية، بحث منشور في المؤتمر الدولي عن تنمية المجتمع، الجامعة الاسلامية، ماليزيا.
٨. شحاته، حسن، وزينب النجار، (٢٠٠٣)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط١، الدار العربية اللبنانية، مصر، القاهرة .
٩. الموسوي، رضا. دراسات في سايكولوجية التفكير اساليبه وانواعه، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ٢٠١٠، بغداد
١٠. أبو جادو، صالح محمد علي، ٢٠٠٦، علم النفس التربوي، ط٥، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، عمان .
١١. خضر، فخري رشيد، (٢٠٠٦) طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية، دار الميسرة، ط١، عمان.
١٢. الخزاعلة وآخرون، محمد سلمان (٢٠١١) طرائق التدريس الفعال، دار صفاء للنشر، ط١، عمان.
١٣. سلامة، عادل ابو العز (٢٠٠٤) تنمية المفاهيم والمهارات العلمية وطرق تدريسها، دار الفكر، ط ١، الاردن، عمان.
١٤. حميدة امام مختار وآخرون، (٢٠٠٠) : تدريس الدراسات الاجتماعية في التعلم العام، ج ١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
١٥. ريان، عادل، (٢٠١٠)، دلالة التمايز في مستويات التفكير التأملي لدى طلبة الصف العاشر الأساسي في ضوء فاعلية الذات الرياضية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ٢٠، فلسطين.
١٦. عبيد، وليم عفانة، عزو (٢٠٠٣) التفكير والمنهاج المدرسي، ط١، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت .
١٧. الخالص، بعاد واخرون (٢٠١٠): قراءات في المناهج والتدريس، ط١، دار وائل، عمان.
١٨. فريد، دينا رياض (٢٠١٦) اثر التعلم المستند إلى الدماغ في تحصيل مادة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والتفكير التأملي لدى طلاب الصف الرابع الأدبي، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد (٦) المجلد (١).

١٩. صالح، مدحت محمد (٢٠١٣) فاعلية استراتيجية المناقشة السقراطية للتعلم القائم على الاستخدام في تنمية مهارات التفكير التأملي والتحصيل في مادة العلوم لدى طلاب الصف الرابع الاديبي بالملكة العربية السعودية. مجلة التربية العلمية، مصر، المجلد (١٦) العدد (١)

20. Seligman & Csikszentmihalyi, M . (2000) : " **Positive psychology : an Introduction** : American psychologist ,Vol (55).
21. Edelson, D., Salierno, C., Matese, G., Pitts, V., & Sherin B. (2002). Learning-for-Use in Earth Science: Kids as Climate Modelers. **National Association for Research on Science Teaching**, April, paper presented in New Orleans, LA ,April 2002 Retrived on(5/10/2014) from <http://www.worldwatcher.northwestern.edu>
22. Kish, C. K.; Sheehan, J.K. ; Cole, K. B. ; Struyk, L. R. & Kinder, D. (1997) : Portfolios in the Classroom: **A vehicle for Developing reflective thinking** ,the university of north Carolina press
23. NSF Funding (2006) **Investigation in Environmental Science A Case-Based Approach to the Study of Environmental Systems**. New York, Herrf- Jones Education Division
24. Edelson, D.C. (2001). Learning-for-use: A framework for the design of technology-supported inquiry activities. **Journal of Research in Science Teaching**,Vol. (38) ,No(3),pp 355-385.
25. A., R.I., Smith, T.,& Schreurs, J.(2009).E-Learning and Constructivism: From Theory to Application. **Interdisciplinary Journal of E-Learning and Learning Objects** ,Vol.,(5),No(1)

الحصانة لدى طالبات قسم رياض الأطفال

أ.د. ايناس محمد مهدي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية / قسم رياض الاطفال

مستخلص البحث :

يهدف البحث الحالي الى التعرف على الحصانة لدى طالبات قسم رياض الاطفال. ولتحقيق اهداف البحث قامت الباحثة ببناء مقياس الحصانة ثم حلت فقرات المقياس منطقيا واحصائيا لحساب قدرته التمييزية ومعاملات صدقه، كما تحققت من الصدق الظاهري وصدق البناء للمقياس بتطبيقه على عينة البحث البالغة (١٠٠) طالبة من طالبات قسم رياض الاطفال في كلية التربية الاساسية-الجامعة المستنصرية للعام الدراسي (٢٠٢٥/٢٠٢٦)، بطريقة عشوائية واستعملت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي. وقد تم استخراج الخصائص السايكومترية من صدق وثبات المقياس، واستعملت الوسائل الاحصائية المناسبة لاستخراجها واستخراج النتائج، وبذلك يكون مقياس الحصانة بصورته النهائية من (٢٢) فقرة، وقد كانت نتيجة البحث الحالي ان طالبات قسم رياض الاطفال يمتلكن مستوى دالا احصائيا من الحصانة. الكلمات المفتاحية : الحصانة، طالبات قسم رياض الاطفال.

Immunity Among Female Students of the Department of Kindergarten

Prof. Dr. Enas Muhammad Mahdi

Mustansiriyah University / College of Basic Education /

Department of Kindergarten

Abstract

The current research aims to identify the level of immunity among female students in the Department of Kindergarten. To achieve the goals of the research, the researcher constructed an immunity scale and analyzed its items logically and statistically to determine its discriminatory power and validity coefficients. Face validity and construct validity were verified by applying the scale to a randomly selected sample of 100 female students from the Department of Kindergarten at the College of Basic Education / Mustansiriyah University for the academic year (2025/2026). The researcher adopted the descriptive–correlational methodology.

The psychometric properties of validity and reliability were established using appropriate statistical methods to obtain the final results. Consequently, the final version of the immunity scale consisted of 22 items. The findings revealed that female students in the Department of Kindergarten possess a statistically significant level of immunity.

Keywords: Immunity, Female Students of Kindergarten Department.

الفصل الاول / التعريف بالبحث

اولاً : مشكلة البحث : يعد التعليم أحد المحاور الأساسية في تقدم المجتمعات وتتميتها، إذ لا يقتصر دوره على تزويد الأفراد بالمعارف والمهارات، بل يمتد إلى بناء الشخصية،

وتتمية الوعي، وتعزيز القدرة على التفكير النقدي، بما يُمكن الفرد من التفاعل الإيجابي مع مجتمعه والمساهمة في تطوره. وتبرز أهمية ذلك بصورة أوضح في مرحلة التعليم الجامعي، التي تُعد من أهم المراحل في حياة الطالب، حيث تهدف مؤسسات التعليم العالي إلى إعداد الطلبة للحياة المهنية وتمكينهم من مواجهة متطلبات سوق العمل بكفاءة (Masten, 2014 : 14) كما تسهم هذه المرحلة في تنمية قدرات الطلبة، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم واحترامهم لذواتهم، وتنمية مهارات التفكير والإبداع، والاستقلالية في اتخاذ القرار وإبداء الرأي، فضلاً عن إعداد الكفاءات والخبرات التي يحتاج إليها المجتمع لتحقيق التنمية. وإلى جانب ذلك، تمثل المرحلة الجامعية بداية انتقال الطالب إلى مرحلة الرشد، الأمر الذي يتطلب منه التحلي بالسلوك المسؤول والناضج، واحترام القيم والعادات والتقاليد المجتمعية، بما يعزز قدرته على التصرف باستقلالية ووعي (عامر، ٢٠٢١: ١٠٤).

وفي ظل ما يواجهه طلبة الجامعات من ضغوط وتحديات نفسية وأكاديمية واجتماعية، برز مفهوم الحصانة النفسية بوصفه أحد المفاهيم المهمة في علم النفس، لما له من دور في تعزيز قدرة الفرد على التكيف الإيجابي مع المواقف الضاغطة والتعامل معها بفاعلية. وقد أكدت العديد من الدراسات أن امتلاك الطلبة لمستوى مرتفع من الحصانة النفسية يسهم في خفض الآثار السلبية للضغوط النفسية، ويزيد من قدرتهم على حل المشكلات والتكيف مع المواقف الحياتية المختلفة، وهو ما أشارت إليه دراسات والحلي (٢٠٢١).

وانطلاقاً من أهمية الحصانة في حياة الطالب الجامعي، أصبح تعزيزها ضرورة تربوية ونفسية تساعد الطلبة على مواجهة التحديات اليومية والضغوط المختلفة بكفاءة. وتشير دراسة النوسية (٢٠١٣) إلى أن برامج تعزيز الحصانة النفسية تهدف إلى تنمية مهارات

مواجهة الضغوط، والسيطرة على المخاوف، والتعامل الإيجابي مع المواقف والظروف الحياتية، والحد من الأفكار السلبية ومنع تراكمها، فضلاً عن إكساب الطلبة أساليب فعالة للتعامل مع التوترات والمشكلات. وفي ضوء ذلك، تبرز البرامج الإرشادية النفسية بوصفها إحدى الوسائل الفاعلة في تنمية المهارات النفسية وتعزيز الحصانة النفسية لدى طلبة الجامعة، إذ تسهم في إعدادهم نفسياً وتمكينهم من التكيف مع متطلبات الحياة الجامعية ومواجهة الضغوط المختلفة بصورة أكثر إيجابية وفاعلية (النوسية، ٢٠١٣).

حيث تمثلت مشكلة البحث في السؤال الاتي : هل لدى طالبات قسم رياض الأطفال الحصانة ؟

ثانياً : أهمية البحث : تُعد الحصانة النفسية من المفاهيم الحديثة التي حظيت باهتمام متزايد في إطار علم النفس الإيجابي، لما لها من دور في تعزيز قدرة الفرد على مواجهة الضغوط والأزمات والتكيف مع المواقف الحياتية المختلفة. فهي تمثل منظومة من السمات والقدرات الشخصية التي تساعد الفرد على تحمل الضغوط النفسية والحد من آثارها السلبية، بما يمكنه من الحفاظ على توازنه النفسي والتعامل مع التحديات بصورة أكثر فاعلية مقارنةً بغيره ممن يتعرضون للظروف نفسها (سويد، ٢٠١٦: ١٣).

وتركز الحصانة النفسية على تنمية الجوانب الإيجابية لدى الأفراد الأسوياء قبل اهتمامها بعلاج الاضطرابات النفسية، إذ تسعى إلى تزويدهم بالمهارات والإمكانات التي تساعد على الوقاية من المشكلات النفسية ومواجهتها بفاعلية، من خلال استثمار

قدراتهم وطاقاتهم الشخصية في التغلب على صعوبات الحياة وتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي (عابد القاضي، ٢٠١٩: ٧).

كما تسهم الحصانة النفسية في تعزيز قدرة الفرد على التكيف مع الضغوط والتحديات المختلفة، وذلك من خلال تنمية الخصائص الشخصية والمهارات التي تمكنه من مواجهة المواقف الضاغطة، والحد من تأثيراتها السلبية، بما يدعم صحته النفسية ويزيد من قدرته على الاستمرار في أداء أدواره الحياتية بكفاءة (نجاتي، 20216: ١٥٠).

وأشار (Olah ٢٠٠٩) إلى أن الحصانة النفسية تُعد بناءً نفسيًا متعدد الأبعاد ومتكامل العناصر، إذ تضم مجموعة من الموارد الشخصية التي تعزز صلابة الفرد وقدرته على التكيف مع الظروف الصعبة، وتسهم في مقاومة الآثار السلبية للضغوط، وتحويل المواقف المجهدة إلى فرص للنمو والتطور الشخصي. كما أن هذه الموارد تساعد الفرد على الاستجابة للمواقف الضاغطة بطريقة بناءة تحافظ على توازنه النفسي وتعزز فاعليته وإنتاجيته (Olah, 2009 : 1)

وتتجلى أهمية الحصانة النفسية بصورة خاصة لدى طلبة الجامعات، إذ يواجهون العديد من الضغوط الأكاديمية والاجتماعية والانفعالية التي قد تؤثر في توافقهم النفسي وأدائهم الدراسي. ومن ثم فإن تعزيز الحصانة النفسية لديهم يسهم في رفع مستوى الصمود النفسي، وتنمية القدرة على حل المشكلات، وزيادة الثقة بالنفس، وتحسين جودة الحياة، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على تحصيلهم الأكاديمي وصحتهم النفسية (Masten,)

2014:14

ثالثاً : أهداف البحث : يهدف البحث الحالي إلى :
التعرف على الحصانة لدى طالبات قسم رياض الأطفال.

رابعاً : حدود البحث : يتحدد البحث الحالي بطالبات قسم رياض الاطفال ، وللمراحل الاربعة (الأول، الثاني، الثالث الرابع) في كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية ، وللعام الدراسي (٢٠٢٥، ٢٠٢٦) م.

خامساً : تحديد المصطلحات

أولاً : الحصانة :

- عرفها اولاه (Olah , ٢٠٠٥) بأنها: نظام موحد متكامل الأبعاد الشخصية والمعرفية والسلوكية والانفعالية والاجتماعية والبيئية التي تعمل كمصادر مرنة ومقاومة تنمي قدرة الاشخاص ومقاومتهم وحصانتهم نفسياً على تحمل الاجهاد والتهديد والتوتر والضغوط النفسية والجسمية التي تواجهه فهي تعمل كمضادات نفسية من اجل تحمل التوافق والصحة النفسية (Olah, 2005: 31)

- **التعريف النظري** : اعتمدت الباحثة تعريف اولاه (Olah, ٢٠٠٥) الحصانة النفسية لأن نظرية (Olah) هي النظرية التي اعتمدتها الباحثة في البحث الحالي وفي مقياس الحصانة.

- **التعريف الاجرائي** : بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب (الطالبة) من خلال اجابتها على مقياس الحصانة الذي سيستخدم في البحث الحالية.

ثانياً : طالبات قسم رياض الاطفال : الطالبات اللواتي تم اكمالهن الدراسة الاعدادية ، وانخرطن في صفوف الجامعة ، لاستكمال دراستهم الأكاديمية ، بتخصص رياض الاطفال، ومساعدتهم وتوجيههم ليصبحن مستعدات الممارسة مهنة معلمة الروضة بشكل مناسب في المستقبل. (دليل كلية التربية للبنات، ٢٠١٢ : ٢٠١٣).

الفصل الثاني / إطار نظري و دراسات سابقة / المحور الاول : إطار نظري

النظرية التي فسرت مفهوم الحصانة :

نظرية أولاه (Olah, 2005): تُعد نظرية أولاه (Olah) من النظريات التي اهتمت بتفسير مفهوم الحصانة النفسية، وقد ظهرت ملامحها الأولى في عام (١٩٩٥)، إذ قدم أولاه تصوراً للحصانة النفسية بوصفها منظومة من الأبعاد والقدرات التي يمتلكها الفرد وتساعد في التعامل مع الضغوط والمواقف الصعبة التي قد تواجهه في حياته. ويرى أولاه أن الحصانة النفسية تستند إلى مجموعة من الأبعاد المتداخلة، تتمثل في الأبعاد المعرفية والسلوكية والانفعالية والاجتماعية والدافعية والشخصية والبيئية والنفسية. وتعمل هذه الأبعاد بصورة مترابطة على مساعدة الفرد في مقاومة آثار التوتر، ودعم نموه النفسي والجسمي، وتعزيز قدرته على مواجهة الظروف والمؤثرات الخارجية التي قد تؤثر في استقراره النفسي (Olah, 1995: 221).

ويشير أولاه إلى أن الضغوط التي يتعرض لها الإنسان ترتبط بصورة وثيقة بصحته النفسية، وأن امتلاكه لمجموعة من الموارد والخصائص الإيجابية يمثل عاملاً مهماً في بناء شخصيته وتعزيز قوتها وقدرتها على مواجهة الظروف الصعبة. كما يؤكد أن وجود الخبرات والعوامل الإيجابية في حياة الفرد، ومنحها مساحة مناسبة ضمن حياته اليومية، يسهم في دعم صحته النفسية، الأمر الذي ينعكس بصورة إيجابية على مستوى المناعة والحصانة النفسية لديه (Olah, 1998: 38).

كما يؤكد أولاه أن الحصانة النفسية لا يمكن أن تعتمد على بُعد واحد أو مجموعة محدودة من أبعاد الشخصية، وإنما ينبغي التعامل معها بوصفها منظومة نفسية إيجابية متكاملة ومترابطة. ويرجع ذلك إلى أن شخصية الفرد تتكون من مجموعة من الجوانب والخصائص التي تتفاعل فيما بينها، ولذلك فإن مواجهة التهديدات والمحن والأزمات والمواقف الصادمة والضاغطة تتطلب تضافر هذه الجوانب بصورة متكاملة. فتعرض الفرد بصورة مستمرة للشدائد والضغوط قد يستنزف طاقته النفسية وقدرته على المقاومة،

في حين أن تكامل أبعاد الحصانة النفسية يسهم في تعزيز قدرته على الصمود والتعامل مع هذه الظروف (Olah, 2004: 223).

ويبين أولاه أن التكامل بين مكونات الحصانة النفسية يمنح الفرد قدرة أكبر على تحمل الآثار الناتجة عن الضغوط والتوترات المختلفة، كما يساعده على الاستفادة من الخبرات التي يكتسبها من المواقف السابقة وتوظيفها في بناء قدراته على المقاومة النفسية. ومن ثم تصبح الخبرة السابقة مصدراً لتطوير آليات التكيف والمواجهة، بما يساعد الفرد على تكوين قدر من الوقاية والحماية النفسية عند تعرضه للضغوط الداخلية والخارجية التي قد تعوق تحقيق أهدافه أو تؤثر في مسار حياته (Olah, 2006: 371).

ويرى أولاه أن الحصانة النفسية تبدأ في التشكل منذ المراحل المبكرة من حياة الفرد، ولا سيما خلال مرحلة الطفولة، ثم تستمر في النمو والتطور بصورة تدريجية تبعاً للخبرات التي يمر بها الفرد والتعزيزات التي يتلقاها من البيئة المحيطة به. وتشمل هذه التعزيزات الجوانب المادية والمعنوية والأسرية والمجتمعية، والتي يمكن أن تسهم في بناء الموارد النفسية للفرد وتؤثر في نمو شخصيته خلال المراحل العمرية اللاحقة. ومن هذا المنطلق، ينظر أولاه إلى البيئة باعتبارها عاملاً أساسياً في نشأة الحصانة النفسية وتطورها، لما توفره من خبرات وعلاقات ومصادر دعم يمكن أن تتحول إلى قوة داخلية تساعد الفرد على مواجهة المواقف الصعبة (Olah, 1995: 222).

مجالات نظرية الحصانة عند أولاه

أشار أولاه إلى أن نظرية الحصانة النفسية تتكون من ثلاثة مجالات أساسية، وهي: أولاً: مجال الاعتقادات:

ويتمثل في مستوى ثقة الفرد ببيئته، ومدى اعتقاده بقدرته وإمكاناته على التأثير فيها.

ثانياً: المجال التنفيذي والأخلاقي والرقابة:

ويشير إلى قابلية الفرد وقدرته على العمل بصورة مؤثرة وفاعلة في البيئة التي يعيش فيها.

ثالثاً: مجال تنظيم الذات:

ويتمثل في قابلية الفرد وقدرته على التغير والتكيف مع المتطلبات والظروف التي تفرضها البيئة المحيطة به.

المحور الثاني : دراسات سابقة

دراسات سابقة تناولت الحصانة :

- مصلح(٢٠٢٤) : التفكير الإيجابي وعلاقته بالحصانة النفسية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى كل من التفكير الإيجابي والحصانة النفسية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، والكشف عن طبيعة العلاقة بين التفكير الإيجابي والحصانة النفسية لديهم. كما سعت الدراسة إلى التعرف على الفروق في مستوى كل من التفكير الإيجابي والحصانة النفسية تبعاً لعدد من المتغيرات، وهي: الجنس، والجامعة، ومكان السكن، والدرجة العلمية، والمستوى الدراسي، والتخصص.

تكونت عينة الدراسة من (٢٠٢) طالباً وطالبة من طلبة الجامعة العربية الأمريكية، وجامعة دار الكلمة، وجامعة فلسطين التقنية - خضوري، وقد جرى اختيار أفراد العينة بطريقة عشوائية. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، واستخدمت استبانتين لقياس متغيري الدراسة، تمثلتا في استبانة التفكير الإيجابي واستبانة الحصانة النفسية.

أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى التفكير الإيجابي والحصانة النفسية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية جاء بدرجة مرتفعة. كما كشفت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية بين التفكير الإيجابي والحصانة النفسية لدى أفراد العينة.

وفيما يتعلق بالفروق، أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التفكير الإيجابي تعزى إلى متغيرات الجامعة، والجنس، والدرجة العلمية، والمستوى الدراسي، والتخصص، في حين تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى

التفكير الإيجابي تعزى إلى متغير مكان السكن، وجاءت الفروق لصالح الطلبة المقيمين في المدينة والقرية.

أما فيما يخص الحصانة النفسية، فقد أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستواها لدى طلبة الجامعات الفلسطينية تعزى إلى متغيرات الجامعة، والجنس، ومكان السكن، والدرجة العلمية، والمستوى الدراسي، والتخصص.

وتشير نتائج الدراسة بصورة عامة إلى أن ارتفاع مستوى التفكير الإيجابي لدى طلبة الجامعات الفلسطينية يرتبط بارتفاع مستوى الحصانة النفسية لديهم، الأمر الذي يعكس أهمية التفكير الإيجابي في تعزيز الجوانب النفسية الإيجابية لدى طلبة الجامعات.

- المبروك (٢٠٢٥) : الحصانة النفسية لدى طلبة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية وعلاقتها ببعض المتغيرات

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الحصانة النفسية لدى طلبة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، والكشف عن الفروق في مستوى الحصانة النفسية تبعاً لمتغيري النوع والكلية. وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٠) طالب وطالبة، وقد استخدمت الباحثة مقياس الحصانة النفسية من إعداد انتصار حكيم محمود (٢٠٢٢م)، والذي يتكون من (٢٨) فقرة.

أظهرت نتائج الدراسة أن أفراد العينة يتمتعون بمستوى مرتفع من الحصانة النفسية بصورة عامة. كما كشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) بين الذكور والإناث في مستوى الحصانة النفسية، وجاءت هذه الفروق لصالح الذكور.

كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠.٠١) في مستوى الحصانة النفسية تعزى إلى متغير الكلية. وقد تبين أن طلبة كلية الشريعة والقانون الإسلامي وكلية الدراسات الإسلامية للبنات يتمتعون بمستوى أعلى من الحصانة النفسية مقارنة بطلبة كلية اللغة العربية وكلية أصول الدين للبنات.

وتشير هذه النتائج بصورة عامة إلى ارتفاع مستوى الحصانة النفسية لدى طلبة الجامعة، مع وجود تباين في هذا المستوى تبعاً لبعض المتغيرات الديموغرافية والأكاديمية، ولا سيما النوع والكلية.

الفصل الثالث / منهجية البحث وإجراءاته

أولاً / منهجية البحث : يهدف البحث الحالي إلى التعرف على الحصانة طالبات قسم رياض الاطفال، لذا اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي الارتباطي للبحث الحالي.

ثانياً / مجتمع البحث : ويتمثل بطالبات قسم رياض الاطفال للعام الدراسي (٢٠٢٥ / ٢٠٢٦)، في كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية، والبالغ عددهن (٤٠١) طالبة للدراسة الصباحية والمساءية ويتوزعن على اربعة مراحل، والجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١) توزيع افراد مجتمع البحث

المرحلة	الاولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	المجموع
عدد الطالبات للدراسة الصباحية	١٩	٢٥	١٢٥	١٢٦	٢٩٥
عدد الطالبات للدراسة المسائية	١٠	١٩	٣١	٤٦	١٠٦
المجموع	٢٩	٤٤	١٥٦	١٧٢	٤٠١

ثالثاً / عينة البحث : وتتمثل عينة البحث الحالي بالمرحلة الدراسية الاربع لطالبات قسم رياض الاطفال في كلية التربية الاساسية الجامعة المستنصرية، وبلغ حجم العينة (١٠٠) طالبة، وتم اختيار العينة بالطريقة العشوائية لتطبيق المقياس.

رابعاً / اداة البحث: وتحقيقاً لاهداف البحث قامت الباحثة ببناء اداة لقياس متغير البحث الحالي :

-مقياس الحصانة : بعد اطلاع الباحثة على مجموعة من المقاييس في الدراسات السابقة ونظرية أولاه (Olah, 2005) والتي تبنتها الباحثة، ساعدت كثيراً في بناء المقياس، وتمكنت الباحثة من صياغة (٢٣) فقرة وزعت على ثلاثة مجالات (مجال الاعتقادات، المجال التنفيذي، مجال تنظيم الذات)، وقد بلغ عدد فقرات مجال الاعتقادات (٧) فقرات، والمجال التنفيذي (٩) فقرات، ومجال تنظيم الذات (٧) فقرات،

وضعت لها بدائل (تطبق علي بدرجة كبيرة جدا، تنطبق علي بدرجة كبيرة، تنطبق علي بدرجة معتدلة، تنطبق علي بدرجة قليلة، لا تنطبق علي)، وبدرجات (١،٢،٣،٤،٥) على التوالي.

صدق المقياس : وقد تحققت الباحثة من صدق المقياس على النحو الاتي :

- **الصدق الظاهري:** قامت الباحثة بعرض المقياس بصورته الاولية والبالغ (٢٣) فقرة على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال العلوم النفسية والتربوية ورياض الاطفال والقياس التربوي من اجل التعرف على مدى صلاحية فقرات المقياس، وقد بلغ عددهم (١٥) محكما، مع التعريف بالمتغير ومجالاته الثلاثة، وذلك لاصدار حكمهم وبيان مدى ملائمة التعريف لمتغير البحث الحالي وصلاحية الفقرات وسلامة صياغتها ووضوحها للمجال الذي وضعت من اجله ومدى ارتباطها بالمقياس واجراء التعديلات اللازمة، وفي ضوء مناقشة وتوجيهات الخبراء حول فقرات المقياس تم قبول جميع الفقرات كونها حصلت على نسبة اتفاق (٨٠٪)، وسيتم تحليلها احصائيا لحساب قوتها التمييزية ومعاملات صدقها وثباتها.

تصحيح مقياس الحصانة: تم اعتماد التدرج الخماسي ببدايل متدرجة وهي (تنطبق علي بدرجة كبيرة جدا، تنطبق علي بدرجة كبيرة، تنطبق علي بدرجة معتدلة، تنطبق علي بدرجة قليلة، لا تنطبق علي)، وبدرجات (١،٢،٣،٤،٥) على التوالي، والجدول (٢) يوضح ذلك.

الجدول (٢) تقدير بدائل درجات مقياس الحصانة النفسية

لا تنطبق ع	تنطبق علي بدرجة قليلة	تنطبق علي بدرجة معتدلة	تنطبق علي بدرجة كبيرة	تنطبق علي بدرجة كبيرة جدا
١ درجة	٢ درجة	٣ درجات	٤ درجات	٥ درجات

- **التحليل الاحصائي لفقرات مقياس الحصانة :**

١- **معامل تمييز الفقرات:** وللتحقق من معامل تمييز الفقرات تم تطبيق المقياس على عينة البحث البالغة (١٠٠) طالبة، ثم حسبت الدرجة الكلية لكل استمارة وترتيبها من اعلى الى ادنى درجة، وبلغ عدد افراد المجموعة العليا (٢٧) والمجموعة الدنيا (٢٧)، ثم

استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لحساب القوة التمييزية، وكانت النتائج ان الفقرة (٢) غير مميزة، كما يتضح في الجدول (٣).

الجدول (٣) معامل تمييز الفقرات

القيمة الجدولية	القيمة التائية المحسوبة	المجموعة الدنيا		المجموعة العليا		ت الفقرات
		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
2.006	4.104	1.299	3.926	0.192	4.963	1
2.006	1.344	0.784	3.000	1.366	3.407	2
2.006	2.915	0.971	2.593	1.252	3.481	3
2.006	6.963	0.884	3.630	0.320	4.889	4
2.006	7.256	0.641	3.889	0.320	4.889	5
2.006	7.352	0.869	3.704	0.192	4.963	6
2.006	7.211	0.801	3.889	0.000	5.000	7
2.006	7.148	1.050	3.556	0.000	5.000	8
2.006	10.219	0.764	3.259	0.320	4.889	9
2.006	7.841	0.747	3.593	0.424	4.889	10
2.006	6.945	0.879	3.185	0.629	4.630	11
2.006	8.479	0.792	3.370	0.396	4.815	12
2.006	9.539	0.734	3.333	0.424	4.889	13
2.006	11.419	0.742	3.370	0.000	5.000	14
2.006	10.898	0.698	3.444	0.192	4.963	15
2.006	11.580	0.698	3.444	0.000	5.000	16
2.006	10.000	0.577	3.889	0.000	5.000	17

2.006	10.935	0.641	3.556	0.192	4.963	18
2.006	8.308	0.718	3.852	0.000	5.000	19
2.006	9.987	0.784	3.333	0.267	4.926	20
2.006	7.430	0.734	3.333	0.656	4.741	21
2.006	7.285	0.718	3.852	0.267	4.926	22
2.006	9.067	0.616	3.926	0.000	5.000	23

* القيمة التائية الجدولية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجة حرية (٥٢) تساوي (٢.٠٠٦)

٢- ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس: لحساب ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس استخدمت الباحثة معامل ارتباط بيرسون، وكانت النتائج كما موضح في الجدول (٤).

الجدول (٤) قيم معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس

الفقرة	معامل الارتباط بالدرجة الكلية (r)	الحكم
1	0.447	دالة
2	0.083	غير دالة - تُستبعد
3	0.221	دالة
4	0.554	دالة
5	0.626	دالة
6	0.583	دالة
7	0.704	دالة
8	0.715	دالة
9	0.747	دالة
10	0.723	دالة
11	0.539	دالة

دالة	0.618	12
دالة	0.734	13
دالة	0.790	14
دالة	0.753	15
دالة	0.797	16
دالة	0.723	17
دالة	0.734	18
دالة	0.716	19
دالة	0.729	20
دالة	0.527	21
دالة	0.677	22
دالة	0.707	23

٣- ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه: ولحساب ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه استخدمت الباحثة معامل ارتباط بيرسون، وكانت النتائج كما موضح في الجدول (٥).

الجدول (٥) قيم معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه

المجال	ت	معامل الارتباط	ملاحظة
مجال الاعتقادات	1	0.439	دال إحصائياً
	2	0.561	سقطت في التمييز
	3	0.476	دال إحصائياً
	4	0.473	دال إحصائياً
	5	0.501	دال إحصائياً
	6	0.558	دال إحصائياً

دال إحصائياً	0.541	7	
دال إحصائياً	0.716	1	المجال التنفيذي
دال إحصائياً	0.772	2	
دال إحصائياً	0.724	3	
دال إحصائياً	0.620	4	
دال إحصائياً	0.672	5	
دال إحصائياً	0.775	6	
دال إحصائياً	0.792	7	
دال إحصائياً	0.754	8	
دال إحصائياً	0.787	9	
دال إحصائياً	0.722	1	مجال تنظيم الذات
دال إحصائياً	0.775	2	
دال إحصائياً	0.745	3	
دال إحصائياً	0.785	4	
دال إحصائياً	0.609	5	
دال إحصائياً	0.738	6	
دال إحصائياً	0.705	7	

٤- علاقة المجالات ببعضها وبالدرجة الكلية للمقياس : استخدمت الباحثة معامل ارتباط بيرسون وكانت النتائج كما موضح في الجدول (٦).

الجدول (٦) قيم معامل ارتباط مجالات مقياس الحصانة فيما بينها

اسم المجال	مجال الاعتقادات	المجال التنفيذي	مجال تنظيم الذات	الكلية
مجال الاعتقادات	١.٠٠٠			٠.٧٦٥
المجال التنفيذي	٠.٦٤٦	١.٠٠٠		٠.٩٦٧
مجال تنظيم الذات	٠.٥٤٦	٠.٨٥٣	١.٠٠٠	٠.٩١٦

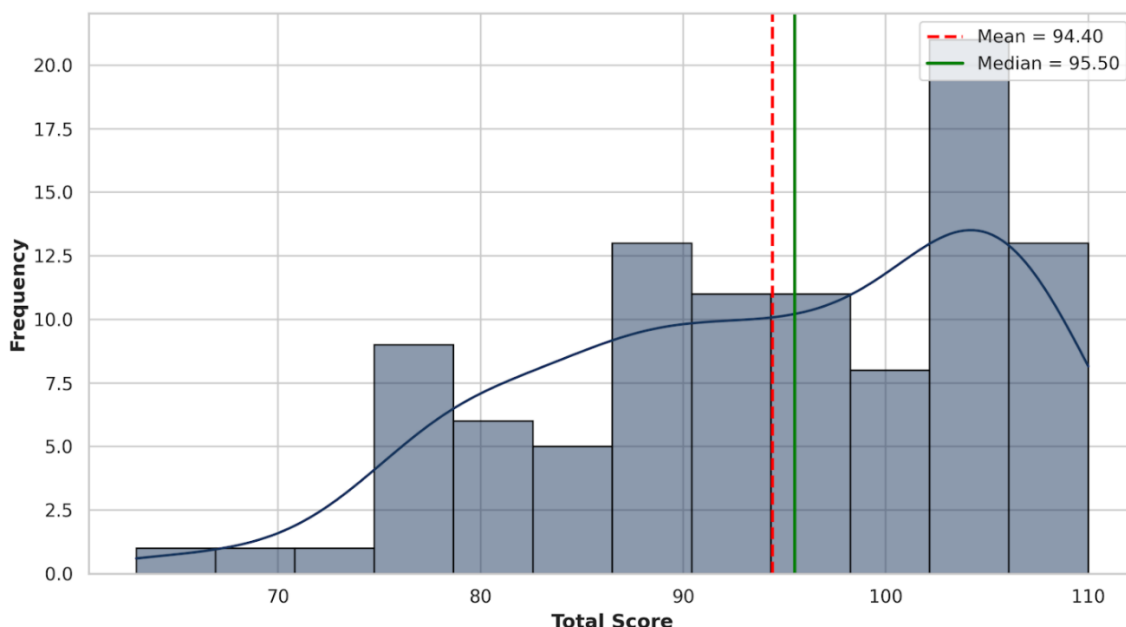
* قيمة معامل ارتباط الجدولية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) وبدرجة حرية (٩٨)

المؤشرات الإحصائية لمقياس الحصانة:

الجدول (٧) المؤشرات الإحصائية لمقياس الحصانة

القيمة	المؤشرات الإحصائية
94.400	المتوسط الحسابي (Mean)
1.106	الخطأ المعياري للمتوسط (Std. Error of Mean)
95.500	الوسيط (Median)
106	المodal (Mode)
11.057	الانحراف المعياري (Std. Deviation)
122.263	التباين (Variance)
-0.517	معامل الالتواء (Skewness)
0.241	الخطأ المعياري للالتواء (Std. Error of Skewness)
-0.606	معامل التفلطح (Kurtosis)
0.478	الخطأ المعياري للتفلطح (Std. Error of Kurtosis)
47	المدى (Range)
63	القيمة الصغرى (Minimum)
110	القيمة العظمى (Maximum)

Distribution of Total Scores for Psychological Immunity Scale (N = 100)



شكل (١)

الخصائص السايكومترية للمقياس: تحققت الباحثة من الخصائص السايكومترية للمقياس من خلال:

١- الصدق: اعتمدت الباحثة على نوعين من الصدق للتحقق من صدق مقياس الحصانة وهما:

أ-الصدق الظاهري:تم التحقق من الصدق الظاهري من خلال عرض المقياس على مجموعة من المحكمين في مجال العلوم التربوية والنفسية ورياض الاطفال، ونتيجة للفحص الظاهري من المحكمين عد الاختبار صادقا

ب- صدق البناء: تحققت الباحثة من صدق البناء من خلال عدة مؤشرات منها تمييز الفقرات، وارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس، وارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي اليه، وارتباط المجالات فيما بينها.

٢- الثبات: لحساب معامل الثبات طبق مقياس الحصانة على عينة البحث وبلغ حجمها (١٠٠) طالبة من قسم رياض الاطفال، ثم استخدمت الباحثة معادلة الفا-كرونباخ اذ بلغ معامل الثبات المحسوب وفقا لهذه الطريقة (٠.٩١٥) وهو معامل ثبات مقبول.

المقياس بصورته النهائية : تكون مقياس الحصانة بصورته النهائية من (٢٢) فقرة، وقامت الباحثة بوضع خمسة بدائل امام كل فقرة من فقرات المقياس، وبعد تحقق الباحثة من خصائص فقرات المقياس وخصائصه السايكومترية اصبح المقياس جاهزا للتطبيق.

خامساً / التطبيق النهائي : قامت الباحثة بتطبيق المقياس على عينة البحث البالغة (١٠٠) طالبة من طالبات قسم رياض الاطفال في كلية التربية الاساسية/الجامعة المستنصرية للعام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦، وبمساعدة التدريسيين في القسم بعد سماحهم باقتطاع جزء من وقت محاضرتهم لغرض تطبيق المقياس.

سادساً / الوسائل الاحصائية : تم استعمال الحقيبة الاحصائية في معالجة البيانات بواسطة برنامج SPSS للتحقق من اهداف ونتائج البحث الحالي.

الفصل الرابع / عرض النتائج وتفسيرها :

هدف البحث الى التعرف على الحصانة لدى طالبات قسم رياض الاطفال: ولتحقيق الهدف الحالي اعتمدت الباحثة الاختبار التائي لعينة واحدة وذلك للكشف عن دلالة الفروق بين متوسط درجات طالبات قسم رياض الاطفال والمتوسط الفرضي لمقياس الحصانة، وقد كانت النتائج كما موضح في الجدول (٨).

الجدول (٨) نتائج دلالة الفرق بين متوسط الدرجات والمتوسط الفرضي للمقياس

مستوى الدلالة ٠.٠٥	القيمة التائية		الوسط الفرضي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة
	الجدولية	المحسوبة				
دالة إحصائياً (p < 0.05)	١.٩٨٤	٢٥.٦٨٥	٦٦.٠٠٠	١١.٠٥٧	٩٤.٤٠٠	١٠٠

يتضح من الجدول (٨) ان القيمة التائية المحسوبة البالغة (٢٥.٦٨٥) اكبر من القيمة التائية الجدولية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) ، مما يدل على وجود فرق دال احصائيا لصالح المتوسط الحسابي للعينة، وتشير هذه النتيجة الى ان طالبات قسم رياض الاطفال يمتلكن مستوى مرتفعا ودالا احصائيا من الحصانة، وتعزو الباحثة سبب ذلك إلى طبيعة الحصانة التي تتكون من مجموعة من الاعتقادات والقدرات التنفيذية ومهارات تنظيم الذات، والتي تساعد الفرد على التعامل مع المواقف الضاغطة والتحديات المختلفة بصورة أكثر فاعلية. فقد يسهم امتلاك الطالبات اعتقادات إيجابية حول قدراتهن وإمكاناتهن في تعزيز شعورهن بالكفاءة والثقة بالنفس، والنظر إلى الصعوبات بوصفها مواقف قابلة للتعامل والمعالجة بدلاً من اعتبارها عوائق تعجزن عن مواجهتها. كما أن المجال التنفيذي للحصانة يرتبط بقدرة الطالبة على تحويل ما تمتلكه من أفكار واتجاهات إلى سلوكيات عملية تساعد على اتخاذ القرارات المناسبة، وحل المشكلات، والاستمرار في أداء واجباتها رغم الصعوبات. أما مجال تنظيم الذات، فيسهم في قدرة الطالبة على ضبط أفكارها وانفعالاتها وسلوكياتها، وتنظيم استجاباتها بما يتلاءم مع متطلبات المواقف المختلفة، الأمر الذي يساعد على المحافظة على توازنها النفسي وعدم الانجراف وراء الاستجابات الانفعالية عند مواجهة الضغوط. وقد تكون طبيعة الحياة الجامعية وما تتضمنه من متطلبات دراسية واجتماعية ومسؤوليات متنوعة قد أسهمت في تنمية هذه القدرات لدى الطالبات، من خلال ما تتيحه من خبرات ومواقف تتطلب التكيف واتخاذ القرار وتحمل المسؤولية.

وعليه، فإن ارتفاع مستوى الحصانة لدى طالبات قسم رياض الأطفال يمكن أن يعكس امتلاكهن منظومة متكاملة من الاعتقادات الإيجابية، والقدرة على ترجمة تلك

الاعتقادات إلى ممارسات سلوكية، فضلاً عن القدرة على تنظيم الذات، مما يساعدهن على مواجهة التحديات الدراسية والحياتية والتكيف معها بصورة أكثر فاعلية.

الاستنتاجات : من خلال النتائج التي توصل اليها البحث الحالي تستنتج الباحثة ما يلي:

ان طالبات قسم رياض الاطفال يمتلكن مستوى مرتفعاً ودالاً احصائياً من الحصانة، وتفسر الباحثة سبب ذلك إلى تكامل مجالات الحصانة الثلاثة في الطالبات؛ فمجال الاعتقادات يساعدهن على تكوين نظرة إيجابية تجاه ذواتهن وقدراتهن، والمجال التنفيذي يساعدهن على تحويل هذه الاعتقادات إلى سلوك وممارسات عملية عند مواجهة المشكلات، في حين يساعد تنظيم الذات على ضبط الأفكار والانفعالات والسلوكيات. وبالتالي فإن تكامل هذه المجالات يمكن أن يمنح الطالبة قدرة أكبر على مواجهة الضغوط والتكيف مع التحديات.

التوصيات : من خلال النتائج التي توصل اليها البحث الحالي توصي الباحثة بمجموعة من التوصيات منها:

١- إدماج موضوع الحصانة ضمن البرامج والمقررات الدراسية في أقسام رياض الأطفال، لما لها من أهمية في تعزيز قدرة الطالبات على التعامل مع الضغوط والتحديات الدراسية والمهنية .

٢- على القائمين في الارشاد النفسي والتوجيه التربوي في الكليات والجامعات تنظيم برامج إرشادية وتدريبية تهدف إلى تنمية الحصانة لدى طالبات قسم رياض الأطفال، مع التركيز على مجالاتها الثلاثة :الاعتقادات، المجال التنفيذي، وتنظيم الذات .

- ٣- تنمية الاعتقادات الإيجابية لدى الطالبات من خلال الأنشطة والبرامج التي تعزز الثقة بالقدرات الشخصية، والتفكير الإيجابي، والنظر إلى المشكلات والتحديات باعتبارها مواقف يمكن التعامل معها والتغلب عليها .
- ٤- على اعضاء الهيئة التدريسية تدريب الطالبات على المهارات التنفيذية التي تساعدن على تحويل الأفكار والاعتقادات الإيجابية إلى سلوك عملي، ولا سيما مهارات اتخاذ القرار، وحل المشكلات، والتخطيط، والمثابرة في مواجهة الصعوبات .
- ٥- الاستفادة من نتائج قياس الحصانة في التعرف على الطالبات اللواتي يحتجن إلى دعم أو برامج إرشادية إضافية، والعمل على تعزيز جوانب القوة لديهن ومعالجة جوانب الضعف .
- ٦- توعية التدريسيين بأهمية الحصانة ودورها في مساعدة الطالبات على التكيف مع المتطلبات الأكاديمية والمواقف الضاغطة، بما يسهم في توفير مناخ تعليمي أكثر دعماً .

المقترحات : في ضوء نتائج البحث الحالي تقترح الباحثة ما يلي :

- إجراء دراسة تجريبية لبناء برنامج لتنمية الحصانة.
- دراسة علاقة الحصانة بالصلابة النفسية والمرونة النفسية والضغط الأكاديمية .
- إجراء دراسة مقارنة للحصانة بين طلبة التخصصات المختلفة .
- دراسة الفروق في الحصانة وفقاً للمرحلة الدراسية والتحصيل الأكاديمي.

المصادر / أولاً : المصادر العربية

- نجاتي ، غني والعمار، خالد (٢٠١٦) : المناعة النفسية وعلاقتها بالتقبل الوالدي لدى عينة من طلبة كلية التربية في جامعة دمشق ، مجلة جامعة البعث

- الحلبي ، حنان (٢٠٢١) : الحصانة النفسية والمساندة الاجتماعية كمنبئات بالتوجه الايجابي نحو المستقبل لدى عينة من طالبات جامعة القصيم ، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية
- سويعد ، ميرفت ياسر (٢٠١٦) : الحصانة النفسية وعلاقتها بقلق المستقبل وجودة الحياة لدى الشباب في مركز الايواء في قطاع غزة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) الجامعة الاسلامية غزة
- عامر إيمان مختار محمود (٢٠٢١) : الإسهام النسبي للمناعة النفسية في التنبؤ بجودة الحياة والاندماج الأكاديمي لدى طالبات الجامعة المصرية للدراسات النفسية.
- عابد القاضي ، بنيان يوسف (٢٠١٩) : الحصانة النفسية وعلاقتها بالإيمان على الانترنت لدى طلبة الجامعة ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية ، العراق
- المبروك، فاطمة حسين عبد الخالق (٢٠٢٥) : الحصانة النفسية لدى طلبة جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية وعلاقتها ببعض المتغيرات، تخصص علم النفس - جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
- مصلح، تمارا عيسى (٢٠٢٤) : التفكير الإيجابي وعلاقته بالحصانة النفسية لدى طلبة الجامعات الفلسطينية، الجامعة العربية الأمريكية
- النواسية ، فاطمة (٢٠١٣) : الضغوط والازمات النفسية واساليب المساندة ، عمان الأردن ، دار المناهج للنشر والتوزيع .
- (دليل كلية التربية للبنات، ٢٠١٢-٢٠١٣).

ثانياً : المصادر الاجنبية

- Masten, A. S. (2014). Ordinary Magic: Resilience in Development. New York: Guilford Press.
- Oláh, Attila. (1995). Anxiety, Coping, and Psychological Immunity. PhD Dissertation, Eötvös Loránd University (ELTE), Budapest, Hungary
- Oláh, Attila. (1995/1996). Psychological Immune System: An Integrated Structure of Coping Potential Dimensions. Paper presented at the 9th Conference .of the European Health Psychology Society, Bergen, Norway
- Oláh, Attila. (2000). Health Protective and Health Promoting Resources in Personality: A Framework for the Measurement of the Psychological Immune System. Paper presented at the Positive Psychology Meeting, Quality of Life .Research Center, Claremont Graduate University, California
- Oláh, Attila. (2002). Positive Traits: Flow and Psychological Immunity. Paper .presented at the First International Positive Psychology Summit, Washington, D.C
- Oláh, Attila. (2004). Psychological Immunity: A New Concept in Coping with .Stress. Applied Psychology in Hungary, 5(6), 149–189
- Oláh, Attila. (2004). Megküzdés és pszichológiai immunitás [Coping and Psychological Immunity]. In Csaba Pléh & Ottó Boross (Eds.), Bevezetés a pszichológiába [Introduction to Psychology] (pp. 631–634). Budapest: Osiris .Kiadó
- Oláh, Attila. (2005). Érzelmek, megküzdés és optimális élmény: Belső világunk megismerésének módszerei [Emotions, Coping and Optimal Experience: Methods .of Understanding Our Inner World]. Budapest: Trefort Kiadó
- Oláh, Attila. (2006). Social Context of the Healthy Personality Development and Psychological Immunity: A Longitudinal Approach. Journal of Personality and .Social Psychology, 5, 615–643

أثر استراتيجية التجسير الثلاثية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط

في مادة الاجتماعيات

أ.م. علي راضي سعد

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

<http://ali.r.saud@uomustansiriyah.edu.iq>

ملخص البحث:

يرمي البحث الحالي إلى معرفة (أثر إستراتيجية التجسير الثلاثية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الاجتماعيات).

لأجل تحقيق هدف البحث يضع الباحث الفرضية الصفرية الآتية :

١ . لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفقاً لاستراتيجية التجسير الثلاثية ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل لبعدي.

اختار الباحث تصميمًا تجريبيًا بمجموعتين واحدة تجريبية والأخرى ضابطة وكوفنت مجموعتي البحث (التجريبية – الضابطة) في المتغيرات (العمر الزمني بالأشهر، درجات نصف السنة) .

اقتصر البحث الحالي على طلاب الصف الثاني المتوسط في (متوسطة طارق بن زياد للبنين) وهي إحدى المدارس التابعة لمدينة بغداد / مديرية تربية الكرخ الثالثة، وتم اختيار شعبتين من شعب الصف الثاني المتوسط مثلت أحدهما المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ على وفق استراتيجية التجسير الثلاثية، والبالغ عدد طلابها (٢٨) طالباً ، ومثلت الثانية المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية والبالغ عددهم (٢٨) طالباً ، وبهذا بلغ عدد أفراد عينة البحث (٥٤) طالباً، و شملت المادة الفصول (الثالث ، الرابع، الخامس) من كتاب الاجتماعيات المقرر تدريسه للعام الدراسي ٢٠٢٥ – ٢٠٢٦م.

اعد الباحث اختبار تحصيلي من نوع الاختيار من متعدد ، تكون من (٣٥) فقرة ، تم التأكد من صدقه وثباته. اظهرت نتائج البحث :

١- تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ على وفق استراتيجية التجسير الثلاثية على طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون مادة التاريخ بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل البعدي .

الكلمات المفتاحية : الاستراتيجية ، التجسير الثلاثية ، التحصيل .

The effect of the three-part bridging strategy on the achievement of second-year intermediate students in social studies .

ASS .Prof. Ali Radhi Saad

Al-Mustansiriyah University / College of Basic Education.

:

Abstract

This research aims to determine the effect of the three-part bridging strategy on the achievement of second-year intermediate students in social studies. To achieve this objective, the researcher formulated the following null hypothesis: 1. There is no statistically significant difference at the 0.05 level between the mean scores of the experimental group students who studied using the three-part bridging strategy and the mean scores of the control group students who studied using the traditional method on the post-test. The researcher chose an experimental design with two groups, one experimental and the other control. The two research groups (experimental and control) were matched on the variables of age in months and mid-year grades. The current research was limited to second-year intermediate students at Tariq Bin Ziyad Intermediate School for Boys, one of the schools affiliated with the Third Karkh Education Directorate in Baghdad. Two classes were selected from the second-year intermediate class. One class represented the experimental group, studying history according to the three-part bridging strategy, and consisted of (28) students. The second class represented the control group, studying the same subject using the traditional method, and also consisted of (28) students. Thus, the total

number of students in the research sample was (54) students. The material covered included chapters (3), (4), and (5) of the social studies textbook prescribed for the 2025-2026 academic year. The researcher prepared a multiple-choice achievement test consisting of (35) items, the validity and reliability of which were confirmed. The research results showed: 1- The students in the experimental group studying history according to the three-part bridging strategy outperformed the students in the control group studying history using the traditional method in the post-test achievement test.

Keywords: strategy, the three-part bridging ,achievement .

الفصل الاول

أولاً: مشكلة البحث :

أن الاتجاه السائد في تدريس اغلب المواد الدراسية استعمال الطرائق التي تؤكد الجانب النظري وقلة أسهام الطلبة وتفاعلهم في المواقف التعليمية مما يؤدي إلى ضعف مستواهم الدراسي ولقد أشارت كثير من الدراسات ونتائج البحوث العلمية إلى ضعف فاعلية الطريقة التدريسية التقليدية التي ركزت على حفظ المعلومات واسترجاعها أكثر من تركيزها على الطلبة وإيجابيتهم في عملية التعليم واقتصار دور المدرس على عرض المادة بهذه الطريقة التي تضمنها الكتاب المدرسي .(إبراهيم ،٢٠٠٤، ص٢) وبما إن مادة التاريخ احد المواد الدراسية التي يواجه تدريسها كثير من المشاكل من حيث محتواها بما يتضمنه من مفاهيم وحقائق يصعب فهمها إذا ما قدمت بصورة مجردة ، لأنها تتسم بالبعد المكاني والزمني، وتدرسها قائم على الطريقة التقليدية التي تعتمد على الحفظ والاستظهار، والدور الأكبر فيها على المدرس، أما الطلبة فهم

متلقون لما يقوله مما أدى إلى قلة مشاركة الطلبة وضعف تفكيرهم وتحصيلهم الدراسي.
(الجمال: ٢٠٠٥، ٢٥)

لذا لابد من مراجعة طرائق تدريس التاريخ والأخذ بالطرائق التربوية الحديثة
المبنية على طبيعة الطلبة وحاجاتهم النفسية والتعليمية كي يشاركوا مشاركة فعالة في
العملية التعليمية . (الأمين: ٢٠٠٥، ٨٦)

وعليه يمكن تحديد مشكلة البحث الحالي من خلال الإجابة عن السؤال الآتي :
هل لاستراتيجية التجسير الثلاثية أثر في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في
مادة الاجتماعيات ؟
ثانيا - أهمية البحث :

في زمن ثورة المعلوماتية وما رافقها من زيادة كبيرة في تقنيات توليد وتخزين
المعلومات ومعالجتها ، فضلاً عن ظهور شبكة المعلومات العالمية " Internet "
المتاحة للجميع (ألفقي، ٢٠١١: ١٥) ، ظهرت اتجاهات حديثة تنادي بضرورة قيام
العملية التربوية من خلال برامجها ومؤسساتها بمواجهة التغيرات ، ومواكبة مظاهر
التطوير التي يشهدها العالم بوصف التربية مسؤوله عن تأهيل الأجيال لمواجهة تلك
التغيرات (عطية، ٢٠٠٩: ٢٧٤)

فكانت التربية بحق الدافع الاول لولادة ذلك التطور العلمي والتكنولوجي وذلك
من خلال سعيها لأعداد الافراد اعداداً متكاملًا والتفاعل والتكيف مع بيئتهم
ومجتمعهم، فلكل مجتمع اهداف ووسيلة تحقيقها التربية وعليه فإنه من المنطقي ان تشتق
اهداف التربية من اهداف المجتمع وتتسق معها، ووسيلة التربية في تحقيق اهدافها هي
المدرسة بمراحلها الثلاثة. (الوكيل والمفتي، ٢٠٠٥، ١١٦)

والمنهج هو وسيلة التربية ومحتواها لتحقيق أهدافها في النمو الشامل للمتعلم وبناء سلوكه وتعديله لتكوين المواطن الجديد الذي يريده المجتمع ، فالمنهج بهذا يشمل جميع الأنشطة التربوية التعليمية التي تحقق هذا البناء للمواطن من أجل بناء الوطن . (الشبلي ، ٢٠٠٠ : ٥)

والدراسات الاجتماعية تعد ميداناً مهماً من ميادين المعرفة ، ومادة التاريخ احد فروعها التي تنصب على دراسة الماضي في احداثه وافكاره ويستقي الدارسون معلوماتهم التاريخية من الآثار التي خلفها الإنسان التي من خلالها يتم فهم الحاضر وتفسيره والتخطيط للمستقبل . (خضر، ٢٠٠٦، ٣٠)

ودراسة التاريخ تساعد على تقويم الاخلاق والحث على الفضائل وتجنب الرذائل فهو أصلح الدراسات لتعليم الانسان الفضائل الخاصة والعامة وغرس روح البحث في نفوس المتعلمين ،واكسابهم طريقة تفكير تستند الى النقد والمقارنة وتقويم الادلة والبراهين وربط اسباب الحوادث بنتائجها. (الصباغ، ١٩٨١، ١١٢)

ولكي يكون التدريس ناجحاً على المدرس إن يحقق أهدافاً تربوية في المواقف الصفية باستعمال طرائق تدريسية متنوعة لها آثار ايجابية، ورفع مستوى التحصيل وطريقة التدريس الفعالة هي التي تساعد على نمو شخصية الطلبة بجوانبها المختلفة وزيادة قدرتهم في الكشف عن الحقائق والمعلومات.(المغرم ،٢٠٠١،ص١١٦)

إن التنوع في طرائق التدريس واستعمال التقنيات التربوية الحديثة من العوامل المؤثرة في مستوى تحصيل الطلاب المعرفي ومستوى الأداء المهاري والوجدانية و الدافعية للتعلم ، فطرائق التلقين خرجت طلاب شحنت عقولهم بكم لا يستهان به ، من

المعارف وانحسر دور الطالب فيها إلى متلق ومستوعب فمن الطبيعي أن تظهر في الجانب المعرفي ، أما الجوانب المهارية والفكرية والتطبيقية فلم يكن لها حظ ، أما طرائق التدريس التي استغلت ما يمتلكه الطلاب من طاقات ومهارات مثل مستحدثات تكنولوجيا التعليم فكانت مخرجاتها نوعية من الطلاب المبدعين (علي ، وآخرون ، ٢٠١٣: ٢٢).

من هنا كان لابد من استعمال وسائل واستراتيجيات وتقنيات تتلائم ومجريات العصر ، فلم يعد العلم اليوم قاصر على أشخاص في مجال معين، بل أصبح مشاعاً لمن يريد في عصر العولمة ، ويجب أن تتناسب تلك الاستراتيجيات والتقنيات مع خصائص طلاب يعيشون عالم الفضائيات والتقنية الحديثة (المتمثلة في أجهزة الاتصال المتنوعة).

ولعل من ابرز استراتيجيات التدريس الحديثة التي تولي اهتماماً كبيراً بالمتعلم هي (استراتيجية التجسير الثلاثية) تقوم هذه الاستراتيجية على تنشيط التفكير لدى المتعلم وتساعد على تذكر وربط المعلومات السابقة بالجديدة وأيضاً تطور المعرفة لديهم أي قد يكون المفهوم معروف لديهم سابقاً، ولكن بتزويدهم بالمعلومات الجديدة سوف تتسع معرفتهم حول هذا المفهوم. (Ron&Karin,2011:40)

ومن خلال تطبيق استراتيجية التجسير نستطيع أن نخلق بيئة غنية بالمواقف والمهام التعليمية بحيث يتركز اهتمام الطالب بالقراءة والتفكير بعمق الامر الذي يؤدي الى دعم ثقته بنفسه ويجعله قادراً على حل المشكلات واتخاذ القرارات فضلاً عن اكسابه مهارات التعاون والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين . (بدير، ٢٠٠٧: ٣٦)

تهدف استراتيجية التجسير الثلاثية الى اكساب المتعلمين مهارات التفكير العليا ودعم الثقة بالنفس نحو ميادين المعرفة المتنوعة وأيضا تشجع على طرح الأسئلة وقياس قدره المتعلم على بناء أفكار جديدة وتحثهم على التعلم الذاتي أي أن يعلموا أنفسهم بنفسهم. (الشمرى، ٢٠١٠: ٥٨)

وأصبح الاهتمام بالتحصيل هدفاً من اهداف التربية والتعليم لأهميته في حياة المتعلم ومعياراً اساسياً يتم بموجبه تقدمه في دراسته وحياته الاجتماعية ومن اكثر الحوافز الانسانية ارتباطاً بالتعلم.

ثالثاً :- هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على: أثر إستراتيجية التجسير الثلاثية في تحصيل طلاب الصف الثاني متوسط في مادة الاجتماعيات .

رابعاً: فرضية البحث :

لتحقيق هدف البحث وضع الباحث الفرضية الصفرية الآتية:

١- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة الاجتماعيات على وفق إستراتيجية التجسير الثلاثية , وبين متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة التقليدية في اختبار التحصيل .

خامساً:- حدود البحث :

يقتصر البحث على:-

١- طلاب الصف الثاني المتوسط في إحدى مدارس المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ / الثالثة.

٢- الفصول (الثالث ،الرابع ، الخامس) من كتاب مادة الاجتماعيات المقرر تدريسه للصف الثاني المتوسط ، الطبعة ١ ، ٢٠١٨م.

٣- الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (٢٠٢٥-٢٠٢٦م).
سادساً : تحديد المصطلحات :

أولاً : استراتيجية التجسير الثلاثية : عرفها كل من :

(١) (سعادة واخرون،٢٠٠٦): هي استراتيجية تدريس تعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الإيجابية للمتعلم والتي من خلالها يقوم ببناء أفكار جديده وتكوين أسئلة متنوعة وإعطاء امثله عن المفهوم الذي يدرس له. (سعادة واخرون،٢٠٠٦: ٣٣)

(٢) (Ron,Karin,2011) :هي من الاستراتيجيات التي تنشط التفكير لدى المتعلمين تساعد على تذكر وربط المعلومات السابقة بالحالية وتطور المعرفة لديهم.
(Ron,Karin,2011:40)

التعريف الإجرائي: استراتيجية تعليمية تعليمية تتضمن عدد من الخطوات اتبعها الباحث في تدريس موضوعات ماده الاجتماعيات للفصول (الثالث ،الرابع ، الخامس) منها تكوين أفكار، طرح اسئلة، إعطاء امثله، وذلك على وفق الخطط التي أعدها الباحث لهذا الاجراء.

ثانياً : التحصيل: عرفه كل من :

١- (اللقاني والجمال ١٩٩٩) بأنه :مدى استيعاب الطلبة لما تعلموه من خبرات معينة من خلال ما درسه ,ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها الطلبة في الاختبارات التحصيلية المعدة لهذا الغرض. (اللقاني والجمال، ١٩٩٩: ٥٨)

٢- (علام ٢٠٠٧) بأنه :درجة الاكتساب التي يحققها الفرد او مستوى النجاح الذي يحرزه او يصل اليه في مادة دراسية او مجال تعليمي او تدريسي معين. (علام، ٢٠٠٧: ١٢٢)

التعريف الاجرائي للتحصيل:

(مقدار ما يحصل عليه طلاب عينة البحث من معلومات وخبرات في الاختبار التحصيلي الذي أعده الباحث مقاساً بالدرجات بعد دراستهم مادة الاجتماعيات خلال مدة التجربة).

الفصل الثاني

الخلفية النظرية والدراسات السابقة

أولاً: الخلفية النظرية

استراتيجية التجسير الثلاثية

تعد استراتيجية التجسير أداة لتقويم تعلم المتعلمين لمادة علم الاجتماع والتي تقوم على التفاعل والمشاركة الإيجابية بين الاقران وتشجعهم على التفكير والفهم عن طريق الحوار المستند الى المعرفة والخبرات المسبقة، فالتجسير الثلاثية في تعليم علم

الاجتماع تساعد المتعلمين على دمج الفكرة السابقة بالحالية.
(Ron&Karin:2011,41)

تقوم استراتيجية التجسير على أساس أن سلوك المتعلم محكوم ببنائه المعرفي أي ان ما لديه من معلومات وخبرات سابقة تؤثر بشكل كبير فيما يمكن ان يضاف إليه من معلومات وخبرات جديدة. (عطية، ٢٠٠٩: ٢٥٥)

إنّ الطلبة الذين يدخلون الى المدارس ولديهم من المعلومات والخبرات السابقة هو ما يحتاجه المدرس ومن الخطأ اعتبار أن عقل المتعلم فارغ ولا يحتوي على خبرات ومعلومات سابقة، وما نحتاجه كمدرسين هو البدء في عملية التعلم من الصفر لبناء مفاهيم جديده لأنها ترتبط بالمفاهيم أو الخبرات القديمة الموجودة أصلا في عقل المتعلم وقد يكونان هذين المفهومين (القديم والجديد) مختلفين تماما، وأصبح من الضروري من وجهة نظر الباحثة ان نأخذ المعرفة المسبقة لدى المتعلم في الاعتبار وأن تكون أساس يبنى من خلالها الخبرات الجديدة لتحقيق نتائج أفضل في اكتساب المفهوم .

الغرض من استراتيجية التجسير:

تتطلب هذه الاستراتيجية من المتعلمين ان يفصحوا عن الأفكار والتساؤلات والفهم عن موضوع معين وأن يقوموا بعد ذلك بربط هذه جميعاً مع تفكير جديد عن الموضوع نفسه بعد ان يتلقوا التدريس أو التعليم. (Ron,Karin,2011:41)

أهمية استراتيجية التجسير: -

١-تتمي الثقة بالنفس والقدرة على التعبير عن الرأي.

٢- تعزز روح المسؤولية والمبادئ لدى المتعلمين.

٣- تنمي الدافعية في اتقان التعلم.

٤- تشجع على التعلم التعاوني.

٥- تساعد في إيجاد التفاعل والتشارك الإيجابي بين المتعلمين.

٦- تنمي العلاقات الاجتماعية بين المتعلمين بعضهم مع بعض وبين المتعلم والمدرس.

(الشمري، ٢٠١٠: ٥٩)

أهداف استراتيجية التجسير: -

١- اكساب المتعلمين مهارات التفكير العديدة.

٢- تشجع المتعلمين على طرح الأسئلة.

٣- قياس قدرة المتعلمين على بناء أفكار جديدة وتنظيمها.

٤- تشجع المتعلمين على حل المشكلات.

٥- تشجع على التعلم الذاتي (ان يعلموا أنفسهم بأنفسهم)

٦- اكساب المتعلمين مهارات التفاعل والتواصل مع اقرانهم وزملائهم.

(الشمري، ٢٠١٠: ٥٨)

خطوات التدريس باستخدام استراتيجية التجسير الثلاثية:

أولاً: -يقوم الطلبة بنشاط تفكير ابتدائي مكتوب بالخطوات ١-٢-٣

Words 3 كتابة ثلاث كلمات عن الموضوع.

٢ questions كتابة اسئلة عدد ٢ عن الموضوع.

١ Analogy إعطاء مثال او تشبيه عن الموضوع.

ثانياً: -قراءة الموضوع.

ثالثاً: -يعيدون نشاط التفكير ذي الثلاث خطوات ١-٢-٣ تنازلياً

كتابة ٣ كلمات عن الموضوع.

كتابة أسئلة عدد ٢ عن الموضوع.

إعطاء مثال ١ عن الموضوع.

رابعاً: -يقوم الطلبة بالتشارك في هذه الخطوات ويأتون بتفكير جديد ويفسرون سبب تغيير تفكيرهم الى تفكير جديد الى زملائهم. (Ron,Karin:2011:40)

دور الطالب في استراتيجية التجسير

١-يمارس انشطه تعليميه متنوعة مثل تدوين الأفكار وطرح الأسئلة وإعطاء امثله.

٢-يشترك مع زملائه في تعاون وتواصل اجتماعي.

٣-يشارك في تقويم ذاته.

٤-يتبع الأسلوب العلمي في التفكير وحل المشكلات.

٥-يكون مشارك ومنفذ للدروس بإيجابيه وتفاعل.

٦- يبحث عن المعلومة بنفسه من خلال التفكير.

٧- يطرح أسئلة وأفكار جديدة. (سعادة وآخرون، ٢٠٠٦: ٥٤)

دور المدرس في استراتيجية التجسير: -

١- يطلب من المتعلمين القيام بنشاط تفكير ابتدائي.

٢- يوزع أوراق العمل على المتعلمين.

٣- يطلب من المتعلمين قراءة الموضوع بتركيز.

٤- يشجع المتعلمين على التعاون بينهم ويكون موجه ومرشد وميسر للعملية التعليمية.

٥- يعمل على زيادة دافعية المتعلمين للتعلم.

٦- يربط التدريس ببيئة المتعلمين وخبراتهم السابقة.

٧- يقدم المساعدة الضرورية للمتعلمين. (عقيل، ٢٠١٢: ٤٠)

ثانيا: الدراسات السابقة

١- دراسة (شنيج ، ٢٠١٨)

هدفت الدراسة الى تعرف "أثر استراتيجية التجسير الثلاثية في اكتساب مفاهيم مادة علم الاجتماع لدى طالبات الصف الرابع الأدبي" وللتحقق من هدف البحث صيغت الفرضية الصفرية الآتية: -

لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية اللواتي درسن باستراتيجية التجسير الثلاثية في اكتساب المفاهيم لمادة علم الاجتماع ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن بالطريقة الاعتيادية لمادة علم الاجتماع في اكتساب المفاهيم.

اعتمدت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي للمجموعتين (التجريبية والضابطة) ذات الاختبار البعدي، اختارت الباحثة قصدياً عينة من طالبات الصف الرابع الادبي من مدرسة الاسكندرونه للبنات التابعة للمديرية العامة لتربية بغداد /الرصافة الثانية، للعام الدراسي (٢٠١٧ - ٢٠١٨) الفصل الدراسي الثاني ،بلغت عينة الدراسة (٨٧) طالبة ، ضمت المجموعة التجريبية (٤٤) طالبة، والمجموعة الضابطة (٤٣) طالبة ،تم اختيار شعبة (أ) وبصوره عشوائية لتمثل المجموعة التجريبية ،وشعبة (ب) المجموعة الضابطة .

وبهدف اجراء التجربة حددت الباحثة(١٣) مفهوماً في الفصول (الخامس والسادس والسابع والثامن) من كتاب علم الاجتماع المقرر تدريسه للصف الرابع الادبي.

وأعدت الباحثة اختبار اكتساب المفاهيم، فبلغ عدد فقراته(٣٩) فقره ، تم التحقق من صدقه وثباته، وتمت معالجة البيانات إحصائياً باستعمال الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين، وقد أظهرت النتائج :

وجود فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) لصالح المجموعة التجريبية اللواتي درسن مادة علم الاجتماع باستراتيجية التجسير الثلاثية على طالبات المجموعة الضابطة اللواتي درسن مادة علم الاجتماع بالطريقة الاعتيادية، وفي ضوء نتائج الدراسة خرجت الباحثة بعدد من الاستنتاجات والتوصيات . (شنيج ، ٢٠١٨: ٢٠ - ر)

جوانب الإفادة من دراسات سابقة :

- ١- تحديد المنهج المتبع في الدراسة الحالية واختيار العينة .
- ٢- تحديد أبعاد المشكلة وتحديد الأهداف والتصميم التجريبي الملائم .
- ٣- الإفادة في الجوانب النظرية المتعلقة بمتغيرات البحث .
- ٤- الاطلاع على الوسائل الإحصائية والاستفادة منها في اختيار الوسائل الإحصائية المناسبة لهذه الدراسة.

الفصل الثالث :

يتناول الباحث في هذا الفصل عرضاً لمنهج البحث وإجراءاته المتمثلة باختيار التصميم التجريبي ، وتحديد مجتمع البحث وعينته ، وتكافؤ المجموعتين ، وضبط المتغيرات الدخيلة ، وتحديد متطلبات البحث ، وأداتي البحث ، وإجراءات تطبيقهما ، والوسائل الإحصائية المستعملة في معالجة البيانات ، وعلى النحو الآتي :-

أولاً: منهج البحث

اتبع الباحث المنهج التجريبي لتحقيق أهداف بحثه لأنه منهج ملائم لإجراءات البحث ، ويتمثل في اختيار التصميم المناسب ، وتحديد مجتمع البحث وعينته ، وتكافؤ المجموعتين ، وضبط المتغيرات الدخيلة ، وتحديد متطلبات البحث ، وأداتي البحث ، وإجراءات تطبيقهما ، والوسائل الإحصائية المستعملة في معالجة البيانات .

١- التصميم التجريبي

يعد التصميم التجريبي الهيكل الأساسي في كل بحث لأنه الأساس الذي يستند إليه البحث يحتاج الباحث إلى مهارة عالية في اختيار التصميم لبحثه

(الجابري، ٢٠١١ : ٣٢٣)، واعتمد الباحث التصميم التجريبي الضبط ذا الضبط الجزئي (مجموعتين احدهما تجريبية والأخرى ضابطة)، وهو ملائم لظروف البحث فجاء التصميم كما في الشكل الاتي :

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع	اداة البحث
التجريبية	إستراتيجية التجسير الثلاثية	التحصيل	اختبار تحصيلي بعدي
الضابطة	—		

شكل (١)

التصميم البحث التجريبي

ثانيا: مجتمع البحث

ويقصد بمجتمع البحث "جميع الافراد أو الأشياء أو الأشخاص الذين يشكلون موضوع مشكلة الدراسة" (عباس وآخرون ، ٢٠٠٩ : ٢١٧).

حُدّد مجتمع البحث بطلاب الصف الثاني المتوسط في مديرية تربية بغداد /الكرخ الثالثة الدراسة الصباحية للبنين للعام الدراسي ٢٠٢٥ - ٢٠٢٦. وفي المدارس (المتوسطة ،الثانوية) الحكومية.

ثالثا: عينة البحث

قام الباحث بزيارة العديد من المدارس المتوسطة والثانوية، واطلع على الإمكانيات المتوفرة فيها لإجراء التجربة، فاختار بصورة قصدية متوسطة (طارق بن زياد) لتكون عينة بحثه ولأسباب الآتية:

١- إبداء إدارة المدرسة الرغبة في التعاون مع الباحث.

٢- تقارب شريحة طلاب المدرسة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٣- إبداء مدرس المادة رغبته في التعاون مع الباحث.

وبعد أن حدد الباحث المدرسة التي ستطبق فيها التجربة وهي متوسطة (طارق بن زياد)، زار المدرسة المذكورة قبل بدء التجربة، فوجد أن المدرسة تضم أربع شعب للصف الثاني المتوسط ، واختار بطريقة عشوائية إحدى الشعب وهي شعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية ، حيث بلغ عدد طلابها (٢٨) طالب، واختار شعبة (ب) لتمثل المجموعة الضابطة بلغ عدد طلابها (٢٨) طالب. وبعد استبعاد الطلاب الراسبين البالغ عددهم (٣) طالب، أصبح المجموع النهائي للطلاب (عينة البحث) (٥٦) طالب . أما سبب استبعاد الطلاب الراسبين فهو امتلاكهم خبرة سابقة في الموضوعات التي ستُدرس في أثناء التجربة، وقد يؤثر في المتغير التابع (التحصيل)، وفي دقة النتائج، وجدول (١) يوضح ذلك .

جدول (١)

عدد طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة قبل الاستبعاد وبعده

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الطلاب الراسبين	عدد الطلاب النهائي
التجريبية	أ	٣٠	٢	٢٨
الضابطة	ب	٢٩	١	٢٨
المجموع		٥٩	٣	٥٦

رابعاً : تكافؤ مجموعتي البحث :

حرص الباحث قبل الشروع ببء التجربة على التحقق من تكافؤ مجموعتي البحث في المتغيرات التي قد يكون لها أثر في نتائج البحث منها :

١- العمر الزمني للطلاب محسوباً بالأشهر .

٢- درجات مادة التاريخ لنصف السنة .

١-العمر الزمني للطلاب محسوباً بالأشهر

كافأ الباحث المجموعتين (عينة البحث) من حيث العمر الزمني , وقد بلغ متوسط اعمار طلاب المجموعة التجريبية(١٤٨,٩٠) وبانحراف معياري بلغ(٦,٦٣٥) , في حين بلغ متوسط اعمار الطلاب المجموعة الضابطة (١٥٠,٥٠) وبأنحراف معياري بلغ (٧,٦٠٠) , وباستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق , أتضح إن الفرق ليس ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥), إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٠,٩٢٠) , اقل من الجدولية البالغة , (٢,٠٠٠) وبدرجة حرية (٢) مما يدل ان المجموعتين متكافئتين في هذا المتغير .

٢-درجات مادة الأتماعيات في نصف السنة :

تم الحصول عليها من خلال الوثائق الخاصة بالطلاب من السجلات الرسمية الموجودة لدى إدارة المدرسة ، إذ بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (٦٤.١٠) ،وبانحراف معياري (١٧.٥٠)، في حين بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (٥٦.٢٣) وبانحراف معياري (١٧.٨٨)، وعند استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين ، لمعرفة الفرق بين المجموعتين ، ظهر ان الفرق ليس ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ، إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (١.٦٦٥)، وهي اقل من القيمة الجدولية البالغة (٢) بدرجة حرية (٥٤) ، مما يدل على ان مجموعتي البحث متكافئة في هذا المتغير .

خامساً: مستلزمات البحث:

١. تحديد المحتوى (المادة التعليمية):

حدد الباحث المادة العلمية التي سيتم تدريسها أثناء مدة التجربة بعد أن استشارت مجموعة من مدرسي ومدرسات المادة ، وقد حدد الباحث الموضوعات التي ستدرس على وفق مفردات المنهج الدراسي وتسلسلها الزمني ،وتضمنت الفصول (الثالث والرابع والخامس) من كتاب مادة الأتماعيات المقرر تدريسه للصف الثاني المتوسط للعام الدراسي ٢٠٢٥/٢٠٢٦ م .

٢- صياغة الأهداف السلوكية:

صاغ الباحث (١١٠) هدفاً سلوكياً اعتماداً على الأهداف الخاصة لتدريس مادة ومحتوى الموضوعات التي ستدرس في التجربة، موزعة بين مستويات تصنيف

(Bloom) الثلاثة الأولى للمجال المعرفي (معرفة- فهم- تطبيق) وبغية التثبيت من صلاحيتها لمحتوى المادة الدراسية عرضت على مجموعة من الخبراء والمختصين بطرائق التدريس والقياس والتقويم ملحق (١)، عدلت بعض الأهداف، وتم حذف (١٠) أهداف سلوكية لأنها لم تحصل على نسبة الاتفاق التي أتمدت وهي نسبة (٨٠٪) من موافقة رأي الخبراء وبذلك أصبح عدد الأهداف السلوكية بشكلها النهائي (١٠٠) هدف سلوكي .

٣: إعداد الخطط التدريسية

لما كان إعداد الخطط التدريسية واحداً من متطلبات التدريس الناجح فقد أعدّ الباحث (١٧) خطة تدريسية لكل مجموعة من مجموعتي البحث، لموضوعات مادة الاجتماعيات التي ستدرس في التجربة، في ضوء محتوى الكتاب والأهداف السلوكية المصاغة على وفق استراتيجية التجسير الثلاثية فيما يخص طلاب المجموعة التجريبية وعلى وفق الطريقة التقليدية فيما يخص طلاب المجموعة الضابطة .

سادساً: أداة البحث

اعتماداً على مقتضيات البحث أعد الباحث اختبار قياس التحصيل الدراسي للطلاب (عينة البحث).

أولاً: أعداد الاختبار التحصيلي :

من متطلبات البحث الحالي أعداد اختبار تحصيلي يستخدم لقياس تحصيل عينة البحث.

لذا قام الباحث بأعداد اختبار تحصيلي تضمن الفصول الثلاثة الأخيرة من كتاب الاجتماعيات للصف الثاني المتوسط وهي (الثالث والرابع والخامس) على وفق محتوى المادة الدراسية والأهداف السلوكية التي تم تحديدها في المجال المعرفي لمستويات (التذكر ، الاستيعاب ، التطبيق).

وقد اتبع الباحث الخطوات التالية لأعداد الاختبار التحصيلي:-

١ - تحديد الهدف الرئيس من الاختبار

ان هدف الاختبار هو قياس مستوى تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط عينة البحث لمادة الاجتماعيات في الفصول (الثالث ، الرابع ، الخامس) .

٢-تعليمات الاختبار:

قام الباحث بوضع تعليمات الأجابة على تعليمات الاختبار، مطالبا مجموعتي البحث بضرورة الاطلاع على تعليمات الاختبار قبل الأجوبة على أسئلة الاختبار .

٣-إعداد جدول المواصفات :

يعد جدول المواصفات من المتطلبات الأساسية في إعداد الاختبارات التحصيلية ، فهو الإطار العام للمحتوى المراد قياس تحصيل الطلاب فيه ، إذ يتكون من ثلاثة حقول هي الأهداف والمحتوى وعدد الأسئلة (الفقرات التي تمثل المحتوى) (عبد الهادي ، ٢٠٠١: ٣٣١) .

لذا اعد الباحث خريطة اختبارية لمحتوى كتاب الاجتماعيات المتكون من ثلاث فصول المقرر تدريسها للصف الثاني المتوسط ستدرس في التجربة والأهداف السلوكية للمستويات الثلاثة الأولى في المجال المعرفي لتصنيف بلوم (معرفة فهم - تطبيق) ، وتم حساب

الأهمية النسبية لكل فصل من المادة الدراسية استناداً إلى عدد الأهداف السلوكية الكلية المقررة لكل فصل ، وحسبت أوزان مستويات الأهداف اعتماداً على عدد الأهداف السلوكية في كل مستوى بحسب أهداف كل فصل إلى العدد الكلي للأهداف ، وحددت عدد فقرات الاختبار بـ(٣٥) فقرة وزعت على خلايا جدول المواصفات .

٤- صدق الاختبار : يكون الاختبار صادقاً إذا تمكن من قياس الأهداف التعليمية التي وضع من أجلها (الظاهر، وآخرون، ٢٠٠٢: ٣٢). وقد تم التحقق من صدق الاختبار وكما يأتي:

أ-الصدق الظاهري : يرى المعنيون بالقياس أنَّ من الوسائل الفضلى للتثبت من الصدق الظاهري لأداة البحث أن يقدر عدد من المحكمين و المتخصصين بصلاحية الفقرات لقياس الظاهرة والسمة التي وضعت من أجلها، ويعد الحكم الصادر منهم مؤشراً على صدق الأداة .وقد عرض الاختبار بصورته الأولية على المحكمين والمتخصصين ملحق (١) لإبداء آرائهم بصلاحية فقرات الاختبار وفي ضوء آرائهم عدلت عدد من الفقرات .

ب- صدق المحتوى : تم التثبت من صدق المحتوى من خلال إعداد جدول المواصفات لضمان تمثيل الفقرات لمحتوى المادة الدراسية والأهداف السلوكية، وعليه يُعد الاختبار صادقاً من حيث المحتوى.

- التجربة الاستطلاعية:

لغرض التعرف على مدى وضوح تعليمات الاختبار وفقراته ومعرفة الوقت الذي يستغرقه الأجوبة عن الاختبار ، طبق الاختبار على عينة مؤلفة من (٣٠) طالب في متوسطة (العلامة حسين علي محفوظ للبنين)، وتبين أن الاختبار كان واضحاً

ومفهوماً من حيث فقراته وتعليماته إلا بعض فقراته لم تكن واضحة فُغِدِلت ، وإن متوسط الوقت للإجابة عليه بلغ (٣٥) دقيقة ، وبذلك أصبح الاختبار جاهزاً للتطبيق.

ولحساب الخصائص السيكومترية للاختبار وحساب الثبات طبق الاختبار على عينة بلغت (١٠٠) طالب من متوسطة (الوطن العربي للبنين) .

أ- معامل الصعوبة للفقرات : ان الاختبار يعد جيداً إذا تراوحت معامل صعوبة فقراته بين (٠,٢٠ - ٠,٨٠) (Bloom,1971 : p: 66) وبعد أن حسب معامل الصعوبة لكل فقرة من فقرات الاختبار وجد انها تتراوح بين (٠,٣٣ - ٠,٧٠) , لذا تعد معاملات صعوبة فقرات الاختبار جميعها مقبولة .

ب- قوة تمييز الفقرات : تم حساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار باستعمال معادلة التمييز ووجد أن قيمتها تراوحت بين (٠,٣١ - ٠,٦٠) , إذ إن الفقرات التي معامل تمييزها يقل عن (٠,٢٠) تعد ضعيفة التمييز ويستحسن حذفها أو تعديلها .(عودة , ١٩٩٨ : ٢٩٥) , لذا تعد فقرات الاختبار مقبولة من حيث قدراتها التمييزية ولذلك تم البقاء عليها .

ج- فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار: تم حساب فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار التحصيلي ، وكانت نتائج تطبيق معادلة البدائل لجميع الفقرات سالبه ، وذلك يعني ان البدائل الخاطئة قد موهت على الطلاب الضعفاء ويدل ذلك على فعالية البدائل الخاطئة للاختبار التحصيلي .

٥- ثبات الاختبار التحصيلي:

يقصد بالثبات ألساق الدرجات التي يحصل عليه الأفراد إذ ماطبق عليهم الاختبار أكثر من مرة (سامي ، ٢٠٠٠ : ص ٢٦٠)

إذ تم حساب ثبات الاختبار التحصيلي باستعمال معادلة (كيودر ريتشاروسون - ٢٠) لان جميع فقراته موضوعية من نوع الاختبار من متعدد ، إذ أنها الطريقة الأكثر شيوعاً لاستخراج ثبات فقرات الاختبار التي تعطي درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفرأ للإجابة الخطأ، وقد وجد أن معامل الثبات يساوي (٠.٨٠) ، ويعد معامل ثبات جيداً .

٦- الاختبار التحصيلي بصيغته النهائية:

بعد الانتهاء من أيجاد صدق الاختبار وثباته والتحليل الاحصائي لفقراته أصبح الاختبار جاهزأ بصيغته النهائية للتطبيق على طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) ، إذ تكون الاختبار من (٣٥) فقرة موضوعية من نوع الاختيار من متعدد وكل فقرة تحتوى على أربعة بدائل واحد صحيح والثلاثة البقية خاطئة .

٧- تطبيق التجربة :

اتبع الباحث في أثناء تطبيق التجربة ما يأتي :

١- باشر الباحث بتطبيق التجربة على طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة يوم الأثنين ١٧ / ٢ / ٢٠٢٦ بتدريس يومين أسبوعيا لكل مجموعة ، واستمر التدريس طوال الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦ ، انتهت التجربة يوم الأثنين ٢٠ / ٤ / ٢٠٢٦ .

٢- درس الباحث طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة بنفسه أثناء مدة التجربة .

٣- طبق الباحث اختبار التحصيلي على طلاب المجموعتين في وقت واحد من يوم الثلاثاء ٢١ / ٤ / ٢٠٢٦ .

الفصل الرابع

عرض النتيجة وتفسيرها :

يضمّ هذا الفصل عرضاً شاملاً لنتائج البحث التي تُوصَل الباحث إليها ، وتفسيرها ثم بيان الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات وعلى النحو الآتي :

أولاً: عرض النتائج:

نصت الفرضية الصفريّة (لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة الاجتماعيات وفق إستراتيجية التجسير الثلاثية ، وبين متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة التي تدرس المادة نفسها على وفق الطريقة التقليدية في الاختبار التحصيلي).

وبعد تحليل البيانات ، اتضح أنّ متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية التي يدرسون مادة الاجتماعيات على وفق إستراتيجية التجسير الثلاثية بلغ (٧٣,١٠) ، وبلغ متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذي يدرسون مادة الاجتماعيات بالطريقة التقليدية (٥٧,٠٠) ، وعند استعمال الاختبار التائيّ لعينتين مستقلتين للتعرف دلالة الفرق الإحصائيّ بين مجموعتي البحث ، ظهر أنّ هناك فرقاً ذا دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بدرجة حرية (٥٤) لمصلحة طلاب المجموعة التجريبية ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة (٣,٢٠٠) ، وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) . وجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

نتائج الاختبار التائي لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين
التجريبية والضابطة في اختبار التحصيلي

المجموعة	العينة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		الدلالة عند مستوى ٠,٠٥
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٢٨	٧٣,١٠	١٦,٦٠	٥٤	٣,٢٠٠	٢	دالة إحصائية
الضابطة	٢٨	٥٧,٠٠	١٧,٢٩				

وبذلك تُرفض الفرضية الصفرية التي تنص على أنه: لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠.٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة الأتتماعيات وفق إستراتيجية التجسير الثلاثية , وبين متوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة التي تدرس المادة نفسها على وفق الطريقة التقليدية في الاختبار التحصيلي .

ثانياً: تفسير النتائج:

أظهرت نتيجة البحث تفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا بوساطة (إستراتيجية التجسير الثلاثية) على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة التقليدية وقد يعزى ذلك الى الأسباب الآتية:-

- ١- إن إستراتيجية التجسير الثلاثية واحدة من الاتجاهات الحديثة في التدريس التي أدت إلى تفاعل الطلاب مع الدروس وزادت من رغبتهم ونشاطهم في التعلم وزيادة تحصيلهم الدراسي.
- ٢- إنَّ إستراتيجية التجسير الثلاثية تُزيد من رغبة الطلاب نحو مادة الاجتماعيات والإجادة فيه ، وتعزز ثقة الطلاب بأنفسهم ، وقدرتهم على تقصي الحقائق والمعلومات الواردة في موضوع الدرس.
- ٣- إنَّ إستراتيجية التجسير الثلاثية، جذبت انتباه الطلاب وزادت من تركيزهم في الدرس عن طريق فتح باب المناقشة وإبداء آرائهم بحرية ، وبذلك راعت الفروق الفردية بينهم.
- ٤- وقد يعزى التفوق في تحصيل الطلاب الذين درسوا على وفق إستراتيجية التجسير الثلاثية إلى أن هذه الاستراتيجية جديدة وغير مألوفا لدى الطلاب ، لذا تفاعلوا معها وازدادت حماسهم لها وهذا ما ساعد على زيادة تحصيلهم الدراسي .
- ٥- عنت إستراتيجية التجسير الثلاثية بالمتعلم ولم تلغ دوره كذلك اهتمت بالمدرس، والطريقة التدريسية، ممّا أدى إلى تحقيق نتائج تعليمية جيدة عند طلاب المجموعة التجريبية.

ثالثاً: الاستنتاجات :

في ضوء النتيجة التي توصل إليها الباحث استنتج ما يأتي :

- ١- أسهمت استراتيجية التجسير الثلاثية كطريقة للتدريس في زيادة التحصيل مقارنةً بالطريقة المعتادة في تدريس طلاب الصف الثاني المتوسط.

٢- تتفق إجراءات التدريس على وفق استراتيجية التجسير الثلاثية مع ما تركز عليه التربية الحديثة في جعل المتعلم محور للعملية التعليمية .

٣- ان التدريس على وفق استراتيجية التجسير الثلاثية يساعد على توفير بيئة تعليمية تبث على التفكير والتفاعل مع الدرس .

رابعاً: التوصيات

يوصي الباحث بما يأتي :

(١) ان يعتمد مدرسو ومدرسات التاريخ استراتيجيات التجسير الثلاثية في التدريس لما لها من أثر ايجابي في التحصيل وهذا ماأكدته هذه الدراسة .

(٢) ان تعمل وزارة التربية و مديرياتها على تدريب وتطوير مهارات مدرسي ومدرسات التاريخ بصفة خاصة والمواد الأخرى بصفة عامة على كيفية استخدام استراتيجيات التعليمية الحديثة من خلال عقد الدورات والندوات التربوية.

خامساً: المقترحات

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحث الآتي:

(١) إجراء دراسة للتعرف على أثر استخدام هذه الإستراتيجية في تنمية التفكير التاريخي أو الفهم العميق.

(٢) اجراء دراسة حول استخدام إستراتيجية التجسير الثلاثية في متغيرات اخرى كاكساب المفاهيم والقدرة على حل المشكلات.

(٣) اجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية ولمراحل دراسية أخرى ولمواد دراسية أخرى.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

- إبراهيم ، مجدي عزيز (٢٠٠٤) : استراتيجيات التعليم وأساليب التعلم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، مصر .
- الامين، شاكر محمود ،(٢٠٠٥): الشامل في تدريس المواد الاجتماعية، ط١، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان.
- بدير، كريمان محمد(٢٠٠٧): التعلم النشط، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.
- الجاوي، كاظم كريم (٢٠١١): مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، بغداد.
- الجمل، علي احمد (٢٠٠٥): تدريس التاريخ في القرن الحادي والعشرين، ط١، مطبعة عالم الكتب للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- خضر ، فخري رشيد.(٢٠٠٦): طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن.
- سامي ، محمد ملحم(٢٠٠٠) : " القياس والتقويم في التربية وعلم النفس " ، ط١ ، دار المسيرة ، عمان.
- سعادة، جودة احمد وجمال اليوسف ،(٢٠٠٦): التعلم النشط بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، الأردن.
- شنيج ، رسل محمود (٢٠١٨): أثر استراتيجية التجسير الثلاثية في اكتساب مفاهيم مادة علم الاجتماع لدى طالبات الصف الرابع الأدبي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية للعلوم الإنسانية (أبن رشد) .
- الشبلي ، ابراهيم مهدي (٢٠٠٠) : المناهج بنائها تنفيذها ، تقويمها ، تطويرها (باستخدام النماذج) ، ط٢ ، دار الامل للنشر والتوزيع ، اردن - الاردن .

- الشمري، ماضي محمد(٢٠١٠): استراتيجية في التعلم النشط، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
- الصباغ ، مياز خليل.(١٩٨١): تقويم اهداف منهج التاريخ في المرحلة المتوسطة للبنات في المملكة العربية السعودية، مطابع الكشاف التجارية،الرياض.
- الظاهر، زكريا محمد وآخرون، (٢٠٠٢): مبادئ القياس والتقويم في التربية، ط٣ ، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن.
- عباس ، محمد خليل، وآخرون، (٢٠٠٩): مدخل الى مناهج البحث من التربية وعلم النفس ، ط٢، دار المسيرة، الأردن.
- عبد الهادي ، نبيل، ومصطفى ، نادية بني، (٢٠٠١) : نماذج تربوية تعليمية معاصرة ، ط١، دار الصفاء للنشر، الأردن.
- عطية، محسن علي،(٢٠٠٩): المناهج الحديثة وطرائق التدريس ،دار المناهج، عمان ، الأردن.
- عطية، محسن علي : (٢٠٠٩): استراتيجيات ما وراء المعرفة في فهم المقروء ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
- عقيل، هدى(٢٠١٢): تأثير تفعيل التعلم النشط في مدارس المرحلة المتوسطة على نتائج العملية التعليمية، رسالة ماجستير منشورة، وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة للتربية، الرياض.
- علام ، صلاح الدين محمود (٢٠٠٧):الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
- علي ،عيد عبد الواحد وجبريل بني حسن ،العريش (٢٠١٣) : اتجاهات حديثة في طرائق واستراتيجيات التدريس خطوة على طريق تطوير أعداد المعلم ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- عودة ,احمد سليمان (١٩٩٨):القياس والتقويم في العملية التدريسية , ط٢ , دار الأمل , عمان, الأردن.

- الفقي ، عبد أله إبراهيم (٢٠١١) : التعليم المدمج - التصميم التعليمي للوسائط المتعددة - التفكير الابتكاري ، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن.
- اللقاني ، احمد حسين وعلي احمد الجمل . (١٩٩٩) : معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس ، ط ٢ ، عالم الكتب ، القاهرة .
- الوكيل ، حلمي احمد والمفتي، محمد امين.(٢٠٠٥):اسس بناء المناهج وتنظيماتها،ط٢،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن.

ثانيا: المصادر الأجنبية :

- Bloom, Band anthers(1971): Hand book on for amative and summative Eraluation of student learning. New York ,me craw – Hill.
- .Ron Ritchhart &Mark church &Karin Morrison (2011) Making Thinking visible, David perkins,B-joss Ey-Bass.

علل الإعلال والإبدال وأثرها في الدلالة المعجمية

(لسان العرب أنموذجاً)

د. علاء عبد الخالق حسين

alaa.Abdulkhaleq@colaw.uobaghdad.edu.iq

أ.د. خالد عبود حمودي

khalid.a.h@ihcoedu.uobaghdad.edu.iq

ملخص البحث:

تناول هذا البحث موضوع: "علل الإعلال والإبدال وأثرها في الدلالة المعجمية (لسان العرب أنموذجاً)"; للكشف عن المعمار الصرفي الدقيق والوظيفة التعبيرية للتغيرات البنيوية والصوتية. وتكمن أهمية البحث في أنه يربط بين التعليل الصرفي والتحليل المعجمي والدلالي داخل معجم شُمولي، محولاً العلل الصرفية من مجرد إظهار للتخفيف النطقي الفسيولوجي إلى أدوات توجيه دلالي تُثري الألفاظ وتنشئ الفروق التعبيرية.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في تتبع المادة اللغوية واستنطاقها، وتلخصت إجراءات البحث في استقراء الشواهد والنماذج التطبيقية للإعلال والإبدال والتداخل المزدوج بينهما من لسان العرب، ثم وصفها وتفكيك عللها الصرفية، واستنباط توجيهاتها الدلالية والمعجمية في سياق الأبنية والمشتقات، مع موازنة آراء الصرفيين واللغويين النقدية المعروضة في المعجم. وأسفر البحث عن نتائج علمية، أبرزها: وجود تلاحم عضوي بين المبنى والمعنى؛ إذ إن كل تغيير بالقلب أو التسكين أو الحذف أو الإبدال يتبعه بالضرورة- تخصيص أو تكثيف في الشحنة الدلالية للمفردة، كما كشفت عن دور الإبدال بوصفه حقلاً لتوليد الألفاظ وتفرع

المفاهيم، وأظهرت قدرة النظام الصرفي على إحداث توازن دقيق عند اجتماع علل مزدوجة يحافظ على الجوهر المعجمي للمادة. وبناءً على ذلك، قدم البحث عدة توصيات، أهمها: ضرورة إعادة تبويب المعاجم القديمة على وفق معايير دلالية وصرفية حديثة، وتفعيل المنهج التكاملي البيني (الصرفي- الدلالي) في التدريس الجامعي، وإعداد معاجم متخصصة ترصد الفروق الدلالية الناتجة عن التحولات الصرفية.

الكلمات المفتاحية: الإبدال، لسان العرب، ابن منظور، التعليل الصرفي، التوجيه الدلالي.

The Causes of Al-I'lāl and Al-Ibdāl and Their Impact on Lexical Semantics: Lisān al-ʿArab as a Model

Abstract:

This research addresses the topic: "The Rationales of Morphological Alteration (I'lal) and Substitution (Ibdal) and Their Semantic Implications in Ibn Manzur's Lisan al-Arab: A Morpho-Lexical Study," aiming to uncover the precise morphological architecture and the expressive function of structural and phonological changes. The significance of this study lies in connecting morphological reasoning with lexical and semantic analysis within a comprehensive dictionary, thereby transforming morphological rationales from mere manifestations of physiological articulatory alleviation into tools of semantic

orientation that enrich vocabulary and create expressive distinctions.

The study adopted a descriptive, analytical, and inductive approach to track and interrogate the linguistic material. The research procedures involved inducing evidence and applied models of alteration, substitution, and their dual intersection from Lisan al-Arab, describing them, deconstructing their morphological causes, and deducing their semantic and lexical implications within the context of morphological structures and derivatives, while balancing the critical views of morphologists and linguists presented in the dictionary.

The research yielded several scientific results, most notably proving the existence of an organic correlation between structure and meaning; every change—whether through transformation (Qalb), vowel suppression (Taskin), deletion (Hadhf), or substitution (Ibdal)—is inevitably followed by a specification or intensification of the word's semantic load. Furthermore, it revealed the role of substitution as a catalyst for generating vocabulary and branching concepts, demonstrating the morphological system's ability to achieve a delicate balance when

dual causes intersect, thus preserving the lexical core of the material.

Accordingly, the research presented several recommendations, the most important being: the necessity of re-classifying classical dictionaries according to modern semantic and morphological criteria; activating the interdisciplinary integrative approach (morpho-semantic) in university education; and compiling specialized dictionaries that trace semantic differences resulting from morphological transformations.

Keywords: Morphological alteration (l'la), Substitution (lbdal), Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Morphological reasoning, Semantic implication.

المقدمة:

تعد اللغة العربية شجرة وارفة الظلال، تضرب جذورها في عمق التاريخ وتتسامق أغصانها لتلامس حواشي الإعجاز والبلاغة، ولم تكن هذه اللغة الشريفة مجرد أداة للتواصل الفكري أو نقل الأفكار بين أبنائها، بل كانت كائنًا حيًا ينبض بالحركة والتطور وما تزال كذلك، وتتسم بأعلى درجات المرونة والانسجام الصوتي والدلالي. وإن من أبهى الصور التي تجلت فيها هذه المرونة والنظام المحكم، تلك الظواهر الصرفية الصوتية التي طالما شغلت بال علماء العربية قديمًا وحديثًا، وعلى رأسها ظاهرتا الإعلال والإبدال، فهاتان الظاهرتان لا تمثلان مجرد تغيرات شكلية أو

تحويلات آلية تطرأ على بنية الكلمة لتسهيل النطق أو تحقيق الخفة الفصيحة فحسب، بل هما -في حقيقة أمرهما- معمار دقيق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى والمعجم، ويخدم الوظيفة الدلالية للغة بطريقة تبهر القارئ والباحث على حدٍ سواء. وحين نلتفت إلى التراث المعجمي العربي، يطالعنا سفر جليل استطاع أن يجمع شتات اللغة ويدون أوابدها ويحفظ ذاكرتها، وهو معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور، ذلك السفر الشامل الذي لم يقف عند حدود التفسير المعجمي الجاف، بل امتد ليعكس تفاعل الظواهر الصرفية مع عللها الثانوية خلف النصوص والتوجيهات الدلالية المتنوعة، مما يجعل استقرار علل الإغلال والإبدال وتوجيهاتها الدلالية في هذا المعجم بالذات دراسة تسبر أغوار البناء اللغوي وتكشف عن التلاحم العضوي بين المبنى والمعنى في أرقى معاجمنا اللسانية.

وتتجلى أهمية هذا البحث في مساراته النظرية والتطبيقية، فهو من الناحية النظرية يسهم في تعميق الفهم لجماليات العلة الصرفية وعدم التعامل معها بوصفها علة صامتة أو مجرد أداء صوتي محتوم، بل بصفاتها موجهاً دلاليًا يُغني المادة المعجمية ويمنح المفردة طاقة تعبيرية جديدة، كما يبرز المكانة العلمية لمعجم لسان العرب؛ لأنه لم يكن مجرد ناقل للمفردات، بل كان مدونة تحليلية تعلل للتغيرات وتوجه المعاني، أما من الناحية التطبيقية فإن البحث يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين والدارسين لاستكشاف كيفية استثمار القواعد الصرفية في تفسير الدلالات المعجمية الشاملة وتحليل النصوص بلغة تطبيقية دقيقة تنأى عن التنظير المجرد وتقترب من التطبيق الحي المباشر.

ويروم هذا البحث تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية المحددة، يقع -في مقدمتها- رصد صور الإغلال والإبدال في لسان العرب وتتبعها واستخراج العلل الصرفية التي اعتمد عليها ابن منظور في تفسير هذه الظواهر، فضلاً عن الكشف عن التوجيهات الدلالية المترتبة على تلك التغيرات البنيوية، ومدى انعكاس القلب والتسكين

والحذف والإبدال على تنوع ظلال المعاني المعجمية، وصولاً إلى إبراز منهج ابن منظور التحليلي في الربط بين العلة الصرفية والغاية الدلالية ومقارنته بآراء كبار الصرفيين واللغويين.

ولتحقيق هذه الأهداف المتكاملة، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي، إذ يقوم البحث باستقراء الشواهد والأمثلة التطبيقية المتعلقة بالإعلال والإبدال من مادة لسان العرب، ثم وصفها وصفاً صرفياً دقيقاً، ومن ثم تحليل العلل الصرفية الموجهة لها واستنباط أبعادها الدلالية والمعجمية في سياق المادة اللغوية، مع التحقق من المصادر والمراجع الأصلية التي رفدت هذا المعجم.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت ظاهرتي الإعلال والإبدال في كتب التصريف القديمة أو الدراسات الحديثة، إلا أن الفجوة البحثية تتمثل في أن أغلب تلك الدراسات كانت تتعامل مع الإعلال والإبدال إما كقوانين صرفية معزولة عن المعجم، وإما كظواهر صوتية مجردة عن أثرها الدلالي المباشر، في حين قلّت الدراسات التطبيقية الشاملة التي تتخذ من معجم ضخّم كلسان العرب ميداناً لتتبع العلة الصرفية واستخراج الموجه الدلالي الصريح أو الخفي الناجم عنها، وهو ما يسعى هذا البحث إلى سدّه عبر المزج العميق بين التحليل الصرفي والاستكشاف المعجمي الدلالي.

ولإحكام بناء هذه الدراسة وإخراجها في الصورة التي تفي بمتطلباتها العلمية، جرى تقسيم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة، إذ خُصص المبحث الأول لبحث الإعلال وعلله الصرفية وتوجيهاته الدلالية في أربعة مطالب تطرقت للإعلال بالقلب والتسكين والحذف والأثر الدلالي المباشر، في حين جاء المبحث الثاني ليدرس الإبدال وعلله وتوجيهاته الدلالية متتولاً إبدال أحرف العلة والهمزة، والإبدال في صيغتي افتعل وتفاعل، والإبدال اللغوي غير القياسي، وأثره في تنوع المادة

المعجمية، في حين كُرس المبحث الثالث لدراسة التداخل بين الإعلال والإبدال وأثره في التوجيه الدلالي والمعجمي عبر استعراض اجتماع الظاهرتين والعلل المزدوجة والفروق المعجمية ومنهج ابن منظور التحليلي، لتأتي الخاتمة مسجلة أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث.

المبحث الأول: الإعلال وعلله الصرفية وتوجيهاته الدلالية

توطئة:

يُمثل الإعلال حجر الزاوية في بناء المنظومة الصرفية العربية، فهو ليس مجرد تحول صوتي طارئ ينتاب حروف العلة (الألف، والواو، والياء) والهمزة لغرض التخفيف الصوتي، بل يمثل ظاهرة لغوية مسبوكة بعناية تتضافر فيها العلة الفيزيائية الفسيولوجية مع الغاية المعنوية الدلالية. إذ أدرك علماء الصرف والمعجميون الأوائل، ومنهم ابن منظور في سفره الخالد (لسان العرب)، أن البنية الصرفية حين تتغير بالقلب أو التسكين أو الحذف لا تسقط حمولتها الدلالية، بل تنشئ ظلالاً معجمية جديدة تخدم السياق وتنسق مع الطاقة التعبيرية للغة. إن دراسة الإعلال في معجم بحجم (لسان العرب) تعني النفوذ إلى ما وراء الأشكال الظاهرة، واستكشاف العلاقات العميقة بين الحركة والحرف والمعنى، إذ تكشف العلل الصرفية عن توجيهات معنوية تنقل المفردة من مجرد صيغة أصلية مفترضة إلى صيغة استعمالية خفيفة تؤدي الغرض الدلالي بأعلى درجات الكفاءة التعبيرية.

وتتجلى أهمية هذا المبحث في استقراء نماذج تطبيقية حيّة من معجم لسان العرب، مع تحليل أبعادها الصرفية والدلالية، للكشف عن كيفية توظيف ابن منظور للعلة الصرفية كأداة تفسيرية توضح التطور المعجمي والسعة الدلالية للألفاظ العربية.

المطلب الأول: الإعلال بالقلب وعلله في الأفعال والأسماء

الإعلال بالقلب هو تغيير حرف العلة بقلبه إلى حرف علة آخر، وفق قواعد صرفية تقتضيها الحركات المجاورة أو بنية الكلمة، وذلك رغبة في الفرار من الثقل الصوتي وتحقيق التجانس الفوني بين الحركات والجواهر الصوتية. وينبه سيبويه في كتابه إلى أن العرب تكره الثقل في كلامها وتستريح إلى التخفيف، فلذلك قلبوا الواو والياء ألقًا أو ياءً أو واؤًا بحسب المقتضى الصرفي (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ٣٢٠). وعند الاستقراء التطبيقي في (لسان العرب)، يظهر هذا القانون الصرفي جليًا في المادة المعجمية، ففي مادة (ق و ل)، يورد ابن منظور أن أصل الفعل (قَالَ) هو (قَوْلٌ)، بتحريك الواو وانفتاح ما قبلها، فقلبت الواو ألقًا لتحركها وانفتاح ما قبلها على حد التعبير الصرفي الاستقرائي، وأصل (باع) في مادة (ب ي ع) هو (بَيْعٌ)، فقلبت الياء ألقًا للعلة نفسها (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٨، ص ٢٣، ج ١١، ص ٥٧٢). ويوضح التحليل الصرفي العملي لهذا التغير أن الجمع بين حركة الفتح الصريح وحرف العلة المتحرك (الواو أو الياء) يؤدي إلى جهد عضلي مضاعف في جهاز النطق، فجاءت العلة الصرفية لتقضي بقلب الحرف إلى الألف التي هي أخف الحروف وأوسعها مخرجًا. ولا يتوقف الأثر عند هذا التسهيل النطقي، بل يتعداه إلى التوجيه الدلالي، فالألف الناتجة عن القلب تمنح الفعل امتدادًا صوتيًا يناسب معاني الإطلاق والجر والسعة؛ فالفعل (قال) الممتد بالألف يفيد بالضرورة إطلاق الصوت وتمديده في الفضاء التواصل، وهو ما لا يحققه التركيب الأصلي الثقيل (قَوْلٌ) الذي يوحي بالتقطع والتعثر. ومثل ذلك نجد في الأفعال المزيدة على وزن (أَفْعَلٌ) و(فَاعِلٌ)، مثل الفعل (أَقَامَ) وأصله (أَقَوْمَ)، إذ تحركت الواو في الأصل وبحسب النقل قلبت ألقًا، ويتوجه المعنى المعجمي هنا نحو التمكن والقيام الثابت المتصل؛ لأن صوت الألف الممتد يوازي الثبات والاستقرار الدلالي.

ويتضح هذا التوجيه الصرفي الدلالي بصورة أكثر عمقاً في الأسماء، كما في اسم الفاعل من الثلاثي الأجوف، نحو: (قائل) و(بائع)، إذ انقلبت الواو والياء همزةً لوقوعهما بعد ألف زائدة في صيغة اسم الفاعل، فأصل (قائل): (قاول)، وأصل (بائع): (بايع)، فقلب حرف العلة همزةً، وهو من الإعلال بالقلب (ابن جني، ١٩٥٤، ج ١، ص ٢٨٠).

ويصرح ابن منظور بأن هذا القلب ليس عارضاً، بل هو لبيان الصفة الثابتة للفاعل؛ فالهمزة -بصوتها الانفجاري المتوسط- تعطي اسماً مؤكداً للفاعل يتميز من الحركة العابرة للفعل (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٥٧٤). وفي مادة (م و ت)، نجد الفعل (مات)، وأصله (مَوْت)، إذ تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلب ألفاً، وفق قاعدة قلب الواو أو الياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما، فصار (مَوْت) إلى (مات)، غير أن المعجم يوجه الدلالة نحو السكون التام والتلاشي، إذ ينسجم امتداد الألف والانتقال منها إلى السكون مع معاني انقطاع الحياة والانتقال من حالة الحركة المضطربة إلى حالة الخمود المطلق.

وكذلك يتضح الإعلال بالقلب في بعض الأفعال والمشتقات؛ ففي مادة (خ و ف)، بقيت الواو في المصدر (خَوْف)؛ لسكونها، في حين قلبت الواو ألفاً في الفعل (خَاف)، وأصله (خَوْف)، لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها، فانتقلت الكلمة من (خَوْف) إلى (خَاف) على وفق قاعدة الإعلال بالقلب (الاستراباذي، ١٩٧٥، ج ٣، ص ١١٢). ويستعرض ابن منظور الشواهد اللغوية التي تبين أن القلب في الأسماء والصفات يؤدي وظيفة التمييز الدلالي بين الذات والصفة والمصدر، فحين يُقال (رَجُلٌ قَاوِمٌ) بالتحقيق على الأصل المهجور، يُفهم منه معالجة القيام، بينما حين يُقال (قَائِمٌ) بالقلب الإعلال، تتجه الدلالة نحو ثبوت الصفة واستقرارها للذات.

هذا التفاعل المستمر بين العلة الصوتية المؤدية للتخفيف وبين الشحنة الدلالية المكتسبة يبرهن على أن القلب الإعلال في معجم لسان العرب لم يكن مجرد صوغ آلي، بل كان خياراً لغوياً قصدت إليه العرب لملاءمة الصوت للبناء المعرفي والمعجمي للكلمة.

المطلب الثاني: الإعلال بالتسكين (النقل) وعلة

يقوم الإعلال بالنقل على نقل حركة حرف العلة إلى الحرف الصحيح الساكن قبله، فيسكن حرف العلة، وتنتقل الحركة إلى الحرف الصحيح المجاور، بما يحقق انسجاماً صوتياً وتخفيفاً في النطق. ويُفسّر الإعلال بالنقل بأن حرف العلة لا يستحسن تحمّل الحركة مع بقاء الحرف الصحيح السابق ساكناً، فنُقلت الحركة من حرف العلة إلى الحرف الصحيح الساكن قبله، تخفيفاً في النطق وتحقيقاً للانسجام الصوتي. (ابن جني، ١٩٥٤، ج ٢، ص ١٤٥). وتتجلى التطبيقات المعجمية التحليلية لهذا النوع من الإعلال في المادة الفعلية والاسمية في (لسان العرب) بنحو موسع، إذ يُمثّل الإعلال بالنقل قاعدةً مطّردة في مضارع الثلاثي معتلّ العين وفي الأفعال المشتقة منه. ففي مادة (ق و ل)، يتناول ابن منظور الفعل المضارع (يَقُولُ)، شارحاً أن أصله الصرفي (يَقُولُ) على وزن (يَفْعُلُ)، إذ وقعت الضمة على الواو، وهي حرف علة، وكان قبلها حرف صحيح ساكن هو القاف، فنُقلت ضمة الواو إلى القاف، فسكنت الواو وصارت الكلمة (يَقُولُ)، وذلك تخفيفاً في النطق (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٥٧٣). وفي مادة (ب ي ع)، يتناول ابن منظور المضارع (يَبِيْعُ)، وأصله الصرفي (يَبِيْعُ) على وزن (يَفْعِلُ)، مبيّناً أن الكسرة استُنقلت على الياء، فنُقلت حركتها إلى الباء الساكنة قبلها، فسكنت الياء وصارت الكلمة (يَبِيْعُ) (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٨، ص ٢٤).

ويكشف التحليل الصرفي الدقيق لهذه الظاهرة عن موازنة دقيقة بين الجهد الصوتي والتأدية الدلالية؛ فنقل الحركة وإسكان حرف العلة لا يخفف النطق فحسب،

بل يولد مدًا صوتيًا ناتجًا عن إشباع الحركة المنقولة على حرف العلة المجانس لها (فالضمة على القاف أوجدت مدًا بالواو، والكسرة على الباء أوجدت مدًا بالياء)، وهذا المد الصوتي المستمر ينعكس مباشرة على التوجيه الدلالي للكلمة. ففي (يَقُولُ)، يخدم المد بالواو دلالة الاستمرار والامتداد الزمني للفعل الكلامي، إذ يفيد المضارع المنقول حركته تجدد القول وامتداده في الزمن الحاضر والمستقبل من دون كلفة نطقية تعطل حركية الخطاب.

كما يمتد الإعلال بالنقل إلى بعض الأسماء والمشتقات، ولا سيما أسماء المفعول من الثلاثي الأجوف؛ ففي مثل (مَقُول) و(مَبِيع)، يبرز تداخل الإعلال بالنقل والحذف. فأصل (مَقُول) من جهة الاشتقاق (مَقْوُول) على وزن (مَفْعُول)، فنُقلت ضمة الواو إلى القاف الساكنة قبلها، ثم اجتمعت الواوان، فحُذفت إحداها تخفيفًا، فاستقر اللفظ على (مَقُول). وعلى نحو ذلك جاء (مَبِيع) من (مَبْيُوع)، فجرى فيه الإعلال بما يوافق بنية الكلمة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٥٧٥).

ويتجه المعنى المعجمي في (مَقُول) إلى تكثيف الدلالة وتجهيز المفردة لتلبي معنى الوقوع الخالص؛ إذ إن تخفيف البنية بسكون العين ونقل حركتها يجعل الكلمة سيارة جارية على الألسن لتسمية المقولات والأحكام الثابتة. وكذلك الحال في اسم المكان، مثل (مَقَام)، وأصله الصرفي (مَقْوَم) على وزن (مَفْعَل)، فنُقلت فتحة الواو إلى القاف الساكنة قبلها، فصار (مَقْوَم)، ثم تحركت الواو بالفتحة وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفًا، فاستقرت الكلمة على صورتها (مَقَام). (ابن عصفور، ١٩٨٢، ج ١، ص ٢١٠). ويبعد التوجيه الدلالي لـ(مَقَام) عبر هذا الإعلال بالتسكين والقلب بالمفردة عن مجرد التحديد الجغرافي الضيق ليرتقي بها إلى دلالة الاستقرار الممتد والهيبة والمكانة، وهو ما تؤكد الاستعمالات القرآنية واللغوية التي أوردها ابن منظور مثل "مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ" و"مَقَامًا مَحْمُودًا".

ويتضح من التحليل الصرفي التطبيقي أن الإعلال بالتسكين يمثل آلية موازنة بين الخفة الصوتية واستمرارية الشحنة الدلالية، إذ يؤدي إسكان العين ونقل حركتها إلى المتبوع الصحيح إلى خلق انسجام صوتي يُمكن المفردة من استيعاب الظلال المعجمية المتجددة كالديمومة، والحدث المستمر، والصفة المستقرة، من دون أن تنتشوه المادة اللغوية أو تخرج عن أوزانها القياسية العامة.

المطلب الثالث: الإعلال بالحذف في الأفعال والأسماء

يُمثل الإعلال بالحذف أرقى درجات التخفيف الصرفي، إذ يتنازل المبنى عن أحد صوامته الأساسية (وهو حرف العلة) تسامحاً في سبيل سلامة النطق، ودفعاً للثقل التراكمي أو التقاء الساكنين. وقد قرر ابن عصفور أن الحذف لا يقع في كلام العرب إلا لعدة قاهرة، إما لخروج الحرف إلى حد لا يمكن النطق به إلا بكلفة شديدة، وإما لالتقاءه مع ساكن آخر لا يقبل الحركة (ابن عصفور، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٤٥٠). ويحفل (لسان العرب) بتسجيل حالات الإعلال بالحذف مع توجيه عللها الصرفية والدلالية على نحو تطبيقي واسع.

ففي الأفعال المثال الواوية (التي تبدأ بالواو) عند صيغة المضارع والأمر، نحو (وَصَلَ- يَصِلُ- صِلْ) و(وَعَدَ- يَعِدُ- عِدْ)، يورد ابن منظور في مادة (و ص ل) أن أصل المضارع هو (يَوْصِلُ) بوزن (يَفْعِلُ)، إذ وقعت الواو الساكنة بين فتحة سابقة عليها (ياء المضارعة) وكسرة لاحقة لها (عين الفعل)، وبما أن الواو والكسرة متضادان ثقيلان، والفتحة تمهد لذلك الثقل، فقد وقعت الواو بين الفتحة والكسرة على حد التعبير الصرفي المشهور، فحذفت الواو وجوباً فصارت (يَصِلُ)، وطرد الحذف في بقية حروف المضارعة (أَصِلُ، نَصِلُ، لَطِرَادُ الباب (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٧٢٥). ثم سرى هذا الحذف إلى صيغة الأمر (صِلْ) لسقوط حرف المضارعة وألف الوصل.

ويكشف التحليل الدلالي لهذا الحذف الصرفي عن صلة بين البنية والمفهوم؛ إذ يمكن أن يُلاحظ في حذف الواو من (يَصِلُ) و(صِلْ) خفةً في الأداء الصوتي تنسجم مع طبيعة الفعل ودلالته على الوصل، من غير أن يكون ذلك علةً صرفيةً للحذف، إذ يرجع الحذف في أساسه إلى القاعدة الصرفية المقررة. وفي معتلات اللام (الأفعال الناقصة)، يتجلى الحذف في حالتي الجزم والأمر، نحو: (دَعَا- يَدْعُو- لَمْ يَدْعُ- ادْعُ)، و(رَمَى- يَرْمِي- لَمْ يَرَمْ- ارْمِ)، إذ يُحذف حرف العلة في المضارع عند الجزم، ويكون حذفه علامةً على الجزم، كما يُحذف في صيغة الأمر تبعاً لبنية الفعل وتصريفه (الرضي الاستراباذي، ١٩٧٥، ج٣، ص٢٠١). ويشير ابن منظور في مادة (د ع و) إلى أن حذف اللام في (ادْعُ) و(لَمْ يَدْعُ) ينقل المعنى المعجمي من حالة امتداد الدعاء والنداء المفتوح إلى حالة الإنجاز والطلب المحدد البات (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١٤، ص٢٥٨).

أمّا في الأسماء، فيبرز الإعلال بالحذف في الأسماء المنقوصة عند التنكير في حالتي الرفع والجر، نحو: (قَاضٍ) و(ذَاعٍ) و(سَامٍ). ففي نحو (قَاضٍ)، تُحذف الياء عند التنوين في حالتي الرفع والجر، فيقال: (جاء قاضٍ) و(مررتُ بقاضٍ)، وذلك للتخلص من اجتماع الياء والتنوين، بينما تثبت الياء في حالة النصب، نحو: (رأيْتُ قاضيًا). (ابن جني، ١٩٥٤، ج٢، ص١٨٨). ويربط ابن منظور في مادة (ق ض ي) هذا الحذف بالدلالة المعجمية للاستغناء والتجريد؛ فالاسم المنقوص حين يحذف حرف عله في حالة التنكير يكتسب دلالة على الإطلاق والشيوع، إذ يكون التنكر حاملاً لمعنى العموم من دون التقيد بذات معينة، بينما عند التعريف تثبت الياء (القَاضِي) لتعين المعهود (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١٥، ص١٨٧). وفي الأسماء الجوفاء عند جمع التكسير أو التصغير، يحذف حرف العلة لعل التجمع الصوتي وتوالي الأمثال، مما يوجه الدلالة نحو التقليل أو الجمع المفصل.

ويتضح من هذه الأمثلة التحليلية أن الحذف الصرفي ليس اقتطاعاً بترياً من جسد الكلمة، بل هي حذوف معللة تصون النص اللغوي من الثقل والتداعي، وتمنح الألفاظ اللائقة حركية دلالية تتناسب مع السياقات التعبيرية القائمة على الإيجاز والسرعة والقطع.

المطلب الرابع: الأثر الدلالي المباشر لتغيرات الإعلال

إن الغاية الأسمى للتحويلات الصرفية في اللغة العربية ليست مجرد تحقيق الأمن الصوتي أو التخفيف النطقي للمتكلم، بل هي إنتاج محتوى دلالي دقيق يُلبّي حاجات التعبير المعجمي والسياقي. وقد حرص ابن منظور على عدم فصل الحكم الصرفي عن ظله المعجمي، فكان يتتبع آثار الإعلال بالقلب والنقل والحذف في بنية الكلمة، ليثبت كيف يمكن أن يرتبط التغير الصرفي باختلاف الصيغة أو تخصيص الاستعمال الدلالي للمادة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٢). ويمكن معاينة هذا الأثر الدلالي عبر موازنة تطبيقية بين أصول الكلمات الصرفية المفترضة وبين صيغها المستعملة التي مرّت بظاهرة الإعلال.

ففي الموازنة بين الصفتين (المَيّت) و(المَيّت) في مادة (م و ت)، نجد أن كليهما ينتميان إلى أصل صرفي واحد، مع اختلاف في البنية الصرفية والاستعمال الدلالي. ففي (المَيّت) اجتمعت الياءان، فأدغمت إحداها في الأخرى، فاستقرت الصيغة على التشديد، في حين جاءت (المَيّت) على صورة أخف في المبنى. وقد ارتبط هذا الاختلاف الصرفي بتميّز دلالي في الاستعمال؛ فـ(المَيّت) يُستعمل فيمن اتصف بالموت أو اتجه إليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (سورة الزمر: الآية ٣٠)، بينما يُستعمل (المَيّت) فيمن تحقق موته، وقد أشار ابن منظور إلى هذا الفرق في سياق بيانه لاستعمال اللفظين (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٩٠). ويكشف هذا التمايز عن إمكان ارتباط اختلاف البنية الصرفية باختلاف الاستعمال

الدلالي، مع بقاء الأمن الصوتي والتخفيف من العوامل الصرفية الحاكمة في تشكيل البنية.

ونموذج آخر يتجلى في الفرق بين (الْقَوْل) و(الْقِيل) و(الْقَالَ) في مادة (ق) و (ل)؛ فالمصدر (قَوْل) بقي على صورته الصرفية الأصلية، في حين طرأ على (قِيل) إعلال بالقلب بعد النقل؛ فأصلها (قُول)، فنُقلت الكسرة إلى القاف، ثم قُلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة، فاستقرت الصيغة على (قِيل). أما (الْقِيل والْقَالَ) فقد ارتبط استعمالهما في العربية بتداول الأقوال والأخبار وكثرة الحديث فيها، وهو انتقال دلالي ارتبط بالاستعمال المعجمي للمادة وصيغها، ولا يصح أن يُجعل الإعلال وحده سبباً مباشراً لهذا التطور الدلالي (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٥٧٦).

ويظهر الأثر الصرفي الدلالي كذلك في الأفعال المعتلة المزيدة بالهمزة، فالفعل (أَجَابَ) وأصله (أَجَوَّبَ)، حدث فيه إعلال بالنقل والقلب؛ فنُقلت حركة الواو إلى الجيم، ثم قُلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاستقرت الصيغة على (أَجَابَ). وقد اتجه المعنى المعجمي للفعل إلى الاستجابة والرد والتلبية، بما يكشف عن إمكان التفاعل بين البنية الصرفية والاستعمال الدلالي، مع بقاء الإعلال في أساسه محكوماً بقواعد التخفيف والأمن الصوتي، لا بكون المعنى علة مباشرة للتحويل الصرفي.

وكذلك في مادة (ط و ي)، يوازن المعجم بين (طَوَى) و(الطَّيَّ)، إذ تظهر في الصيغتين تحولات صرفية وإعلالية أسهمت في استقرار بنيتهما الصوتية والصرفية، مع احتفاظ المادة بجوهرها الدلالي المرتبط بالجمع والضم والإدراج والانطواء. ويكشف ذلك عن أن الأمن الصوتي لا يعمل منفصلاً عن البنية الصرفية والدلالة المعجمية، بل تتفاعل هذه المستويات في تشكيل الصيغة المستعملة وتحديد وظائفها الدلالية. ومن ثم فإن دراسة الإعلال في ضوء الدلالة لا تعني أن التحويل الصرفي

ينشئ المعنى من تلقاء نفسه، وإنما تكشف عن العلاقة التفاعلية بين البنية الصرفية والصورة الصوتية والاستعمال الدلالي، وهي علاقة تتضح في المعالجة المعجمية عند ابن منظور وغيره من علماء العربية.

وبناءً على هذه المعطيات التحليلية، يتبين أن الإعلال ليس عارضاً شكلياً يمارسه المتكلم للهروب من الثقل الصوتي المباشر فحسب، بل هو صناعة صرفية معجمية متكاملة توظف التغيرات الصوتية (من قلب وتسكين وحذف) لخدمة الفروق الدلالية الدقيقة، وتطوير المادة المعجمية وتوسيع طاقاتها التعبيرية لتستوعب المقاصد الإنسانية والبيانية كافة في أبهى صورها.

المبحث الثاني: علل الإبدال الصرفية وتوجيهاته الدلالية

توطئة:

يُمثل الإبدال الصرفي والصوتي ظاهرة لغوية مركزية في بنية اللسان العربي، إذ يعكس مرونة الجهاز النطقي وقدرة اللغة على التكيف المستمر لتحقيق أقصى درجات الانسجام الصوتي من دون التفريط بالحمولة الدلالية والمعجمية. والإبدال -في جوهره الصرفي- يتجاوز مجرد التعويض الميكانيكي لحرف مكان حرف آخر، بل يقوم على فلسفة لغوية عميقة ترتبط بمبادئ استخفاف الثقل، وتقريب المخرج، وتجانس الصفات الصوتية بين الصوامت المتجاورة أو المتباعدة. وقد حظيت هذه الظاهرة باهتمام بالغ لدى المعجميين العرب، وعلى رأسهم العلامة ابن منظور، إذ لم يقتصر دوره على سرد اللغات والروايات التي وقع فيها الإبدال، بل عمد إلى تحليل العلل الصرفية الكامنة خلف هذا التحول، وتوجيه آثاره الدلالية والتعبيرية.

وتكشف دراسة الإبدال في لسان العرب عن التداخل الوثيق بين المستويين الصرفي والدلالي، إذ يتحول التغير الصوتي الناتج عن الإبدال إلى أداة إثراء معجمي تولد ظلالاً معنوية جديدة، أو تؤكد معاني القوة والشدة والتأكيد، أو تنشئ مترادفات لغوية تتفاوت في دقتها التعبيرية. وسيقوم هذا المبحث باستقراء المادة المعجمية في لسان العرب استقراءً تحليليًا تطبيقيًا، لتفكيك علل الإبدال في حروف العلة والهمزة، وفي صيغتي (افتعل وتفاعل)، وفي الإبدال الصوتي المعجمي غير القياسي، ثم بيان الأثر الدلالي التراكمي لهذه التغيرات على المعجم العربي.

المطلب الأول: إبدال أحرف العلة والهمزة

تمثل الهمزة -بثقلها الصوتي وصعوبة أدائها النطقي، مع أحرف العلة بمدوديتها وانسيابيتها- منطقة تفاعل صرفي وثيق تخضع لقوانين دقيقة للإبدال، إذ ينوب أحد هذه الحروف عن الآخر طلبًا للتخفيف وتحقيقًا للأمن الصوتي، أو دفعًا للثقل الناجم عن مجاورة الأصوات المتنافرة. وقد بيّن ابن جني في المنصف أن الهمزة -لما كانت أبعد الحروف مخرجًا وأشدّها كلفة على اللسان- كثر إبدالها من أحرف العلة، كما كثر إبدال أحرف العلة منها، لتستقيم أوزان الكلام وتتحقق سلاسة النطق (ابن جني، ١٩٥٤، ج ١، ص ٢١٠).

وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح تحليلي في لسان العرب عند استعراض صيغ اسم الفاعل من الثلاثي معتل العين، والأسماء الممدودة، والمصادر. ففي مادة (ق و ل) ومادة (ب ي ع)، عند صوغ اسم الفاعل على وزن (فَاعِل)، نجد الأصل الصرفي (قَاوِل) و(بَايِع)، إذ وقعت الواو أو الياء بعد ألف زائدة في صيغة اسم الفاعل، فنشأ عن ذلك ثقل نطقي، فجاءت العلة الصرفية لتقليل هذا الثقل عبر إبدال العين، وهي الواو أو الياء، همزةً، لتصير (قَائِل) و(بَائِع) (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٨، ص ٢٤، ج ١١، ص ٥٧٤).

يوضح التحليل التطبيقي لهذا الإبدال أن الهمزة -بديناميتها الصوتية- أوجدت حدًا فاصلًا بين الألف الزائدة وبقية بنية الكلمة، مما منع التداخل الصوتي وحافظ على البناء الصرفي للوزن. أما من الناحية الدلالية، فإن إبدال الواو والياء همزةً يمنح اسم الفاعل نبرةً تقريريةً جازمةً تثبت الوصف لفاعله؛ فالنطق بالهمزة يقطع الامتداد المدي للواو أو الياء، ويؤكد صدور الفعل عن الفاعل بصورة قطعية وناجزة.

كما يظهر هذا الإبدال جليًا في الأسماء الممدودة، ولا سيما ما جاء منها على وزن (فَعْلَاء) أو (فِعَال)، عند تطرف الواو أو الياء بعد ألف زائدة، مثل (سَمَاء) وأصلها (سَمَاو) من السمو، و(بَنَاء) وأصلها (بَنَائِي) من البناء؛ إذ وقعت الواو والياء متطرفتين إثر ألف زائدة، فأبدلتا همزةً لوقوعهما في منطقة الضعف الصوتي عند الطرف، مع تقدم الألف الممتدة، تحقيقًا للتخفيف والأمن الصوتي (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ٣٤٢).

ويشير ابن منظور في مادة (س م و) إلى إبدال الواو همزةً في (سَمَاء)، وهو إبدال لا يحقق السلاسة الصوتية فحسب، بل يمكن أن يُقرأ في ضوء الدلالة المعجمية للعلو والرفعة؛ إذ إن الصوت الهمزي الانفجاري الوارد عقب الألف يعطي انطباعًا صوتيًا بالاتساع والانتهاة إلى قمة مرتفعة، بما ينسجم مع المفهوم المعجمي للسماء (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٤، ص ٣٩٨).

وفي الاتجاه المعاكس، وردت في العربية حالاتٌ تُخَفَّف فيها الهمزة أو تُبدل حرف علة، واوًا أو ياءً أو ألفًا، طلبًا للتخفيف النطقي وتحقيقًا للأمن الصوتي، ولا سيما في بعض البيانات الصوتية التي تثقل فيها الهمزة، كما في بعض صور تخفيف الهمزة في نحو (ذُنْب) و(رَأْس)، إذ قد تُبدل الهمزة ياءً أو ألفًا في بعض اللهجات والاستعمالات، فتقال: (ذِيب) و(رَاس). ويجري نحو ذلك في بعض صور إبدال الهمزة واوًا، بحسب البيئة الصوتية واللهجة الواردة فيها. ويعلل الاستراباذي ذلك بأن

الهمزة إذا سكنت وانفتح أو انضم أو انكسر ما قبلها تميل طبائع العرب إلى تقليبها إلى حرف حركة ما قبلها ليجري الصوت سهلاً غير مقطوع (الاستراباذي، ١٩٧٥، ج٣، ص٢٨٥).

ويحلل ابن منظور هذه الظاهرة معجمياً موضعاً أن إبدال الهمزة ياءً أو واوًا في هذه المفردات ينقل اللفظة من النبرة الشديدة الحادة إلى النبرة اللينة الممتدة، مما يوائم الاستعمال اليومي والتعبير السريع من دون خرم للمعنى الأصل للمادة. وهكذا نرى أن إبدال أحرف العلة والهمزة في لسان العرب يدور في أفلاك متكاملة توازن بين متطلبات الخفة الصوتية في جهاز النطق وبين المحافظة على التوجيه الدلالي للمفردة.

المطلب الثاني: الإبدال في (افْتَعَلَ) و(تَفَاعَلَ) وما تفرع منهما

تُعَدُّ المورفيمات الصرفية المزيدة، ولا سيما تاء (افْتَعَلَ) وتاء (التفاعل والتفعّل)، من أكثر الحقول الصرفية خضوعاً لقوانين الإبدال والتجانس الصوتي، نظراً لمجاورة هذه التاء لأصوات متباينة في المخرج أو الصفات، كالطباق والجهر والذلاقة. فالتاء صوت مهموس شديد، مخرجه من أصول الثنايا العليا وما يحاذيها من طرف اللسان، فإذا وقعت بعد حروف الإطباق الشديدة (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء)، أو جاورت بعض الأصوات التي تختلف عنها في الجهر والصفات، حدث تنافر صوتي يجعل الانتقال من صوت إلى آخر كلفةً نطقيةً، فكان الإبدال الصرفي وسيلةً لتحقيق التجانس الصوتي والأمن الصوتي (ابن عصفور، ١٩٨٢، ج١، ص٣٢٥).

ويستعرض ابن منظور تطبيقات غنية لهذه الظاهرة في شتى أصول المواد المعجمية. ففي مادة (ص ب ر)، نجد الصيغة المزيدة من الفعل هي (اصْتَبَرَ) بوزن (افْتَعَلَ)، إذ وقعت تاء افتعل إثر الصاد، وهي حرف إطباق وصفير قوي، فأبدلت التاء

طاءً لتصير (اصْطَبَرَ)؛ لأن الطاء تتفق مع الصاد في الإطباق والاستعلاء، وتتقارب مع التاء في المخرج، فكان هذا الإبدال التوافقي حلاً وسطياً يحفظ صفة الإطباق من دون إخلال بالوزن (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٥، ص ٢٤٢).

أما في مادة (ز ج ر)، فإن الصيغة هي (ازْجَرَ)، وقعت التاء فيها بعد الزاي، وهي حرف مجهور صفيري، والتاء صوت مهموس، فحدث التناظر بين الجهر والهمس، فأبدلت التاء دالاً مجهوراً تتفق مع الزاي في الجهر، وتتقارب مع التاء في المخرج، فصارت (ازْجَرَ) (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٥، ص ٣٢٠).

ويكشف التحليل الدلالي المعمق لهذه التغيرات الصرفية عند ابن منظور عن ارتباط وثيق بين تفخيم الصوت المنقلب وبين المبالغة في المعنى المعجمي. فصيغة (اصْطَبَرَ) بإبدال التاء طاءً مفخمة تفيد من المعنى الدلالي ما لا تفيده الصيغة الأصلية المفترضة (اصْتَبَرَ)؛ إذ إن الصوت الطائي القوي الجسور يطابق المشقة النفسية والشدة المطلوبة في فعل الصبر والمكابدة، وكأن تفخيم المبنى بالإبدال الصرفي جاء صدئاً لتفخيم المعنى وتأكيده. ومثل ذلك نجد في مادة (ض ر ب) عند صوغ (اضْطَرَبَ) بدل (اضْتَرَبَ)، إذ تعكس الطاء المفخمة شدة الحركة واضطراب الأمواج أو الأفكار وقوتها في الواقع المعجمي. وفي صيغة (تَفَاعَلَ) و(تَفَعَّلَ)، يظهر الإبدال والإدغام عند مجاورة التاء لأصوات قريبة المخرج، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَنَقَّلْتُمْ﴾ (سورة التوبة: الآية ٣٨)، إذ اجتمعت التاء والتاء في بنية الفعل (تَنَقَّلْتُمْ)، فاقتضت المجاورة الصوتية التخفيف في بعض وجوه الأداء، بما ينسجم مع مبدأ الأمن الصوتي والتجانس بين الأصوات المتجاورة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٨٨).

ويؤكد توجيه ابن منظور الدلالي لهذه الظاهرة أن هذا الإبدال الناجم عنه الإدغام يوحى بالثقل الشديد والتباطؤ الرتيب، إذ يجسد التكتل الصوتي المزدوج ثقل الحركة الجسدية والنفسية للمتثاقلين. كما يورد المعجم مادة (د ث ر)، وفيها (ادْثَرَّ)

وأصلها (تَدَثَّرَ)، إذ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، لتفيد الدلالة المعجمية الشاملة للاشتداد والانغماس التام في الدثار والتغطية المتكاملة.

ويتضح من هذه الأمثلة التحليلية أن الإبدال في أوزان (افْتَعَلَ) و(تَفَاعَلَ) ليس مجرد استجابة لضرورات التيسير النطقي، بل يمكن أن يُقرأ بوصفه توظيفاً للبنية الصوتية المفخمة أو المجهورة لتجسيد المعاني المعقدة التي تتطلب أداءً لغوياً يتسم بالقوة والشدة والعمق والتأكيد المعنوي.

المطلب الثالث: الإبدال اللغوي المعجمي غير القياسي

يتجاوز الإبدال في العربية أطره الصرفية القياسية ليلمس منطقة لغوية واسعة تُعرف بالإبدال المعجمي أو الصوتي غير القياسي، وهو التحول الذي يقع بين حروف صحيحة متقاربة في المخرج أو الصفة من دون أن يكون ذلك مشروطاً بقاعدة صرفية مطردة كإبدال افتعل أو إعلال أحرف العلة. وقد أفرد ابن فارس وابن جني لهذا النوع أصولاً واسعة، مؤكدين أن تقارب الأصوات في المخارج يؤدي -بضرورة الحال- إلى التقارب في المعاني واستعارة الأحرف بعضها من بعض في لغات العرب المتباينة (ابن جني، ١٩٥٤، ج ٢، ص ١٤٥).

المطلب الثالث: الإبدال اللغوي المعجمي غير القياسي

يتجاوز الإبدال في العربية أطره الصرفية القياسية ليلمس منطقة لغوية واسعة تُعرف بالإبدال المعجمي أو الصوتي غير القياسي، وهو التحول الذي يقع بين حروف صحيحة متقاربة في المخرج أو الصفة من دون أن يكون ذلك مشروطاً بقاعدة صرفية مطردة كإبدال افتعل أو إعلال أحرف العلة. وقد أفرد ابن فارس وابن جني لهذا النوع أصولاً واسعة، مؤكدين أن تقارب الأصوات في المخارج يؤدي -بضرورة الحال- إلى

التقارب في المعاني واستعارة الأحرف بعضها من بعض في لغات العرب المتباينة (ابن جني، ١٩٥٤، ج ٢، ص ١٤٥).

وسجل ابن منظور مئات النماذج التحليلية لهذا الإبدال المعجمي، محافظاً على نسبة كل لغة إلى أصحابها، ومبيناً العلل الصوتية والتوجيهات المعنوية المترتبة عليها. ومن أبرز أمثلة هذا الإبدال، تحول الميم إلى نون في أواخر الكلمات للتقارب الصوتي بينهما في الصفات الغنيّة وشديدة الخفاء، نحو (غَيْم) و(غَيْن)، و(جَلَمَد) و(جَلَنَد). ففي مادة (غ ي م) ومادة (غ ي ن)، يذكر ابن منظور أن الغيم والغين بمعنى السحاب المظلم، وأن النون مبدلة من الميم لتقاربهما في الغنة والتوسط (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٢، ص ٤٤٠).

ويعكس تحليل هذا الإبدال ثراء العطاء المعجمي، إذ أوجد هذا التحول الصوتي صيغتين معجميتين تتنازعان المعنى العام وتتحدان في الأصل. ومثل ذلك إبدال اللام ميماً في لغة جمير، أو إبدال الباء ميماً في نحو (بَكَّة) و(مَكَّة) في مادة (ب ك ك) ومادة (م ك ك)؛ إذ يوضح ابن منظور أن الباء والميم حرفان شفويان متجانسان، أبدلت الباء ميماً للتخفيف، ونظراً لما تجلبه الميم من سعة صوتية وغنة تنسب إلى المكان الشريف، وتفيد معنى الزحام والتدافع (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٠، ص ٢٨).

ومن التطبيقات الدقيقة أيضاً، إبدال الحاء خاءً أو العين غيناً لتقارب حروف الحلق، نحو (صَحَب) و(صَحَب)، و(مَذَخ) و(مَذَخ) في مادة (م ذ ح). إذ يبين شرح ابن منظور أن (المَذَخ) بالحاء هو التمزق أو الاحتكاك الخفيف في الجلد، بينما (المَذَخ) بالحاء المعجمة يُستعمل للشدة والغلظة في ذلك الاحتكاك (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٣، ص ٣٩٥).

وهنا تتجلى أهمية تحليل الإبدال غير القياسي؛ فالإبدال لم يبلغ الفروق الدلالية وانما وُظف لإنشاء درجة جديدة من درجات المعنى، فالصوت الأخرى والألين (الخاء) يُستعمل للمعنى الخفيف، بينما الصوت الأغلط والأخشن (الخاء) يُستعمل للمفهوم الأشد والأقسى. وفي إبدال السين صاءً عند مجاورة الخاء أو الغين أو القاف أو الطاء (حروف الاستعلاء)، نحو (صَقَر) و(سَقَر)، و(صِرَاط) و(سِرَاط)، يشرح المعجم أن الأصل هو السين، ولكنها أبدلت صاءً لتطابق الاستعلاء الموجود في القاف أو الطاء، مع الإشارة إلى أن القراءة بالصاد تفيد التفضيم التهويلي المباشر (كما في سقر وجهنم)، في حين تعود السين إلى الأصل الرقيق المفرد (ابن منظور، ١٩٩٠، ج٤، ص٤٥٢).

ويدلل هذا التحليل الاستقرائي على أن الإبدال المعجمي غير القياسي في لسان العرب كان بمنزلة مصنع لغوي تتولد فيه الألفاظ وتتنوع، بحيث يكون لكل حرف مبدل وظيفة دلالية دقيقة تنقل للمتلقى جرس الفعل أو الصفة بوضوح لا يتأتى لو ظلت الكلمة حبيسة صيغتها الأولى.

المطلب الرابع: التوجيه الدلالي للإبدال في تنوع المادة المعجمية

إن النتيجة المباشرة لتشعب تطبيقات الإبدال القياسي وغير القياسي تتجسد في إثراء المعجم العربي، وتكثير بدائله اللفظية، ومنحه قدرة فائقة على التعبير عن الفروق الدقيقة بين الأشياء والمعاني المتصاقبة. فالكلمة -حين يدخلها الإبدال- تتحول في (لسان العرب) من مجرد فرع لغوي مهجور إلى جزر دلالية مستقلة تُغني الخطاب الأدبي والبياني. وقد اعتنى ابن منظور عناية خاصة بالتوجيه الدلالي القائم على تنوع المباني المبدلة، مبنياً أن هذا التنوع ليس نافلة من القول ولا اضطراراً في اللسان، بل هو ثراء تعبيرى يتيح للمتكلم اختيار اللفظ الأنسب للمقام والسياق (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١، ص١٥).

ومن النماذج التطبيقية الدالة على هذا التوجيه المعجمي، ما أورده في مادة (ج ذ م) ومادة (ج ذ ذ)، وفي إبدال الذال دالاً في نحو (جَذَم) و(جَذَم) و(جَذَ)؛ إذ يحل المعجم دلالة القطع المترتبة على هذه المادة، مبيّناً أن استعمال الذال المعجمة (جَذَم) يفيد القطع السريع اللين للمواد الضعيفة أو الشجر، في حين أن إبدال الذال دالاً مهمة شديدة (جَذَم) ينقل المعنى إلى القطع الصلب الشديد للجومات والأجسام الغليظة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١٢، ص٩٥).

وهنا أعاد التحول الصوتي الصرفي تشكيل المعنى المعجمي ليطابق الصلابة الصوتية مع الصلابة المادية للمفعول. وتظهر هذه الظاهرة التطبيقية أيضاً في إبدال الضاد ظاءً أو العكس في بعض اللغات المسجلة في المعجم، نحو (فَضَّ) و(فَظَّ)؛ ففي مادة (ف ض ض) نجد الفَضَّ هو الكسر والتفريق الشديد للأجسام، كما في (فَضَّ الخاتم، وفَضَّ الجمع)، بينما في مادة (ف ظ ظ) بالطاء المبدلة، يتجه المعنى كلياً نحو الشدة المعنوية وقسوة الأخلاق والغلظة في المعاملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٥٩) (ابن منظور، ١٩٩٠، ج٧، ص٢٠٥).

فالإبدال بين الضاد والطاء أحدث تنوعاً معجمياً فصل بين المادي المحسوس وبين المعنوي النفسي، مما أتاح للغة مدى أوسع للتعبير والتصنيف. ومثل ذلك ما نجده في مادة (ه د م) ومادة (ه د د)، وفي إبدال الهاء همزة في نحو (أَرَأَق) و(هَرَأَق)؛ إذ أبدلت الهمزة هاءً للتنفيس الصوتي والتكثير، فيوجه ابن منظور الدلالة موضحاً أن (هَرَأَق) تدل على الصب الشديد المتتابع بكثرة وتدفق، بما يتجاوز الصب الاعتيادي المفهوم من (أَرَأَق)؛ لأن الصوت الهائي الممتد يوازي التدفق المتصل للماء (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١٠، ص٣٦٠).

كما يعرض ابن منظور التنوع الدلالي الناتج عن إبدال النون لأمّا في (هَنَّت) السماء و(هَنَّتْ)، إذ يفيد إبدال اللام نوّناً رقة القطرات وتتابعها الهادئ، بينما يفيد اللام الاتساع والغزارة. ويتضح للمتأمل في هذه الشواهد المعجمية التطبيقية أن التوجيه الدلالي للإبدال في لسان العرب يرتكز على قاعدة أصلية مفادها: "كل زيادة أو تغيير في المبنى الصوتي عبر الإبدال يتبعه بالضرورة تحول أو تخصيص أو تكثيف في المعنى المعجمي".

وبذلك يتضح أن الإبدال لم يكن مجرد ظاهرة صوتية هامشية لفرار اللسان من النّقل، بل كان استجابة حية لحاجة الفكر العربي إلى التمكن من التعبير عن أسرار الطبيعة والنفس والخطاب بأدق الألفاظ وأكثرها ملاءمة ومطابقة للمقاصد.

المبحث الثالث: التداخل بين الإعلال والإبدال وأثره في الدلالة

توطئة:

يُمثل التداخل بين ظاهرتي الإعلال والإبدال ذروة التعقيد والتكامل في الهندسة الصرفية العربية، إذ لا تقتصر البنية الكلمية في كثير من الأحيان على استقبال تغيير صرفي واحد، بل تتشابك فيها التحولات الصوتية لتجتمع علل القلب والتسكين والحذف مع قوانين التعويض والإبدال في صيغة صرفية واحدة. وإن هذا التداخل ليس مجرد إثقال صناعي أو مصادفة فونولوجية عارضة، بل هو مظاهر اتساق المعمار اللغوي الذي يسعى جاهداً للتوفيق بين خفة الأداء النطقي على ألسنة الفصحاء وبين ثراء الشحنة المعنوية المراد تحصيلها في الخطاب. وقد أدرك أئمة العربية، وفي مقدمتهم ابن منظور أن الكلمة التي يجتمع فيها الإعلال والإبدال تمثل أرضاً خصبة للدراسة الصرفية المعجمية؛ نظراً لأن فك اشتباك الأصول عن الفروع المبدلة والمُعلة يتطلب حساً نقدياً عالياً يربط حركة الحرف وتغيره بالمعنى المعجمي المراد إبلاغه. وتأتي أهمية هذا المبحث من تركيزه على الجانب التحليلي التطبيقي، واستقراء الشواهد

المعجمية الصريحة في (لسان العرب) التي التقت فيها الظاهرتان، للوقوف على كيفية تعامل ابن منظور مع العلل المزدوجة، ومدى انعكاس هذا التداخل على الفروق المعجمية الدقيقة والسعة الدلالية للألفاظ، مما يبرز عبقرية المعجم العربي بوصفه مدونة لم تقف عند حدود الشرح الجاف، بل تعدته لتأسيس نظرية دلالية صرفية متكاملة.

المطلب الأول: اجتماع الإعلال والإبدال في صيغة واحدة

يقصد باجتماع الإعلال والإبدال في الصيغة الصرفية الواحدة خضوع الكلمة لعملية تحوّل مزدوجة، إذ ينال الإعلال أحرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف، بينما ينال الإبدال الصوامت أو الأحرف الصحيحة أو المعتلة بتبديلها حرفاً آخر لتأمين التجانس المخرجي أو التخفيف. ويذكر سيبويه أن الكلمة قد تتطرق إليها العلل المتعددة متتابعة حتى تبدو للمتكلم وكأنها بناء مبتكر لم يسبق له أصل، غير أن التصريف الدقيق يرد كل تحول إلى علته الموجهة (سيبويه، ١٩٨٨، ج٤، ص٤١٢).

وتبرز التطبيقات المعجمية التحليلية لهذه الظاهرة بوضوح في (لسان العرب) عبر دراسة ممتدة لمواد متنوعة. ففي مادة (وق ي)، نجد المصدر أو الصفة المشتقة مثل (نُقَاة) و(تَقِيّ)، وتظهر في (نُقَاة) ظاهرة إبدال الواو تاءً في أول الكلمة، وهي من صور الإبدال اللغوي التي وردت في كلام العرب، ثم استقرت الصيغة على صورتها المستعملة (نُقَاة)، بما يكشف عن تداخل الظواهر الإبدالية والإعلالية في بناء الصيغة الصرفية واستقرارها في الاستعمال المعجمي (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١٥، ص٤٠١).

إذ اجتمع في هذه الكلمة الواحدة إبدال فاء الكلمة (إبدال الواو تاءً) وإعلال العين بالقلب (قلب الياء ألفاً)، والتحليل الدلالي لهذا الاجتماع الصرفي المزدوج يوضح أن إبدال الواو تاءً منح الكلمة جهريةً وقوةً في الاستهلال النطقي، بما يناسب مفهوم الوقاية والحماية والصلابة، بينما أضفى إعلال الياء ألفاً امتداداً وحركةً سريعةً تجسد

الفعل الوقائي، فتطابقت البنية الصرفية المزدوجة تمامًا مع المعنى المعجمي للوقاية الحسنة.

وفي مادة (ي ق ن)، نجد اسم الفاعل أو الصفة (مُوقِن) وأصلها (مُيَقِّن) من الفعل (أَيَقَّن)، إذ وقعت الياء ساكنةً إثر ضمة، فأبدلت الياء واوًا لمناسبة الضمة وتجانس الحركة، فصارت (مُوقِن) بالإبدال الصرفي، ثم يتداخل هذا الإبدال مع التسكين والتخفيف النطقي في بقية المشتقات (ابن جني، ١٩٥٤، ج ٢، ص ٢٢٠).

ويوجه ابن منظور الدلالة المعجمية في (مُوقِن) موضحًا أن التحول من نبرة الياء الانكسارية الحادة إلى الواو الممتدة المنضمة يمنح اللفظة ثقلًا ورصانة صوتية تطابق مفهوم "اليقين" بوصفه ثباتًا فكريًا واستقرارًا قلبيًا لا ينتابه الشك ولا التردد (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٣، ص ٤٥٨).

وهناك نموذج آخر حافل بالتداخل نجد في مادة (س و د)، عند تحليل الصفة المشبهة (سَيِّد) وأصلها (سَيُّود) بوزن (فَعِيل)، إذ اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون (الياء ساكنة والواو مكسورة)، فقضت القاعدة الصرفية بإبدال الواو ياءً لعلّة المجاورة والسبق بالسكون، ثم أدغمت الياء في الياء فصارت (سَيِّد) (ابن عصفور، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٥١٠).

ويربط التوجيه المعجمي في (لسان العرب) هذا التداخل الصرفي المزدوج (الإبدال ثم الإدغام) بالمعنى الوظيفي؛ إذ إن التضعيف الناتج عن إبدال الواو ياءً وإدغامها أوجد نبرة قوية مشددة في وسط الكلمة تعكس معاني السيادة، والارتفاع، والشرف، والسيطرة المتمكنة، وكأن الثقل الصوتي المشدد المقبول بديل عن الثقل المنفر للتنافر بين الواو والياء، ليقدم رأس المفهوم المعجمي للسيادة. وكذلك نجد في مادة (و ط ن) عند استعراض صيغة (اتَّطَنَ) أو (اتَّعَدَ) في مادة (و ع د)، إذ أبدلت

الفاء (الواو) تاءً وأدغمت في تاء افتعل (إبدال وإدغام)، ثم جرى الإعلال بالتسكين والقلب في التصارييف الملحقه بها.

ونثبت هذه الأمثلة التطبيقية أن اجتماع الظاهرتين في لسان العرب كان خياراً متكاملأ يعيد تنظيم المادة الصوتية لتكون أكثر اقتداراً على استيعاب المقاصد المعنوية والوظائف المعجمية المركبة.

المطلب الثاني: العلل الصرفية المزدوجة وموقف ابن منظور منها

تتعدد العلل الصرفية وتتشابك حين تتسلسل التغيرات على البنية الواحدة، مما يتطلب من المعجمي ألا يقف موقف الناقل المحايد، بل أن يمارس ترجيحاً نقدياً يعلل فيه سبب تقديم علة الإعلال على الإبدال، أو استلزام الإبدال لحذف آخر، معتمداً على أصول الصناعة عند أئمة النحو كالخليل، وسيبويه، وابن جني. ويظهر موقف ابن منظور في (لسان العرب) جلياً عبر حرصه على نقل واستقراء هذه التوجيهات المزدوجة وترجيح ما يوافق السليقة اللغوية والمعنى المعجمي المباشر (ابن منظور، ١٩٩٠، ج١، ص١٤).

ففي مادة (ق و م)، عند تحليل المصدر أو اسم المكان (مَقَام) واسم المفعول (مَقُوم)، يستعرض المعجم التداخل بين علة النقل (الإعلال بالتسكين) وعلة القلب؛ فأصل (مَقَام) هو (مَقُوم) بوزن (مَفْعَل)، نُقلت حركة عين الفعل (الفتحة) إلى القاف الساكنة قبلها لعله الإعلال بالنقل، فلما تحركت القاف بالفتح وأصبحت الواو ساكنة مجانسة في الأصل للتحرك والأصل في الاستحقاق، قلب حرف العلة ألفاً لتناسب الفتحة المنقولة إلى القاف فصارت (مَقَام) (الاستراباذي، ١٩٧٥، ج٣، ص١٨٨).

ويناقش ابن منظور موقف اللغويين من هذه العلة المزدوجة (النقل ثم القلب)، موضحاً أن العلة الأولى (النقل) كانت خادمة لطلب الخفة والتخلص من تحريك حرف

العلة، بينما العلة الثانية (القلب) تتطلب الانسجام الصوتي بين الحركة المنقولة والحرف التابع لها، ليكون الناتج النهائي كلمة سهلة التداول تدل على ثبات المكان والتمكين فيه (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٢، ص ٤٩٨).

أما في اسم المفعول (مَقُوم) وأصله (مَقُوم) بوزن (مَفْعُول)، فيبرز موقف ابن منظور في ترجيح علة الحذف الناتجة عن اجتماع الساكنين بعد الإعلال بالنقل؛ إذ نقلت ضمة الواو الأولى إلى القاف، فالتقت الواو الأولى الساكنة بالواو الثانية الزائدة لاسم المفعول، وهنا اختلف الصرفيون: هل المحذوف هو عين الفعل (الواو الأولى) أم هل هو واو مَفْعُول الزائدة (الواو الثانية)؟ وينقل ابن منظور رأي سيبويه الذي يرى أن المحذوف هو واو مَفْعُول الزائدة؛ لأن العين هي الحرف الأصلي الدال على المادة والمعنى، والأولى بالبقاء هو الأصل، بينما ينقل رأي أبي الحسن الأخفش الذي يرى حذف العين للتخفيف (سيبويه، ١٩٨٨، ج ٤، ص ٣٥٦؛ ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٢، ص ٥٠١).

ويدعم ابن منظور ترجيح سيبويه بالربط المعجمي؛ لأن بقاء عين المادة المعجمية يحفظ الجذور الدلالية للكلمة ولا يهدر قيمتها المعجمية، وهو ما يؤكد وعي المعجمي بأهمية المحافظة على الجوهر المعنوي في أثناء أعمال العلل الصرفية المزدوجة. ومثل ذلك يتجلى في مادة (ر أ ي)، عند تحليل الفعل المضارع (يَرَى) وأصله (يَرَأَى)، إذ التقت علة تخفيف الهمزة بالنقل والإسقاط مع علة إعلال الياء بالقلب ألفاً؛ فنقلت حركة الهمزة (الفتحة) إلى الراء الساكنة قبلها، ثم حذفت الهمزة للتخفيف فصارت (يَرَى)، ثم تحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب النقل، فقلبت ألفاً فصارت (يَرَى) (ابن جني، ١٩٥٤، ج ١، ص ٣١٢).

ويرى ابن منظور أن هذه السلسلة من العلل الصرفية المزدوجة (النقل، ثم الحذف، ثم القلب) جاءت لتجعل الفعل الكسير الدائم الاستعمال في الكلام البشري

أسرع الأفعال جريئاً على الألسنة؛ لأن رؤية العين والفكر عمليتان خاطفتان كثير تداولهما، فوازت الخفة الصرفية المطلقة السرعة الدلالية المطلوبة للمفهوم (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٤، ص ٢٩١).

ويتبين من هذا التحليل أن ابن منظور لم يتعامل مع العلل الصرفية المزدوجة كقواعد جافة، بل درسها بموقف نقدي تحليلي يربط فيه ترتيب العلل وتداخلها بالحفاظ على الأصول المعجمية وتيسير الأداء الدلالي.

المطلب الثالث: الظواهر الدلالية المترتبة على التداخل

يؤدي التداخل المباشر بين الإعلال والإبدال في المادة المعجمية الواحدة إلى ظاهرة لغوية جلية الأثر تتمثل في نشوء الفروق المعجمية والدلالية بين الصيغ المتشابهة أو المشتقة من أصل واحد. فالبناء الصرفي -حين يتغير بزيادة إبدال أو تعديل إعلال- يكتسب وظيفة تخصيصية تقسم المعنى الكلي للمادة إلى ظلال معنوية جزئية، تمنح اللغة قدرة دقيقة على التمييز بين المفاهيم المتقاربة.

واعتنى ابن منظور برصد هذه الفروق الدلالية المترتبة على التحولات الصرفية المزدوجة، مبيناً أن اختلاف المبنى التداخلي بجلبه اختلافاً حتمياً في المعنى (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٨). ومن الأنماط التطبيقية البارزة لهذه الفروق المعجمية، ما نجده في مادة (د و ر) بين الصيغتين (المَدَار) و(المَدُور) و(الدَّوَار)؛ إذ إن أصل (مَدَار) هو (مَدُور) بوزن (مَفْعَل) خضعت للإعلال بالنقل والقلب، بينما خضعت (الدَّوَار) لتضعيف العين مع الحفاظ على الواو، ويوجه ابن منظور الفرق الدلالي موضحاً أن (المَدَار) بالإعلال المزدوج تحول دلاليًا ليدل على المكان المحدد أو المحور الثابت الذي تدور حوله الأشياء (كمدار الفلك أو مدار الأمر)، في حين أن (الدَّوَار) بالتضعيف وعدم الإعلال يدل على الحركة الدائبة والمبالغة في الدوران والذات الكثيرة الحركة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ٤، ص ٢٩٨).

فالإعلال في "مدار" جرد الكلمة للجرف المكانية والاستقرار المحوري، بينما الحفاظ على الأصل مع التضعيف في "دوار" شحن الكلمة بالحركية والاضطراب. ومثل ذلك نجده في مادة (ق و ل) بين المفردتين (المَقَال) و(المَقُولَة)؛ فالأولى (مَقَال) مصدر ميمي أو اسم مكان أصله (مَقُول) حدث فيه إعلال بالنقل والقلب، فصارت مفردة خفيفة ممتدة بالألف، بينما الثانية (مَقُولَة) اسم مفعول مؤنث خضعت لإعلال بالنقل والحذف المزدوج، وتفرق الدلالة بينهما في المعجم بأن (المَقَال) يختص بجنس القول ومطلقه وفعل الحديث، بينما (المَقُولَة) خُصصت بالإعلال والحذف لتسمية الرأي المبتكر أو الأطروحة الفكرية المحددة التي يتداولها الناس ويحكمون عليها (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١١، ص ٥٧٧). وهنا أدى التداخل الصرفي إلى فصل القول الذهني المجرد عن القول الملفوظ المباشر.

ومنه ما ظهر في مادة (و ج هـ) في الموازنة بين (تَوَجَّه) و(اتَّجَه) و(الْوَجْهَة)؛ ففي (اتَّجَه) خضعت الفاء (الواو) للإبدال تاءً والإدغام في تاء افتعل (اتَّجَه أصلها اؤْتَجَه)، بينما أبقت (تَوَجَّه) على الواو الأصلية مع تضعيف العين. ويلفت ابن منظور الانتباه إلى الفروق المعجمية الناتجة عن هذا الإبدال؛ فيبين أن (اتَّجَه) بالإبدال الصرفي تستعمل للإقبال الحسي والمباشر نحو هدف معلوم تلقاء العين؛ لأن التاء المشددة أحدثت قطعاً وصوتية حادة تجسد القصد المباشر، في حين أن (تَوَجَّه) بالواو الظاهرة تستعمل للتوجه المعنوي والنفسي والسلوك القلبي الممتد (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٣، ص ٥٥٨).

وفي مادة (خ و ف)، هناك فرق بين (المَخَافَة) بالإعلال بالنقل والقلب، وبين (المَخَوْوف) بالإعلال بالحذف للنقل؛ فالمخافة أضحت اسماً للمشاعر النفسية الداخلية الباطنة، في حين المخوف وصف للأمر الخارجي المسبب للرعب.

يتبين من هذه الأمثلة التطبيقية أن التداخل الصرفي بين الإعلال والإبدال في لسان العرب يعمل كصانع دقيق للفروق المعجمية، إذ يخصص الصيغ ويمنح كل بناء صرفي معدل هويته الدلالية المتميزة التي تثري البيان اللغوي وتمنع الترادف التام من دون فائدة.

المطلب الرابع: منهج ابن منظور في ربط العلل الصرفية بالمعنى

يتميز المعمار النظري والتطبيقي لمعجم (لسان العرب) بوجود منهج تحليلي أصيل يرفض التعامل مع الظواهر الصرفية المعقدة كقواعد آلية معزولة، بل يسعى دائماً للبحث عن الغايات التعبيرية والمقاصد البيانية التي أدت إليها التغيرات الصرفية. وتتلخص معالم هذا المنهج عند ابن منظور في ثلاثة أركان أساسية: الاستقراء الشامل للشواهد الفصيحة من القرآن والحديث والشعر، والنقل النقدي لآراء أئمة الصرف مع الموازنة بينها، والربط العضوي المباشر بين علة التغير الصرفي (إعلالاً كان أم إبدالاً) أم تداخلاً بينهما) وبين الغرض المعجمي والدلالي للمادة (ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١، ص ٩).

وتظهر التطبيقات الحية لمنهجه التحليلي في العديد من المواضع التي صرح فيها بأن العرب لم تُعَلَّ الكلمة ولم تبدلها إلا لمطابقة معنى خفي أو إفادة مبالغة أو تخصيص. ففي مادة (ط و ق)، عند تحليله للفعل (أَطَاقَ) وأصله (أَطَوَّقَ)، يبيّن كيف خضعت الكلمة للإعلال بالنقل والقلب، لكنه لا يقف عند حد التفسير الصوتي، بل يتجاوزه ليتساءل عن العلة الدلالية لهذا الإعلال؛ ويستشهد برأي ابن جني موضحاً أن الإعلال في (أَطَاقَ) بقلب الواو ألقاً وتوسيع المخرج بالألف الممتدة جاء ليطابق المعنى المعجمي لـ "الطاقة"، وهي القدرة الواسعة التي تستوعب الشدة والمشقة (ابن جني، ١٩٥٤، ج ٢، ص ٢٨٠؛ ابن منظور، ١٩٩٠، ج ١٠، ص ٢٢٥). فالألف الممتدة

الناتجة عن الإعلال أصبحت رمزًا صوتيًا لسعة الطاقة والانتساع النفسي والبدني للمكلف.

وفي مادة (ج ب ر)، يتناول ابن منظور صيغة (اصْطَبَرَ) و(اجْتَبَرَ) ومقارنتها بـ(اجْتَبَرَ)، شارحًا منهج العرب في إبدال التاء طاءً مع حروف الإطباق، ويصرح بوضوح بأن هذا الإبدال التحولي بين الأصوات يهدف إلى إيجاد مابينة دلالية تجعل الصيغ المفخمة المبدلة مخصوصة بالأفعال التي تتطلب شدة وقسوة وجبرًا عظيمًا، بينما تبديلها أو إبقاؤها على الأصل يختص بالأمور اللينة المعنوية (ابن منظور، ١٩٩٠، ج٤، ص١١٢).

كما يتجلى منهجه التحليلي بوضوح عند مناقشة الألفاظ المعتلة المبدلة في الآيات القرآنية التي أوردها، كقوله تعالى في مادة (خ ط ف) "يَخْطَفُ" وأصلها (يَخْتَطِفُ)؛ حيث اجتمع في الكلمة إبدال التاء طاءً وإدغامها في الطاء لعلّة التقارب، مع تسكين الخاء وحركتها بالكسر أو الفتح للتخلص من التقاء الساكنين. ويحلل ابن منظور هذا التداخل الصرفي المزدوج تحليلًا دلاليًا، مبينًا أن الإدغام الشديد والتداخل الصوتي بين الخاء والطاء يمثل صورة صوتية سريعة خاطفة تطابق تمامًا المعنى المعجمي للخطفي السريع والمباغت (ابن منظور، ١٩٩٠، ج٩، ص٧٢).

فالسرعة الصوتية للإدغام والإبدال وازت السرعة الزمنية للحدث في الواقع. ومثل ذلك نجد في تحليله لمادة (ن ف ث) ومادة (ن ف خ)، إذ يربط بين إبدال التاء خاءً أو العكس وبين مقادير الهواء المندفَع من الفم، مبينًا أن التغير الصرفي الصوتي يلاحق المقادير المادية في الطبيعة.

يتضح من استقراء هذه النماذج أن منهج ابن منظور التحليلي لم يكن مجرد جمع للمرويات، بل كان منهجًا ينفذ إلى روح اللغة، ويعطي الأهمية للعلّة الصرفية بوصفها خادمة للوظيفة الدلالية، وموجهة للمعنى المعجمي، ومؤكدة أن التلاحم بين

المبنى والمعنى هو القانون الأعظم الذي يدير حركة اللسان العربي في أرقى تجلياته المعجمية.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبسطله وتوفيقه تنتزل البركات، والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الأمة، نبينا محمد الفصيح البيان، الواضح اللسان، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد طاف هذا البحث في رحاب معجم (لسان العرب) لابن منظور، مستكشفاً أسرار المعمار الصرفي والتوجيه الدلالي عبر الظواهر الفونولوجية والصرفية المحورية، المتمثلة في علل الإعلال والإبدال والتداخل المزدوج بينهما. إذ سعى البحث إلى إمطة اللثام عن تلك الفلسفة اللغوية العميقة التي تجعل من التغيرات البنيوية والصوتية ليست مجرد حيص بيص أو إجراءات آلية ميكانيكية لغرض التخفيف النطقي الفسيولوجي فحسب، بل وسائل تعبيرية طيبة، وأدوات صناعة معجمية دقيقة تسهم في إغناء المادة اللغوية، وتوليد ظلال المعاني، وتوسيع الطاقة البيانية للسان العربي. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في استنطاق المادة المعجمية، عبر ثلاثة مباحث متكاملة احتوت على مطالب تطبيقية ركزت على الشواهد والأمثلة الحية والنماذج الصرفية المتنوعة، متتبعةً علل القلب والتسكين والحذف والإبدال القياسي وغير القياسي، وكيفية انعكاس ذلك كله على الفروق المعجمية وبناء المفهوم للألفاظ. وفي نهاية هذه الرحلة العلمية في أعماق (لسان العرب)، يستعرض الباحثان خلاصة ما أسفرت عنه البحث عبر تحليل مركز للنتائج العلمية، يتلوه تقديم مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تؤسس لأفق لغوي وصرفي جديد.

أولاً: تحليل النتائج

- أثبت البحث أن التغير الصرفي الناجم عن الإعلال أو الإبدال لا يمثل مظهرًا شكليًا معزولاً عن المحتوى، بل إن كل تغير في بنية الكلمة الصوتية يتبعه بالضرورة- تحول أو تخصيص أو تكثيف في شحنتها المعجمية والدلالية، مما يؤكد مرونة العربية وشرف بنائها.

- كشفت الدراسة عن أن العلل الصرفية التقليدية (كطلب الخفة، والفرار من الثقل، ودفع التقاء الساكنين، وتقارب المخارج) ليست سوى علل ظاهرية مباشرة، تُخفي خلفها مقاصد دلالية عميقة؛ فالقلب إلى الألف يمنح امتدادًا وحركية للمفهوم، والإبدال إلى أصوات مفخمة يطابق الشدة والمكابدة في الفعل المعجمي.

- أظهرت الدراسة أن ابن منظور لم يكن مجرد جامع للمرويات والنصوص اللغوية، بل كان عالمًا تحليليًا يُوجّه التغيرات الصرفية توجيهًا دلاليًا، ويستثمر الخلافات بين كبار العلماء (كسيبويه والأزهري وابن جني) للربط بين أصل المادة والمعنى التداولي المستقر.

- بينت النتائج أن الإبدال الصرفي واللغوي (سواء أكان قياسيًا في أوزان مثل افتعل، أم غير قياسي بين الصوامت) يمثل الحقل الأساسي لتوليد الألفاظ وتفريع المعاني؛ إذ أدى الإبدال إلى الفصل بين المفهوم المادي الحسي والمفهوم المعنوي النفسي، ومنح الكلمات طاقات صوتية تتلاءم مع سياق التعبير.

- أثبتت الدراسة أن اجتماع الإعلال والإبدال في صيغة واحدة (كالقلب مع الإبدال، أو النقل مع الحذف والإدغام) لا يُربك النظام المعجمي، بل يُحدث توازنًا دقيقًا يتيح للكلمة تحقيق أقصى درجات الخفة الصوتية على الألسن مع المحافظة الكاملة على الجوهر المفهومي والدلالي للمادة.

- كشفت النتائج عن حرص النظام الصرفي العربي على إبقاء الأحرف الدالة على الجذر الأصلي عند الترجيح بين العلل؛ إذ إن المحذوف أو المبدل في حالات التقاء الساكنين غالباً ما يكون الحرف الزائد ليبقى الحرف الأصلي حاملاً للهوية المعجمية والدلالية للكلمة.

- أوضح البحث وجود مطابقة جرسية بين الأداء الصوتي للبنية المعدلة بالإعلال والإبدال وبين الحدث في الواقع؛ فالإدغام الشديد يوازيه إيقاع سريع ومباغت في المعنى، وتسهيل الهمزة وإعلالها بالمد يوازيه اتساع واستقرار في المعنى.

ثانياً: التوصيات

- يوصي الباحثان بضرورة إعادة تبويب المعاجم القديمة على وفق معايير دلالية وصرفية حديثة، تبرز العلاقات المباشرة بين الظواهر الفونولوجية (كالقلب والتسكين والإبدال) وبين التطبيقات المعجمية والدلالية للألفاظ.

- الدعوة إلى إجراء دراسات علمية أكاديمية مقارنة تتناول العلل الصرفية والتوجيهات الدلالية في معاجم لغوية أخرى (مثل المحكم لابن سيده، والمقاييس لابن فارس)، للوقوف على التطور التاريخي للتفسير الصرفي الدلالي.

- يوصي الباحثان بأهمية تجاوز التدريس التقليدي للقواعد الصرفية المعزولة في الجامعات والمؤسسات التعليمية، والتحول نحو المناهج التكاملية التي تربط التغير الصرفي بالوظيفة السياقية والبيانية للنص.

- توظيف المعطيات الفونولوجية واللسانيات الحديثة في قراءة ظواهر الإعلال والإبدال في التراث اللغوي وتعليلها، للكشف عن وجوه الانسجام الصوتي بين مخارج الحروف الشديدة والرخوة وبين المعاني المستحدثة.

- إنشاء معاجم متخصصة ترصد الفروق الدلالية بين الأبنية والمشتقات المتصلة بمادة معجمية واحدة بناءً على ما طرأ عليها من تغيرات إعلالية أو إبدالية، لتكون عوناً للأدباء والمترجمين والباحثين في اختيار اللفظة الدقيقة.

- التركيز على أفراد بحوث مستقلة تدرس آثار الإبدال والإدغام في الصيغ المزيدة (مثل افتعل وتفاعل واستفعل) وأثرها في التعبير عن صور المبالغة والشدة والمطاوعة في النصوص الأدبية والقرآنية.

إن هذا البحث إذ يقدم هذه النتائج والتوصيات، ليعترف بالفضل لأهله، مقرراً بأن المادة المعجمية والصرفية في (لسان العرب) أوسع من أن تحيط بها دراسة واحدة، ولكن حسب هذا العمل أنه فتح نافذة علمية تحليلية تبرز مدى العناية والعمق اللذين عالج بهما علماء العربية هذه اللغة الشريفة. ونسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خادماً للغة القرآن الكريم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم.**

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٥٤). المنصف: شرح كتاب التصريف للمازني (تحقيق إبراهيم مصطفى وحسن الزيات). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (٢٠١٣). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (١٩٩٦). المحكم والمحيط الأعظم (تحقيق عبد الحميد هنداوي). بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن الإشبيلية. (١٩٨٢). الممتع في التصريف (تحقيق فخر الدين قباوة، ط٤). بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (١٩٧٩). مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمد هارون). قم: مكتب الإعلام الإسلامي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٠). لسان العرب (ط١). بيروت: دار صادر.
- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. (١٩٧٥). شرح شافية ابن الحاجب (تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أنيس، إبراهيم. (١٩٩٩). الأصوات اللغوية (ط٥). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- جبل، محمد حسن حسن. (٢٠١٠). المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: مكتبة الآداب.
- حسان، تمام. (٢٠٠٠). اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: عالم الكتب.
- الخولي، محمد علي. (١٩٩٨). علم الأصوات. الرياض: مطبوعات جامعة الملك سعود.
- الراجحي، عبده. (١٩٩٩). التطبيق الصرفي. بيروت: دار النهضة العربية.
- الرمانى، أبو الحسن علي بن عيسى. (١٩٨٧). معاني الحروف (تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي). القاهرة: دار الشروق.
- السعران، محمود. (١٩٩٧). علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. بيروت: دار الفكر العربي.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- شاهين، عبد الصبور. (١٩٩٣). الدراسات اللغوية في القرآن الكريم. القاهرة: دار الاعتصام.
- عمر، أحمد مختار. (١٩٩٨). علم الدلالة (ط. ٥). القاهرة: عالم الكتب.

موقف التيار الاصلاحى فى المؤسسة الدينية فى النجف الاشرف من الحركة

الدستورية الفارسية (١٩٠٥-١٩١١)

أ.م.د . حسين عبد الواحد بدر

كلية التربية الأساسية - الجامعة المستنصرية

Husseinbder_200.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

دفعت ظروف داخلية وخارجية الشعب الايراني وفئاته المثقفة الى المطالبة بتغيير النظام السياسى من الحكم المطلق الذى يمثله الشاه الى الحكم التشاركي الدستورى القائم على الحياة البرلمانية والفصل بين السلطات، وفى عام ١٩٠٥ بدأت مطالبات علنية مرفقة بأحتجاجات واغلاق الاسواق واهمها البازار فى طهران ووجدت تلك المطالبات صداً فى النجف الاشرف مركز المؤسسة الدينية الشيعية فى العراق ذات التأثير الكبير فى العالم الاسلامى الشيعى، ومن حسن طالع تلك المطالبات كان تبلور تيار إصلاحى فى المؤسسة الدينية وجد فى تلك الحركة فرصته للتعبير عن آرائه الإصلاحية وقد انضجت تلك الحركة التوجهات الإصلاحية عن طريق الفتاوى الدينية المساندة و التأصيل الشرعى للأفكار الإصلاحية، حيث انبرى الشيخ محمد كاظم الخراساني للفتاوى الدينية والشيخ النائنى للتأصيل الشرعى وهما من كبار المرجعيات فى المؤسسة الدينية، لكن التيار المحافظ فى هذه المؤسسة والذى مثله السيد محمد كاظم اليزدي وقف ضد هذه التوجهات الإصلاحية ساندته عامة الناس الراضين لاي تغيير قد يبدو لهم مساس بثوابت المذهب، بالنتيجة نجحت الحركة الدستورية فى فارس (ايران منذ ١٩٣٥) بتحقيق مطالبها عام ١٩١١، غير ان وفاة السيد الخراساني فى نفس العام ادى لتراجع جذوة الإصلاح وستمر ذلك حتى الاحتلال البريطانى للعراق ووفاة السيد اليزدي، تكمن اهمية الموضوع من كونه يعالج تطوراً مهماً فى الفكر السياسى للمؤسسة الدينية وان التيار الاصلاحى اوجد ارضية مناسبة لتبنى العراقيين للأفكار الحديثه .

الكلمات المفتاحية : المؤسسة الدينية، التيار الإصلاحى، الحركة الدستورية

Abstract

After the outbreak of the Persian Constitutional Movement in the early twentieth century, the reformist current within the religious institution (the Hawza) in the city of Najaf al-Ashraf, the center of Shia Muslims in Iraq and the world, found an opportunity to express its modernist views

in adopting the constitutional option as a form of governance that goes beyond the traditional individual authoritarian model. This current was able to support that movement until it fully achieved its demands through religious fatwas and theoretical legal foundations for the legitimacy of the constitutional system. Of course, this current faced fierce opposition from the traditional current within the religious institution. Despite the reformist current's success in backing the constitutional movement in Persia, it suffered a setback after the death of Sayyid Muhammad Kazim Khorasani, and its influence waned in Najaf until it regained strength after the British occupation of Iraq. The researcher concludes that the constitutional movement stirred intellectual stagnation in the holy Shia cities and created environments for intellectuals, which later benefited Shia political thought in facing historical challenges and keeping pace with global modernist ideas. This is where the significance of the topic lies.

Keywords: The religious establishment, The Constitutional Movement ,The reformist current

المقدمة :-

مما لا شك فيه ان التطورات الفكرية والاجتماعية التي شهدتها اوربا بعد صراع بين المجتمع وبين السلطة سواء أكانت سياسية ام دينية (الكنيسة)، وأبرز نتائجها ظهور مجال جديد في الحياة الاجتماعية هو المجال السياسي، بمعنى انتقال مفهوم الدولة من وصفها مجرد سلطة تتمثل بالسلالات الحاكمة، إلى هيئة اجتماعية تستمد مشروعيتها وجودها وممارستها لوظائفها من رضا الشعب (المجتمع) بصيغة تعاقدية على وفق مبدأي العقد الاجتماعي والفصل بين السلطات، كان لها صداها في ارجاء عديدة من العالم ؛ وقد تأثر تياراً في المؤسسة الدينية في النجف بهذا التطور في الفكر السياسي العالمي.

وجد التيار الإصلاحى في المؤسسة الدينية في النجف الأشرف في المشروطة الفارسية (الدستورية بالفارسية) او كما يحلو للبعض وصفها بالثورة الدستورية الفارسية، فرصته للاعلان بقوة عن افكاره الإصلاحية . وبقدر تعلق الأمر بموقفه منها وتأثيره

بأحداثها، لاسيما ان الحديث عن المشروطة الفارسية يجب ان لا يخرج عن هذا الإطار اي ليس بحث تفاصيل الحركة الدستورية ذاتها، للخروج بمضامين تعكس ما وصل اليه الفكر السياسي في المؤسسة الدينية في النجف الأشرف.

تتبع أهمية الموضوع ليس بقيمته التاريخية بوصفه يناقش مرحلة زمنية حفلت بأحداث أثرت على الواقع السياسي في بلاد فارس (ايران منذ ١٩٣٥) وتداعياته في العراق، لاسيما في مدن العتبات المقدسة من خلال تفتيت الجمود الفكري وتحريك النوازع التحديثية، بل لان المواقف من الحركة الدستورية الفارسية وفرت مناخات للتغير في الفكر السياسي للمؤسسة الدينية، أسهمت لاحقا في تبنيها خيارات غير تقليدية لمعالجة تداعيات زوال الحكم العثماني في أعقاب الاحتلال البريطاني للعراق.

يفترض الباحث ان طبيعة المؤسسة الدينية في الانجف الاشرف بعدّها تتصف بالفردية (المرجعية) والدراسات الدينية الحرة (الحوزات) والاستقلالية المالية والسياسية عن السلطات السياسية الحاكمة، مكنت تيار فيها من تبني توجهات غير تقليدية تتوافق مع متطلبات الواقع المحلي والمتغيرات الحداثوية في العالم مع الحفاظ على المسلمات المذهبية الدينية، وبالرغم من صعوبة تغيير الانماط الفكرية السائدة والمتجذرة الا ان التيار الإصلاحى تمكن من مساعدة الحركة الدستورية وأحداث تغيير فكري أصبح من الصعوبة القضاء عليه .

قسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة بأهم إستنتاجات التي توصل اليها الباحث واستند البحث الى مصادر متنوعة بعضها عاصر مؤلفيها لتلك المدة وبعضها دراسات اكااديمية مختصه والبعض الآخر ذي اختصاص دقيق قريب من طبيعة الموضوع المبحث .

المبحث الأول : موقف المؤسسة الدينية من ارهصات الحركة الدستورية الفارسية.
وفر الحراك الفكري الذي شهدته بلاد فارس، فضلاً عن سوء الاوضاع العامة لاسيما الاقتصادية في (المحاويلي، ٢٠٠٦: ٩١) مناخاً مناسباً لأحداث تغييرات مهمة

في هذا البلد . وكان من الطبيعي ان يتولى تحالف مكون من تجار البازار والمتقنين ورجال الدين ذوي التوجه الاصلاحى بأسم الحزب الشعبى الدستورى وجموع المحتجين فى انحاء مختلفة من فارس، مطالبين بأقامة حياة دستورية متمثلة بدستور ومجلس برلمانى (البديري، ٢٠٠٥: ١٨) وتبنت الحركة الدستورية اسلوبين لتحقيق ذلك وهما الالتجاء الى (البه ست) (المحاولي، ٢٠٠٦: ٩٥) وثانيهما نيل دعم المؤسسة الدينية فى النجف وقد أتيا اوكلهما، اذ ازداد حجم التأييد الشعبى العناصر للملتجئين فى السفارة البريطانية بفعل الفتاوى المؤيدة لطالب الحركة بعدّها شرعية لانتعاض وتعاليم الإسلام، رداً على الاستفتاءات المرسلة إلى النجف، وبنيت رغبة اصحابها فى معرفة حكم الشرع بشأن مطالبهم (علي، ١٩٧٢: ٨٢-٨٣)

والجدير بالذكر ان النجف لم تكن بعيدة عن ما يجرى فى فارس فى هذه المرحلة وتعكس ذلك الرسائل التى ارسلها قسم من الفقهاء الاصلاحيين إلى الحكومة الفارسية فى اوائل عام ١٩٠٢، حثوها فيها على اجراء اصلاحات، لأجل التخفيف من معاناة المواطنين الذين اوصلوا صوتهم إلى المرجعيات الدينية عن طريق وكلائها فى المدن الفارسية والزوار الايرانيين القادمين إلى مدن العتبات المقدسة (النائلي، ٢٠٠٠: ٢٣٤) قسمت الاستفتاءات الفارسية المؤسسة الدينية ومن خلفها المجتمع النجفى الى

جماعتين:

الاولى: اصلاحية، مؤيدة للحركة الدستورية فى فارس، وتزعمها الشيخ محمد كاظم الخراساني (السبتي، ٢٠٠٧: ١٥-٤٥) وضمت مجموعة من رجال الدين، منهم الميرزا حسين الخليلي والشيخ محمد حسين النائني والشيخ فتح الله شيخ الشريعة الأصفهاني (الجبوري، ٢٠٠٦: ٢١-٥١) والسيد هبة الدين الشهرستاني وغيرهم (الخاقاني، ١٩٥٦: ٨٨) ، ونالت تأييد معظم مثقفي النجف من دعاة الاصلاح، ولم يكتف هؤلاء بالاجابة عن تلك الاستفتاءات بل شكلوا لجنة سميت بـ(هيئة المجتهدين) برئاسة الشيخ الخراساني، اتخذت من بيته مقراً لها ثم انتقلت إلى المدرسة العلوية

(المحاولي، ٢٠٠٦: ٩٩) كانت مهمتها مراقبة تطورات المشروطة وتقديم كل ما يمكن ان تساعدها، وعرفت هذه الجماعة بالمشروطة (المؤيدين للنظام الدستوري).
اما الثانية، محافظة غير مؤيدة وتزعّمها السيد محمد كاظم اليزدي (الجبوري، 2006: ١٧-٢١) الذي حرر فتوى مناهضة للمشروطة، مما جاء فيها " ان مصلحة الدولة يجب ان تكون بيد شخص مسؤول عنها لا يشاركه مشارك ويحتج برأيه " وقد ساند بعض رجال الدين ومن ابرزهم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (كاشف الغطاء، ٢٠٠٧: ٢٩ - ٧٩)

، وايدتها الغالبية الساحقة من الزعامات المحلية وعامة النجف، فضلاً عن العشائر المحيطة بالنجف (الأسدي، ١٩٧٥: ٦٨) (كمال الدين، ١٩٧١: ١) نظراً لمرجعية اليزدي الطاغية انذاك (إبراهيم، د.ت: ٢١٧) (القزويني، ٢٠٠٥ : ٢٤٤) وخشية تلك الزعامات من الاصلاح وعدم تقبل العامة للافكار الحديثة التي لها - كما يرى رشيد خيون - متطلباتها الثقافية والحضارية، اما المحافظة على السائد فلا تتطلب سوى تقوية العامل الديني (خيون، ٢٠٠٦ : ٦) وعرفت هذه الجماعة من قبل المشروطة باسم (المستبدة)، برفضها النظام الدستوري

على الأرجح ان سلبية موقف اليزدي من المشروطة، للحد الذي دفعه ان ينشط في معارضته لها يعود لخلفيته الفكرية التي في ضوئها بنى موقفه منها، فهو من متبني ولاية الفقيه الخاصة (الجبوري، 2006: ٩٩-١٣٤) القائمة على استبعاد الشأن السياسي من صلاحيات الفقيه الا بحدود ضيقة، لاسيما ما يتوافق وضرورات تطبيق مبدأ " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "، الذي يدخل عند الفقهاء ضمن ما يعرف بالفقه السياسي او الاحكام السلطانية، لان الفقيه قد يضطر لأقامة الحدود وبدورها تحتاج لسلطة وهو ما يعكس تردد الكثير من الفقهاء في ادراجها ضمن صلاحيات الفقيه، الا في حالة وجود خطر مؤكد يهدد مصالح المجتمع العليا، مثل الغزوات الخارجية او تعرض معتقدات المجتمع الاسلامي للخطر، بمعنى ان اليزدي وجد في مبدأ المشروطة نفسه تهديداً للتقاليد الدينية وتقليداً بسلطانها على المجتمع؛ مما يؤشر ترسخ فكرة

الوصاية التقليدية في ذهنيته، وبالتالي استبعاده لفكرة الدولة الدستورية؛ وهذا ما نلمسه في إحدى فقرات رسالته إلى أحد رجال الدين في بلاد فارس، حيث جاء فيها: " لقد تمكن القلق من تجرؤ المبتدعين، وإشاعة كفر الملحدين، نتيجة الحرية الزائفة، وسوف لن يتمكنوا من تنفيذ مآربهم بعون الله، وبالطبع كان الوقوف بوجه الكفر وصيانة العقيدة وتطبيق القوانين القرآنية القويمة ... يعتبر من أهم فرائض العلماء الربانيين " (الجبوري، ١٧: ٢٠٠٦-٦٦٧)

المبحث الثاني : أثر التيار الاصلاحى في تطورات الحركة الدستورية الفارسية :
حدثت فتاوى النجف اثرها المتوقع اذ شدت من عضد الحركة الدستورية، وزادت في الوقت نفسه موقف الشاه مظفر الدين القاجارى [(١٨٥٣-١٩٠٧)] - (١٨٩٦-١٩٠٧) [صعوبة، والذي على الأرجح خشي من تكرار تجربة فتوى " تحريم التتباك " التي عاشها والده؛ فأعلن عن قبوله للنظام الدستوري، بأصداره عدة قرارات أهمها: فرمان (مرسوم) باسم (فرمان مشروطيت) اصدره في الخامس عشر من آب ١٩٠٧، قرر فيه تأسيس مجلس برلمانى بأسم (مجلس الشورى الوطنى)، وحدد الثانى عشر من ايلول من نفس العام موعداً لاجراء انتخابات لاختيار اعضائه (ابراهيميان ، ١٩٨٣: ١١٦-١١٧) انيطت به مسؤولية صياغة واقرار دستور للبلاد ؛ وفي السابع عشر من تشرين الأول من العام نفسه، افتتح المجلس اولى جلساته بحضور الشاه، الذي مات بعد اقل من شهرين (خيون، ٢٠٠٦ : ٦)

صادق مجلس الشورى على الدستور والذي نسجت بنوده على منوال الدستور البلجيكى الصادر عام ١٨٣٠، مع اجراء بعض التعديلات على المواد المخالفة للشريعة الإسلامية (السعدون، ٢٠٠٧: ٩٨-٩٩) ويبدو ان الدستور الذي أكد مبدأ الفصل بين السلطات، وبعض قرارات المجلس التي منعت الحكومة من الاستدانة من الدول الاجنبية، قد اثارت حفيظة الشاه محمد علي (١٨٤٠-١٩٢٦ / ١٩٠٧ - ١٩٠٩) (السبتى، ٢٠٠٧: ٢١٢) الذي خلف والده مظفر الدين، وبدأ يخطط لانهاء النظام

الدستوري، على الرغم من ترحيبه المعلن " بالوصايا العشرة " التي ارسلها له الشيخ محمد كاظم الخراساني بأسم هيئة المجتهدين، التي اختزلت النظرة التحديثية للتيار الاصلاحى؛ والذي حثه فيها على ضرورة تنمية شعبه ثقافياً واقتصادياً، من خلال نشر التعليم، وحماية وتشجيع الصناعة الوطنية، بغية تحقيق الرفاهية وضمان السيادة الوطنية من التدخلات الأجنبية؛ وأكدت احترام حقوق الإنسان بأشاعة قيم العدالة والمساواة بين افراد الشعب بمختلف طبقاتهم (مجنوب، ١٩٨٠ : ٤٤)

ولاغرو ان نجد الشيخ الخراساني يقوم بأرسال المعلمين على نفقته الخاصة إلى القرى النائية لتعليم ابنائها (المفرجي، ٢٠٠٥ : ٤٧) وان يخصص قاعة في مدرسته الدينية، لعدد من متقفي النجف ذوي النهج الاصلاحى ليناقشوا بحرية تامة ما يجول بخاطرهم من قضايا (الرهيمي، ٢٠٠٣ : ٣١٨) مما يدل على تجذر الفكر الاصلاحى عند هذا الشيخ وجماعته.

دفعت الضغوط التي مارسها الشاه ضد مجلس الشورى ووصلت درجة التنكيل ببعض اعضائه، والتشكيك بشرعية المجلس وقراراته، بذريعة تعارضها والشرعية الإسلامية لكون اغلب اعضائه ذي ميول علمانية، تمهيداً لانهاء دوره، مما دفع اعضاء المجلس إلى الطلب من هيئة المجتهدين بيان موقفها من شرعية قوانين المجلس، فاصدرت الهيئة فتوى ابرز ما جاء فيها : " هذا ما قرره المجتهدون الاعلام، بسمه تعالى وبه نستعين : "ان قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة، وهي فرض على جميع المسلمين ان يقبلوا هذه القوانين وينفذوها. وعليه نكرر قولنا: ان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة احكام الدين الحنيف فواجب المسلمين ان يقفوا دون أي حركة ضد المجلس. (الفتلاوي، ٢٠٠٣ : ١٠٢)

بيد ان هذه الفتوى لم تثن الشاه محمد علي على تنفيذ ما مهد له، فقام في الثالث والعشرين من حزيران ١٩٠٨، بأعلان حالة الطوارئ وفرض الاحكام العرفية ثم تعليق العمل بالدستور وحل مجلس الشورى (الجبوري، ٢٠٠٦ : ٦٦٩)

المبحث الثالث : موقف التيار الأصلاحي من الانقلاب على الحركة الدستورية عام ١٩٠٨ وتأصيله الشرعي والفلسفي لمبادئها.

اولاً: الموقف من الانقلاب على الحركة الدستورية :-

وفي ظل تطور الاحداث في فارس، وتصعيد المحافظين من حدة انتقاداتهم، عاش الاصلاحيون في النجف اوقاتاً عصيبة، اضطرتهم إلى عقد اجتماعاتهم في سراديب النجف لخشيتهم من انصار المحافظين الذين بدأوا يمارسون الايذاء الجسدي ضدهم - وزاد الامر سوءاً - اعلانات الصقها مجهولون على الجدران تصور اليزدي وقد وجهت يد نحوه مسدساً فعدها مؤيدوه تهديداً له ليتراجع عن موقفه، واشيع بين العامة ان ابن رسول الله في خطر (الحسيني، ٢٠٠٤: ٢٥) مما زاد من غلواء المشاعر المضادة للاصلاحيين، والتي دفعت نسبة قليلة من المصلين لاي تجاوزون الثلاثين للصلاة خلف الشيخ الخرساني بينما كان السيد اليزدي يئم الآلاف (الجبوري، ٢٠٠٦: ٧٢٠).

وخيرُ وصف لحالة النجف انذاك ما كتبه هبة الدين الشهرستاني ونصه " وفي خلال عام ١٣٢٥هـ [١٩٠٨] بدأ النزاع على اشدّه بين جماعة شيخنا الخرساني والسيد اليزدي وقويت الخصومة التي بلغت منتهى الوحشية من ايذاء العوام لاخواننا وهيئتنا، بتسميم فكرة العوام من اننا نريد الحرية التي هي ضد الدين، وكثيراً ما كانوا يضربونهم على رؤوسهم ... "والواقع ان الاصلاحيين بذلوا جهداً لفهام العامة ان الشريعة الإسلامية لم تنص على الدستور، الا انها لا تتعارض ومبادئها .

لكن الاصلاحيون تنفسوا الصعداء في اعقاب قيام الاتحاديين بثورتهم الدستورية عام ١٩٠٨، واجبارهم السلطان عبد الحميد الثاني في الثالث والعشرين من تموز من نفس العام، على إعادة العمل بدستور ١٨٧٦، إذ أيدّها الاصلاحيون سواء في المؤسسة الدينية ام مثقفي النجف على اختلاف ميولهم وشرائحهم، بعدها تُجسد لما

نادوا به، وكذلك أمل في رفع الحيف الذي عاشه الشيعة العراقيون من سياسات التهميش الممارسة ضدهم طوال قرون، لاسيما ان شعار الاتحاديين كان (الحرية/العدالة/المساواة).

وبطلب من " انجمن سعادة " (ويسن، ١٩٩٩ : ٤٤) أي لجنة السعادة افتت " هيئة المجتهدين " دعماً للاتحاديين، بوجوب تنفيذ الدستور، وحذرت من الاقدام على مقاومته، لان ذلك - كما وصفته - بمنزلة الاقدام على مقاومة الدين (ويسن، ١٩٩٩ : ٤٤). ونال مثقفو النجف شانهم شأن معظم رعايا الدولة العثمانية نصيباً من الحرية، فكانت اجتماعاتهم وتظاهراتهم المؤيدة للدستور تقام في الصحن العلوي والجوامع والمدارس والاماكن العامة الأخرى، على نحو علني (الجبوري، ٢٠٠٦ : ٧٢٠) ويذكر محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مذكراته ان قائداً عسكرياً عثمانياً وبتقويض من الاتحاديين شهر مسدسه نحو اليزدي وحذره من مغبة استمراره في منهجه وهدده بالنفي إلى خارج العراق (الأسدي، ١٩٧٥ : ٧٢) في مؤشر الى بداية انكفاء المحافظين.

مكننت هذه المستجدات، الاصلاحيون من التفرغ التام لمعالجة الوضع الخطير الذي تعانیه الحركة الدستورية في فارس والشبهات التي اثّرت بشأن النظام الدستوري، وتم لهم ذلك بعد تبنيهم لاسلوبين هما: المباشر: وهوما نسميه بـ(الفتوى الشرعية) أذ حرر الخرساني فتوى تحث الاهالي على الثورة ضد الشاه ونصت : " اني اعلن حكم الله لجميع الشعب الفارسي (كذا) ان مسؤولية دفع هذا السفاك الجبار [الشاه محمد علي] والدفاع عن نفوس واعراض واموال المسلمين، تعد اليوم من اهم الواجبات " (عبد الستار، ٢٠٠٨ : ٣٧١-٣٧٣)

جسدت الفتوى تحولاً في الفكر السياسي للمؤسسة الدينية في النجف، ارتقى بشرعية السلطة لمديات واقعية، تخطى التحفظات الفقهية التي أثّرت بشأن مسألة الخروج عى السلطان (المحاويلي، ٢٠٠٦ : ٢٠ - ٤٠) بابأحتها الاخذ بسبل العنف (الثورة) كأداة للتغيير السياسي؛ بعبارة أخرى ادخلت المجتمع فعلياً في معادلة شرعية السلطة القائمة.

ثانياً : تأصيل التيار الاصلاحى للفكر والتوجهات الدستورية الحديثة .

اما الثاني : غير المباشر ويمكن تسميته بـ " التنظير الفقهي للنظام الدستوري " وانبرى له الشيخ محمد حسين النائني (السبتي، ٢٠٠٧: ١٥٩) في كتابه الموسوم " تنبيه الامة وتنزيه الملة "، والمعروف بـ (رسالة النائني)، وقد حظي بتعزيد هيئة المجتهدين وعلى رأسها الشيخ محمد كاظم الخراساني (الزركلي، ١٩٧٩ : ٢٩٨) ويعد الكتاب وثيقة مهمة عن النظرية السياسية الحديثة للتيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية في النجف، تلك النظرية التي تسعى إلى تحقيق الوفاق بين استمرار عقيدة غيبة الامام المهدي المنتظر (ع) أي الايمان بحتمية ظهوره واستمرار انتظاره واستحالة شغل شرعيته، وبين الحاجة الماسة لشكل من اشكال الحكم لا يفترق كثيراً عن الموروث المذهبي، وذلك عن طريق الممازجة الشرعية بين العقيدة ومتطلبات الحاجات الانسانية الملحة.

واتخذت تلك المقاربة وتأصيلها عند الشيخ النائني شكلاً مختلفاً، فهي من جهة بنت اساسها الفكري على وفق البنيان الفقهي للمرحلة التاريخية والمتمثل بالفتاوى التي اصدرها التيار الاصلاحى، ومن جهة اخرى رتبت استدلالاتها بطريقة المقاربة مع الفكر السياسي الحديث، متأثراً على ما يبدو بالمصلحين العرب والمسلمين، لاسيما الشيخ عبد الرحمن الكواكبي (خيون، ٢٠٠٦ : ٥٠ - ٨٠) (ابو الطيب ، ٢٠١٠ : ٩٠-١٠) وتحديداً كتابه طبائع الاستبداد. ولاغرو أن ينال كتاب النائني، اهتمام عدد غير قليل من المهتمين بالفكر السياسي الشيعي، إلى درجة عدّ البعض صاحبه مؤسس الفكر السياسي الشيعي الحديث (النائلي، ٢٠٠٠ : ١٠٢) وبغية فهم الكتاب بشكل واف ارتأينا التعرض لأهم المرتكزات التي احتواها وهي على النحو الاتي:

١. شرعية النظام الدستوري : ويستمد شرعيته من رضا الشعب وتأييد الفقهاء،

وذلك على وفق معادلة يمكن ايجازها على النحو الاتي:

ان السلطة نوعان شرعية وغاصبة، الأولى يمثلها الامام بينما الاخرى السلطات الزمنية، وبما ان غياب الامام قد عطل الاولى، فأن الخيار أمام الامة هو أنموذجان هما: السلطة المستبدة والسلطة الدستورية (النائلي، ٢٠٠٠: ١٠٣) والمستبدة حسب رائه : " صاحب السلطة يتصرف او يتعامل مع مملكته كما يتعامل المالكون مع اموالهم الشخصية... فهم كالاغنام والعبيد والاماء لم يخلقوا الاله، فيقرب من كان وافياً بهذا الغرض .. " (النائلي، ٢٠٠٠: ١٠٥) ويصف الامة الخاضعة لمثل هذا النظام بـ " امة مسخرة في خدمة مصلح السلطان ولم يكن حظها من حياتها الا كحظ النباتات التي خلقت لغيرها لا لنفسها " (النائلي، ٢٠٠٠: ١٠٥ - ١٠٦) اما الدستورية فيصفها قائلاً: " ان لا تقوم السلطة على المالكية ولا القاهرية ... بما يشاء ولا الحاكمية بما يريد، وانما على اساس إقامة تلك الوظائف والمصالح الشرعية المطلوبة من السلطة، وان تكون امتيازات الحاكم محدودة بحدود هذه الوظائف " (النائلي، ٢٠٠٠: ١٠٦) وتتمثل بـ : ايجاد دستور واف، يحدد صلاحيات السلطان السلطة التنفيذية وحقوق الشعب " (النائلي، ٢٠٠٠: ١٣٥)

٢. اقامة مجلس نيابي، منتخب من الشعب، وظيفته محاسبة ومراقبة السلطان لمنعه من التحول إلى الاستبداد، وإن يكون المجلس مسؤولاً امام الشعب. ويضيف قائلاً: " اذ لم يقيد الحاكم الظالم بأي حال بدستور او مجلس ... يغتصب امرين، حق الامام الغائب وحق الناس " (النائلي، ٢٠٠٠: ١٣٥) ولاجل اصفاء الشرعية على اطروحته ادعى النائب ان الامام المهدي (ع) قد ايدها (المحاويلي، ٢٠٠٦: ١٠٥) وهذا يعني ان النائب دعا في كتابه إلى الخروج من معادلة "السلطة العادلة" التي تتمثل بسلطة شيعية او تلك التي لديها علاقات طيبة مع فقهاء الشيعة، إلى فضاء اوسع وهو الشرعية الشعبية.

٣. ولاية الفقيه الوسطى : وهي ولاية تتوسط بين ولاية الفقيه العامة التي تبيح للفقيه ممارسة السلطة بنفسه وبين ولاية الفقيه الخاصة التي لاتحذ تدخل الفقيه في الشأن السياسي الا ضمن حدود ضيفه وتتجسد عند النائب في الدعوة إلى تشكيل هيئة بأسم " الاشراف والتسيد " تتكون من الفقهاء او من ينوب عنهم داخل المجلس الدستوري، وظيفتها الزام اعضائه بالقيام بالوظائف المطلوبة والحيلولة دون وقوع تجاوزات ومخالفات وعدّها تقوم مقام " العصمة " بنسبة من النسب اي ضمان شرعي (النائلي، ٢٠٠٠: ٩٩)

ويبدو أنه رمى من خلف ذلك ضمان عدم تقاطع قوانين المجلس مع الشرعية الإسلامية، فضلاً عن الشرعية التي سيضيفها الفقهاء إلى المجلس وجعله أكثر تقبلاً عند عامة الناس، ولا يمكن تجاهل ان هذه الولاية غير المطروحة في الوسط الفقهي انذاك قد جسدها التيار الاصلاحى عملياً في مواقفه من الحركة الدستورية في فارس، فرجال الدين لم يهدفوا إلى اسقاط النظام والحلول محله، بل شاركوا بقوة بدعم تلك الحركة من اجل اصلاحه.

٤. الاستبداد الديني : وعدّه اشد وطأة من الاستبداد السياسي بقوله : " والآخر [الاستبداد الديني] صعب التخلص منه لقوة العامل الديني في النفوس " ؛ ويبدو ان رأيّه هنا جاء منسجماً مع الفتوى التي اصدرتها هيئة المجتهدين " وكفرت بها الشيخ فضل الله نوري (النائلي، ٢٠٠٠: ١٠٠) كذلك لاشك ان جزءاً كبير من هذا الطرح كان يستهدف مواقف السيد اليزدي.

٥. السيادة الوطنية: ونجدها بوضوح بقوله : " ومما هو معلوم بالضرورة ايضاً انه لايمكن حفظ شرف استقلال أمة أو توصية وحفظ خصائصها الدينية والوطنية الا اذا كان النظام الحاكم فيها منتزعاً منها، وكانت الامارة عليها من نوعها، وألا ذهب ناموسهم الاعظم وشرف استقلالهم وقوميتهم هباءً منثوراً (النائلي، ٢٠٠٠: ١٤١) وعلى الرغم من ما ذهب اليه من ان استقلال

الشعوب يتوقف على كون حكوماتها ممثلة حقيقية لها، لم يغفل عن عناصر أخرى من جهة لأتمام ذلك الاستقلال وهي (النائلي، ٢٠٠٠: ١٥٥-١٥٦) :

أ. حماية الوطن من تدخل الاجانب، والحذر من حيل الاعداء، واعداد القوة الدفاعية والمعدات الحربية وغير ذلك من الامور التي عبر عنها الفقهاء ب(حفظ بيضة الإسلام)

ب. حفظ وصيانة الانظمة الداخلية للدولة والتربية النوعية للشعب. ولابد من القول ان تاكيده الشديد على السيادة الوطنية او كما عبر عنه ب(الاستقلال الوطني) بين الحساسية المفرطة لفقهاء الشيعة انذاك تجاه التدخل الأجنبي، ويبدو ان هذا لم ينجم عن ارهاصات عقائدية فقط، انما الحالة السيئة التي عاشتها فارس وعد النفوذ الاجنبي احدى اسبابها الرئيسية، ولانستبعد ان يكون قد قصد بذلك تنبيه العراقيين لواقعهم في ظل الحكم العثماني غير العراقي، لكونه لم يدخل الحاكم المسلم ضمن دائرة ما ذكره وتأكيده على القومية، وان كان قد كتب كتابه باللغة الفارسية، ذلك ان عدداً من المثقفين النجفيين وطلبة الدراسات الدينية يُجيدونها، في مؤشر واضح عن ان النائب نظر إلى الدولة بوصفها نتاج المجتمع وخصوصياته.

٦. حقوق الانسان والديمقراطية : يبني النائب فرضيته بشأنها، بوصفها مفاهيم أسهم الاوربيون بأiversalها إلى المسلمين، وقد اثنى عليهم، بيد انه يُرجع الاسس الفكرية لها إلى الإسلام، اذ استفادوا منها بينما تركها المسلمون؛ على الرغم من كونها من اهم اسباب قيام حضارتهم الإسلامية، وتختصر الآية الكريمة ﴿ هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُئِيتَ إِلَيْنَا ﴾ التي استشهد بها ما يعنيه، وفي هذا الصدد يقول: " نعم، وهذا متمثل بالحكم الإسلامي، الذي يتصف بمبادئ الحكومة الإسلامية " الحرية " و " المساواة " و " الشورى " ... (النائلي، ٢٠٠٠: ٢١٢)

ووصف الحرية بقوله : " هي ليست فكرة زائفة ولا مستوحاة من الفكر الغربي وديانته المسيحية وهي هبات (كذا) لقد ولى ذلك الزمن، لذا ان الحكم الاستبدادي غاصباً للحرية وليس الحكم الدستوري، الذي ينعم بها ويعمل على استردادها " (الغرباوي، ١٩٩٠ : ٧٧)

٧. لاصلاح الاجتماعي : وتتجلى معالمه في دعوته إلى تحصين المجتمع وتوعيته ضد انواع الاستبداد شتى، ويتم ذلك بحسب رأيه : " من خلال العلم والمعرفة واسناد زمام الامور في البلاد لاصحاب الخبرة والكفاءة وعدم الخضوع والتملق للسلطان وتوحيد كلمة الشعب، والاتحاد بين الافراد..." (البديري، ٢٠٠٥ : ٩٠ - ٩٣)

لاشك ان هذه المضامين التي احتواها كتاب النائي، قد ضربت على الوتر الحساس عند اقطاب الحركة الدستورية ومؤيدوها من دعاة الاصلاح الاجتماعي والسياسي في العراق وبلاد فارس، وشكلت في الوقت نفسه انعطافة مهمة في المسار التاريخي للفكر السياسي الشيعي جاء تتويجاً لتطور نظرية السلطة في الفكر السياسي للمؤسسة الدينية في النجف الاشرف، يتماشى مع التطور في الفكر السياسي العالمي.

لاقت جهود الفقهاء في التاصيل الشرعي للنظام الدستوري صدى كبيراً في الحركة الدستورية، التي ما لبثت ان تبنت الخيار الثوري لحسم معركتها مع الشاه محمد علي، اذ تم الاطاحة بالشاه محمد علي عن طريق ثورة شعبية في السادس عشر من تموز ١٩٠٩ وتتصيب نجله ميرزا أحمد (المحاويلي، ٢٠٠٦ : ١٢٦) ذا الثاني عشر ربيعاً شله على فارس تحت الوصاية (حقيقت، ٢٠٠١ : ٧٠) وفي ردهم عن رسالة المجلس الاعلى للثورة الراغب في معرفة مدى شرعية تنصيب الشاه الجديد على الرغم من صغر سنه، اجاب الفقهاء وبخط الشيخ النائي " نعلن تأييدنا وموافقتنا له " (الحسيني، ٢٠٠٤ : ٣٠) ولم تكثف هيئة المجتهدين بتأييد الشاه، فهي ما لبثت ان بعثت برسالة اليه، نجدها قد لخصت بكلمات مقتضبة رؤية التيار الاصلاحى لطبيعة شرعية الحكم في

عصر الغيبة الكبرى، وجاء في جانب من هذه الرسالة ما يأتي " تقضي ضرورة المذهب ان تكون الحكومة الإسلامية في عهد غياب صاحب الزمان (الامام المهدي) بيد الجمهور " (الشرقي، ١٩٢٦ : ١٤) وهذا يعني ان النظرة الاسلامية العامة اتجه مفهوم الدولة الاسلامية عند التيار الاصلاحى اصبحت اقرب الى مفهوم الدولة الحديثة في العالم الغربي .

والجدير بالذكر، ان وفاة الشيخ محمد كاظم الخراساني في الثالث عشر من كانون الاول ١٩١١، بعد ان كان يروم قيادة متطوعي العشائر العراقية التي تحشدت على أثر اصداره فتوى الجهاد ضد الغزو الروسي لبلاد فارس (الرهيمي، ٢٠٠٣ : ٣٢٢-٣٢٦) وانتشاء وسادت المرجعية العليا للسيد محمد كاظم اليزدي، قد اشترت بداية انحصار نشاط التيار الاصلاحى في المؤسسة الدينية ونهاية ما عرف في التاريخ النجفي احداث " المشروطة والمستبدة " لكن نشاط التيار الاصلاحى عاد مجددا في اعقاب الاحتلال البريطانى للعراق (١٩١٤-١٩١٨) .

وعليه نتفق إلى حد كبير مع الرأي المعاصر لاحداث تلك المرحلة التاريخية القائل بان (العناد السياسى) و(الحراك الفكرى) الذي شهدته النجف في الربع الاول من القرن العشرين، جاء بتأثير من تداعيات الثورتين الدستوريتين في الدولة القاجارية الفارسية والدولة العثمانية^(١)، اذ عكست اصداءهما في النجف والعراق عامة، اهمية الدور السياسى الذي يمكن للمؤسسة الدينية الاضطلاع به لصالح قضايا المجتمع العامة، فضلاً عن انها اسهمت في تعزيز التوجهات الاصلاحية للنخبة المثقفة في العراق التي كان لها دوراً في احداث العراق اللاحقة^(٢) .

الخاتمة

١- اندلعت الحركة الدستورية في بلاد فارس في ظل معطيات سياسية واجتماعية واقتصادية داخلية وفرت المناخ المناسب لتغير نمط الحكم، انضجتها ظروف خارجية تمثلت

بوصول الافكار الحديثة لنظرية السلطة القائمة على العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم (الدستور) والفصل بين السلطات .

٢- لم تكن النجف الاشرف بعيدة عن الافكار الحديثة ووصل الامر لتبني رجال دين مرموقين لتلك الافكار بوصفها خيار يحقق مقاصد الشريعة في زمن غيبة الامام المهدي (ع) عن طريق تحقيق العدالة الاجتماعية ومشاركة المواطنين السلطة مع الحاكم والتخلص من الاستبداد السلطوي للحاكم.

٣- لم تكن الحركة الدستورية بعيدة عن اعين التيار الاصلاحي في المؤسسة الدينية في بلاد فارس و النجف الاشرف بل ان انتشار افكاره قد ساهم في تعضيد التحرك في الاوساط الاجتماعية المختلفة .

٤- مثلت الحركة الدستورية مجال رحب ليعبر التيار الاصلاحي عن افكاره بقوة بغية تعضيد موقفه ودعم الحركة الدستورية بوصفها تطبيق عملي لما تبناه من افكار وتوجهات .

٥- اسهم الموقف من الحركة الدستورية في انضاج منهجية التيار الاصلاحي وتمثل ذلك في التاصيل التنظيري والفلسفي للحكم الدستوري على وفق مباني شرعية تبعد عنه شبهة الابتعاد عن المقاصد الشرعية التي اطلقها عليه معارضية من الجهات التقليدية في المؤسسة الدينية وعامة الناس .

٦- مثل الموقف من الحركة الدستورية وما انبثق عنه من دعم عملي تمثل بالفتاوى المساندة والتنظير الفكري، تطور في الفكر السياسي للمؤسسة الدينية في النجف الاشرف وان عارضها التيار التقليدي المحافظ، فالحديث عن مؤسسة دينية غير تقليدية لها خصوصيتها المذهبية والتاريخية.

٧- اسهم التيار الاصلاحي في انجاح الحركة الدستورية في فارس رغم انتكاسته في اعقاب وفاة السيد محمد كاظم الخراساني وتقرّد السيد محمد كاظم اليزدي المحافظ بالمرجعية .

٨- اسس التيار الاصلاحي قاعدة شرعية لتبني الافكار الحداثوية .

٩- هيا التيار الاصلاحي المجتمع وفئاته المثقفة لكسر الجمود الفكري وجعله قادراً على التعاطي بايجابية مع التطورات السياسية والاجتماعية التي واجهها العراق لاحقاً .

١. ابراهيميان آروند، (١٩٨٣) فارس بين ثورتين، ترجمة: مركز البحوث والمعلومات، بغداد.
٢. إبراهيم فؤاد، (د. ت)، الفقيه والدولة: الفكر السياسي الشيعي، دار الكنوز، بيروت.
٣. ابو الطيب محمد أحمد صالح (٢٠٠٥) اشكالية الاستبداد السياسي في رسالة النائني، ط١، مطبعة الرفاه، بغداد
٤. الأسدي حسن (١٩٧٥) ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين، دار الحرية، بغداد.
٥. آل نجف، عبد الكريم (١٩٦٥) الشيخ محمد حسين النائني: دراسة في حياته العلمية والسياسة، من كتاب الدين والسياسة.
٦. الاميني، محمد هادي (د. ت)، معجم رجال الفكر والادب في النجف الاشرف خلال الف عام، ج٣، ط١، مطبعة النعمان، النجف.
٧. البديري، خضير مظلوم فرحان (٢٠٠٥) الموقف البريطاني من الثورة الدستورية في فارس (١٩٠٥-١٩١١)، ط١، مكتبة ابن رشد، واسط.
٨. تبرنر كولن (٢٠٠٨) التشيع والتحول في العصر الصفوي، ط١، ترجمة: حسين علي عبد الستار، منشورات الجمل، كولونيا،
٩. الجبوري، كامل سلمان، شيخ الشريعة: قيادته في الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ووثائقه السياسية، ط١، دار القارئ، بيروت.
١٠. الحسيني سليم (٢٠٠٤) دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ط١، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم.
١١. الخاقاني، علي (١٩٥٦) شعراء الغري، ج١٠، المطبعة الحيدرية، النجف.
١٢. خيون رشيد، (٢٠٠٦) الفقه الشيعي والدستور (النائني نموذجاً)، ط١، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد.
١٣. الرهيمي حسين، (٢٠٠٥) حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الفارسية ١٩٠٥-١٩١١، السدير ((مجلة))، النجف، ٢٠٠٣، عدد ١،
١٤. الرهيمي علاء حسين (٢٠٠٣) حقائق عن الموقف في النجف من الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥-١٩١١، السدير ((مجلة)) عدد (١) النجف.

١٥. زاده ، كاظم قاضي (٢٠٠٠) الشورى في الحكومة الإسلامية، من كتاب : مدخل الى الفكر السياسي في الإسلام، اعداد : صادق حقيقت، ط١، مؤسسة الهدى للنشر، طهران.
١٦. الزركلي خير الدين (١٩٧٩) الاعلام، ط٤، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت
١٧. السبتي، عدي محمد كاظم (٢٠٠٧)، الشيخ محمد كاظم الآخوند ١٨٣٩-١٩١٨ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير ، كلية الاداب _ جامعة الكوفة
١٨. السعدون، أحمد عبد الهادي(٢٠٠٧) المرجعية الدينية : دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير ، كلية العلوم السياسية _ جامعة بغداد، ٢٠٠٧.
١٩. الشرقي علي، (١٩٢٦) الحركة الفكرية في النجف، النجف ((مجلة))، النجف، ١٩٢٦، عدد ٤٠.
٢٠. علي عبد الرحيم محمد، (١٩٧٢) المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، ط١، مطبعة النعمان، النجف.
٢١. عمارة محمد (١٩٨٤) عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام، دار المستقبل العربي، بيروت.
٢٢. الغرباوي اسعد محمد زيدان (١٩٩٠) سياسة فارس الخارجية في عهد أحمد شاه (١٩٠٩-١٩٢٥) دار الحكمة، بغداد.
٢٣. الفتلاوي صباح كريم رياح، (٢٠٠٣) فارس في عهد محمد علي شاه (١٩٠٧-١٩٠٩)، دراسة تاريخية للتطورات السياسية الداخلية، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة الكوفة.
٢٤. القزويني جودت (٢٠٠٥) المرجعية العليا الشيعية الامامية، بيروت.
٢٥. كاشف الغطاء محمد حسين (٢٠٠٧) ط١، معهد المعلمين للدراسات العليا، النجف.
٢٦. كمال الدين محمد علي (١٩٧١)، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات، مطبعة التضامن، النجف.
٢٧. مجذوب طلال (١٩٨٠) ايران : من الثورة الدستورية حتى الثورة الاسلامية ١٩٠٦-١٩٧٩، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت.
٢٨. المحاولي، امجد اسعد شلال (٢٠٠٦) محمد حسين النائني " دراسة تاريخية "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الكوفة.
٢٩. المفرجي عدي حاتم عبد الزهرة (٢٠٠٥)، النجف الاشرف وحركة التيار الاصلاحي ١٩٠٨-١٩٣٢، دار القارئ، بيروت..

٣٠. ويسن ناهدة حسين علي (١٩٩٩) ، تاريخ النجف في العهد العثماني الاخير ١٨٣١-١٩١٧،
اطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد) _ جامعة بغداد
٣١. اليزدي محمد كاظم (٢٠٠٦) سيرته واضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية، ط١، مطبعة
نوي القربى، قم.